

# وميض من اليمن

## في

# الخطب الجوامع

قرأه وقدم له

أصحاب الفضيلة العلماء

أبو الحسن مصطفى السليماني — أبو عبد الرحمن عايض بن علي مسمار

نعمان بن عبد الكريم الوتر — أبو داود يحيىٰ بن مسعد الدمياطي


جمع وإعداد

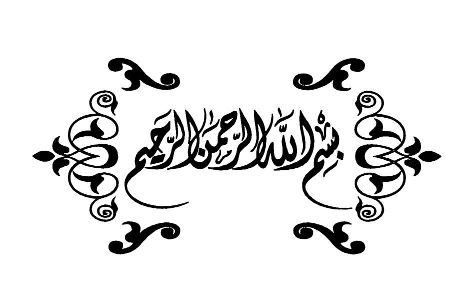
سعيد بن سالم بن سعيد بن مهيم الحداد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين


الجُزْءُ الثَّالِثُ


دار البصيرة

الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

# وميض من اليمن

في

الخطب الجوامع



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ



رقم الايـــداع : ٢٠٠٣/٧٨٣٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N.

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية ـ ٢٤ ش كانوب ـ كامب شيزار ـ ت : ٥٩٠١٥٨٠

# مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب:٠ -٧١)

**اما بعد** ... فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أخي الداعية ... بين يديك الجزء الثالث من كتابي (**وميض من اليمن**)، وكل جزء من هذا الكتاب يحتوي على خطب منبرية لمدة عام جمعتها من مصادرها.

أخي الداعية ... يمكن تلخيص مجمل الصفات والخصائص التي ينبغي أن تشتمل عليها الخطبة في النقاط التالية:

١ ـ يحسن الاختصار على موضوع واحد غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا، إذ أن ذلك في الغالب يشتت الأذهان وينسي بعضه بعضًا فمهما كانت العبارة بليغة، والأسلوب منمقًا والفكر متدفقًا، فإنه لا يستطيع مع الإطالة وتنوع الموضوعات إعطاء صورة متكاملة مجتمعة الأفكار واضحة المعالم.

٢ ـ ينبغي عدم التعرض لذكر الخلاف في الفروع، والانطلاق من المسلمات في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وفي ذلك متسع ثري في الوعظ والإرشاد والتوجيه، وبهذا تؤدي الخطبة دورها في جمع الكلمة والتمسك بشعب الإيمان، وما أكثر الفضائل والعزائم التي تناسب ميادين التوجيه والتذكير والمواعظ.

٣ ـ الحرص قدر الإمكان أن يُلائم موضوع الخطبة الأحداث الجارية والملابسات الواقعة في دنيا الناس ومخاطبة جماهير السامعين. وإن مما يزري بالخطيب أن تكون الخطبة في واد والناس والزمان في واد آخر، وإن في نزول كتاب الله منجمًا ما يُنبه إلى ذلك.

٤ ـ مجاراة الأحداث والتمشي مع الواقع لا ينافي المطالبة بأن يتحول الخطيب بجمهوره من التذكير بفرائض الإسلام ترغيبًا، وبمحرماته ترهيبًا، من الصلاة والزكاة والصوم وحقوق الوالدين والجوار ووجوه البر وأنواع الصلات وتحريم الزنا والخمر والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل وأمثالها، إلى تعطير أسماعهم بين فينة وفينة بذكر سير السلف الصالح بدءًا بالقدوة الأولى والرحمة المهداة نبينا محمد رسول الله ﷺ ثم صحابته من بعده والتابعين لهم بإحسان، وذكر أمجاد المسلمين والتنبيه إلى ينابيع الحضارة الإسلامية اليانعة المتجددة، ففي ذلك زرع للفقه في النفوس وربط للمستقبل المأمول بالماضي المجيد، وتأكيد للإيمان بالرسالة العالمية وتأصيل للهوية الإسلامية.

٥ ـ يحتاج الخطيب في بعض الظروف والأحوال والمجتمعات إلى تنبيه المسلمين إلى الأخطار الإلحادية والفلسفات الأجنبية والنزعات المنحرفة والنِّحَل الباطلة، وفي هذا الباب والمسلك يحسن بالخطيب أن يتوجه إلى بيان حقائق الإسلام بقوة من غير خوض في أسلوب جدلي عقيم أو تجريحي مبلبل، ففي نصاعة الإسلام وقوته ـ بحمد الله ـ ما يكفي لدحض الباطل وافتراءات أهله.

٦ ـ الخطيب طبيب؛ فعليه قبل وصفه الدواء تشخيص الداء، فيتعرف على العلل والأمراض الشائعة ويشخص الداء ويعرف الأعراض، فإذا استبان له ذلك رجع إلى الكتاب والسنة فوضع الدواء، وكلما دق التشخيص سهل العلاج، ومعلوم أن الواعظ غير المتبصر سيأتي بما لا يناسب.

٧ ـ اهتمام الخطيب بخطبته وعنايته بالتحضير الجيد دليل على احترامه لنفسه وسامعيه ومنبره.

٨ ـ الحرص على الإيجاز قدر الإمكان، والقدرة على ذلك تنبع من عمق الثقافة وقوة التحصيل ووضوح الصورة والإدراك التام لما يريد الحديث عنه، والنفس البشرية لا تزكو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها.

أخاي الداعية إلى الله . . في نهاية المقدمة أسأل الله عزَّ وجلَّ وعلا الإخلاص في السر والعلن، كما أسأله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي، وميزان حسنات والداي الفاضلان، وجزى الله خيرًا كل من تقدم إلينا بملاحظاته القيمة السديدة حول هذا الكتاب، وكل من ساهم فيه بقليل أو كثير، وأن يغفر لنا ولهم ولوالدينا وإخواننا، ونسأله جلَّ وعلا أن يبارك في ذرياتنا، وأن يختم لنا بخير إنه جواد كريم. والله المستعان.

**جمعه ورتبه**

***سعيد بن سالم بن سعيد مهيم الحداد***

**اليمن ـ شبوه ـ عزان**



# الإخلاص

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب:٠ -٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الإخلاص، جعلنا الله وإياكم من أهله إنه جواد كريم.

أما تعريفه فو كما قال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدًا غير الله تعالى، وحقيقته التبري عن كل ما دون الله تعالى، أما الإخلاص في الدين فيقول فيه الراغب: إخلاص المسلمين أنهم قد تبرءوا مما يدعي اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (سورة الأعراف:٢٩)، وقال تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة غافر:١٤). وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ (سورة النساء:١٤٦).

وأجمـعوا على أن الإخلاص في الطاعة تـرك الرياء. وقال الفضيل بن عـياض: ترك العـمل لأجل الناس رياء، والعـمل لأجلهم شـرك، والإخلاص: الخـلاص من هذين. وفي رواية عنـه: والإخـلاص: أن يعـافـيك الله منهـمـا. وقـال آخـرون: الإخلاص: هو إفـراد الحق سبحـانه وتعالى بالقـصد في الطاعة وتـصفيـة الفعل من ملاحظة المخلوقين، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق ولا الصدق إلا بالإخلاص ولا يتمـان إلا بالصبر. وقد وردت بذلك أدلة كثيرة في كتاب الله جلَّ وعـلا بشأن الإخلاص، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (سورة الصافات: ٣٨-٤٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١٤٥-١٤٦).

وأما الأدلة على الإخلاص من السنة الصـحيحة فكثيـرة، ومنها ما ورد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فـقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكـر، ما لهُ؟، قـال رسول الله ﷺ: **«لا شيء له»**، فأعـاد ثلاث مرات: يقـول له رسول الله ﷺ: **«لا شيء له»**، ثم قال: **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغي به وجهه»**[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«قـال الله تبـارك تعـالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**[(٢)]. والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب له.

---

(١) رواه النسائي (٦/ ٢٥)، واللفظ له، وقال الشيخ الألباني (٥٢) من السلسلة: إسناده حسن.

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه»[1]. وعن جابر عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة قال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض» وفي رواية «إلا شاركوكم في الأجر»[2]. وفي حديث جندب رضي الله عنه في الصحيحين: قال صلى الله عليه وسلم: «من تسمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»[3]. فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق ولا الصدق إلا بالإخلاص ولا يتمان إلا بالصبر.

**والرياء:** هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمد صاحبها، والسمعة هي نحو ما في الرياء إلا أنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر.

**ومعنى الحديث:** أن من عمل عملاً على غير إخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعوه يجازى يوم القيامة على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه على رؤوس الأشهاد، نجانا الله تعالى من ذلك.

ومن الآثار وأقوال العلماء والمفسرون الواردة في الإخلاص ما قاله الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (سورة الملك: ٢). هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابًا، الخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ١١٠).

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٨)، واللفظ له.
(٢) رواه البخاري، «الفتح» (٦/ ٢٨٣٩)، بلفظ نحوه عن أنس رضي الله عنه، ومسلم (١٩١١)، واللفظ له.
(٣) البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

وقال شهر بن حـوشب: «جاء رجل إلى عبادة بن الصامت، فقـال: أنبئني عما أسأل عنه، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يُحـمد؟ فقال عبادة: «ليس له شيء»، إن الله تعالى يقول: «أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه».

وقال ابن القيم ـ رحـمه الله تعالى ـ: «العمل بغـير إخلاص ولا اقتداء كـالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه».

عِبَادَ اللَّهِ . . . وهناك مثل تـطبيقي في حـياة الصحـابة في الإخلاص وقـد كان الإخلاص رائدهم في كل ما يقومون به، ومن ذلك مـا جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ههنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم»[١].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

ويعين على التحقق بالإخـلاص أمران، أحدهما: أن يعرف العـبد ربه، والثاني: أن يعرف العبدُ الخلق، فـمن عرف ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العليـا وأفعاله وأقواله وما فطرت عليـه النفوس من التـعلق به والاضطرار إليه وعـدم الاستغنـاء عنه طرفة عين، من عرفه سبـحانه لم يلتفت إلى غيره ولم يجعل مقـصده سواه ولم يعول على

---

(١) رواه النسـائي (٧/ ١٠٥، ١٠٦)، واللـفظ له، وانظر: «صـحـيح النسـائي» للألبـاني (٣٧٩١)، و«الصحيحة» (١٧٢٣).

غيره سبحانه، وهذا هو الذي تميز به الجيل الأول، ورباه الرسول الكريم ﷺ ونماه في نفوسهم فـأصبحوا وقد أعـرضت نفوسهم عن ما سـوى ربهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (سورة التوبة: ١١١).

فليس لغير الله في حياتهم نصـيب لا ظاهرًا ولا باطنًا، وقد وصفهم المولى جل وعلا بقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣). انتهى (مختصر شعب الإيمان للبيهقي).

ولهذا كان السلف الـصالح يجتهدون غـاية الإجتهاد في تصحـيح نياتهم ويرون الإخلاص أعز الأشيـاء وأشقها على النفس وذلك لمعرفـتهم بالله وما يجب له وبعلل الأعمال وآفاتها ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه أو المنقصة له.

قال الإمام أحـمد ـ رحمه الله ـ: «أمر النيـة شديد». وقال سفيـان الثوري: «ما عـالجت شيـئًا أشـد عليَّ من نيـتي لأنها تتـقلب علي». وقـال يوسف بن أسبـاط: «تخليص النية من فسـادها أشد على العاملين من طـول الاجتـهـاد». وقال سهل بن عبد الله: «ليـس على النفس شيء أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيـه نصيب». وقال يوسف بن الحـسين: «أعز شيء في الدنيا الإخـلاص، وكم أجتهد في إسـقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر».

فيـجب على من نصح نفسـه أن يكون اهتمـامه بتصـحيح نيتـه وتخليصـها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

قال ابن القيـم:

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد ❊ فلا يزاحمه مراد ثاني

والصدق توحيد الإرادة وهو ❊ بذل الجهد لا كسلاً ولا متواني

والسنة المثلى لسالكها ❊ فتوحيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله ـ رحمه الله ـ: والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد جعل الإخلاص أحد ركني توحيد العبادة والصدق ركنه الآخر وفسر الصدق بما ذكره، وقال في بعض كلامه: ومقام الصدق جامع للإخلاص، فعرفنا ـ رحمه الله ـ أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص ولم يذكر إلا عمومًا مطلقًا[1].

واعلم ـ يا عبد الله ـ أن من نوى عملاً صالحًا ولكن حبسه عنه حابس فإن الله يكتب له أجر ما نوى، فعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: **«إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم حبسهم المرض»** وفي رواية : **«إلا شاركوكم في الأجر»**[2]، قوله «في غزاة»: أي في غزوة، فمعنى الحديث كما أسلفنا أن الإنسان إذا نوى العمل الصالح ولكنه حبسه عنه حابس فإنه يكتب له الأجرُ أجرَ ما نوى. أما إذا كان يعمله في حال عدم العذر، أي: لما كان قادرًا كان يعمله ثم عجز عنه فيما بعد فإنه يكتب له أجر العمل كاملاً، لأن النبي ﷺ قال: **«إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**[3]، فالمتمني للخير الحريص عليه إن كان من عادته أنه يعمله ولكنه حبسه عنه حابس، كتب له أجره كاملاً، فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد ولكنه حبسه حابس كنوم أو مرض أو ما أشبهه فإنه يكتب له أجر المصلي مع الجماعة تمامًا من غير نقص، وكذلك إذا كان من عادته أن يصلي تطوعًا ولكنه منعه منه مانع، ولم يتمكن منه فإنه يكتب له أجره كاملاً، وغيره من الأمثلة الكثيرة.

أما إذا كان ليس من عادته أن يفعله فإنه يكتب له أجر النية فقط دون أجر العمل. ولهذا ذكر النبي ﷺ في مَن آتاه الله مالاً فجعل ينفقه في سبيل الخير وكان

---

(١) «تعريف العبادة»، عبد الرحمن أبابطين.

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦)، (١٠٥)، كتاب «الامارة».

(٣) رواه البخاري (٢٩٩٦).

رجل فقير يقول: لو أن لي مال فلان لعملت فيه عمل فلان، قال النبي ﷺ: «فهو بنيته فهما في الأجر سواء»[١].

وقال الإمام ابن رجب ـ رحمه الله ـ في شرحه لحديث: «إنما الأعمال بالنيات» ما ملخصه: واعلم أن العمل لغير الله أقسام ـ فتارة يكون رياء محضًا بحيث لا يراد به سوى مراءات المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ (سورة النساء: ١٤٢).

وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء المحض في قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ (سورة الانفال: ٤٧). وهذا الرياء المحض في قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾. وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتي يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز. وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضًا وحبوطه وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء وكان خاطراً ودفعه فإنه لا يضره بغير خلاف، فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري.

عِبَادَ اللَّه . . . إن إخفاء العمل وأسراره بين العبد وبين ربه أدعى إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، وقد جاء في الحديث أن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه»[٢]. وقال الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٢).

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٥)، كتاب «الزهد»، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري (٦٨٠٦)، ومسلم (٧٥٨).

# الاستقامة وأثرها على الفرد والمجتمع

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الاستقامة وأثرها على الفرد والمجتمع. الاستقامة ورد ذكرها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ في عدة مواضع بأمر الله بها ويثني على أهلها ويعدهم بجزيل الأجر والثواب، قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ آمرًا له أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة فصلت:٦).

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة هود:١١٢). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ

عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (سورة فصلت: ٣٠-٣٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأحقاف: ١٣-١٤).

وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ (سورة الجن: ١٦).

وفي حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك - وفي حديث أسامة: غيرك - قل ﷺ: **«قل: آمنت بالله فاستقم»**[1]، وقال ﷺ في حديث ثوبان: **«استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»**[2].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: يا رسول الله، ولا أنت؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»**[3].

فهذه الآيات والأحاديث تحث على الاستقامة وترغب فيها، وتبين ثواب أهل الاستقامة مما يجعلنا نتطلع إلى معنى الاستقامة. ما هي الاستقامة التي هذه مكانتها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حتى نعمل بها؟ وأما معنى الاستقامة فقد بيَّن العلماء - رحمهم الله - أن الاستقامة هي الاعتدال. وضدها الاعوجاج والميل، هذا

---

(١) رواه مسلم (٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢١٧٨٣)، وهو في «صحيح الجامع» (٩٥٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٦).

من حيث اللغة. يقال: خط مستقيم يعني خط لا عوج فيه ولا ميل. قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣). وقال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة: ٦).

الصراط المستقيم هو الطريق المعتدل الذي ليس فيه اعوجاج ولا ميل بخلاف الطرق الضالة فإن فيها اعوجاج وفيها ميل وفيها مخاطر. أما الصراط المستقيم، صراط الله سبحانه وتعالى فهو طريق معتدل لا اعوجاج فيه ولا ميل ولا خطر على من سلكه. فالاستقامة معناها الاعتدال على طاعة الله سبحانه وتعالى، الاعتدال على شريعة الله، الاعتدال على كلمة التوحيد، هذه هي الاستقامة شرعًا كما تدل على ذلك عبارات السلف، كلها تجتمع على أن الاستقامة شرعًا هي لزوم طاعة الله سبحانه وتعالى من غير ميل ومن غير التفات إلى غيرها.

فهي تعني لزوم ما شرعه الله سبحانه وتعالى في التوحيد وإخلاص العبادة لله وفي الآداب والأخلاق والتعامل مع الناس، وفي كل ما يفعله الإنسان في هذه الحياة يكون مستقيمًا على المنهج الصحيح الذي رسمه الله سبحانه وتعالى وبينه رسوله ﷺ: لأن هذا المنهج هو منهج الذين أنعم الله عليهم. كما قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الفاتحة: ٥-٦). فالذين أنعم الله عليهم هم أهل الاستقامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فالاستقامة تعني التوسط بين الإفراط والتفريط، بين التساهل وعدم المبالاة وبين الغلو والتشدد، هذا هو طريق الاستقامة لأن دين الله بَين الغالي والجافي، الغالي: هو الذي يزيد ويتشدد، والجافي: هو المتساهل الذي لا يهتم بدينه بل هو مفرط، وكذلك الغالي والمتشدد الذي يزيد في العبادة ويزيد في التمسك يظن أنه بذلك يطيع الله ورسوله، هو بالعكس لأن من خرج عن الجادة ومال عنها سواء بتساهل أو بتشدد خرج عن شرع الله سبحانه وتعالى.

فالاستقامة هي الاعتدال من غير جفاء وتساهل ومن غير زيادة وتسدد وإفراط في العبادة، هذا هو طريق الاستقامة.

وقد بين الله تعالى جزاء أهل الاستقامة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (سورة الأحقاف:١٣). قالوا ربنا الله نطقوا بالشهادتين: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم استقاموا على هذا فعملوا بمقتضى الشهادتين، وأخلصوا العبادة لله عزَّ وجلَّ ولم يشركوا بالله شيئًا ولم يقصروا في عبادة الله ولم يتكاسلوا عن طاعة الله، أدوا الفرائض وأيضًا اجتهدوا في النوافل في العبادات على ما رسم الرسول ﷺ وكذلك حققوا شهادة أن محمدًا رسول الله فاتبعوه فيما شرع وتجنبوا البدع والخرافات والمحدثات ولزموا سنة الرسول ﷺ عملاً بقوله ﷺ: **«من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[(١)]، وفي رواية: **«من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد»**[(٢)]. فقول «ربنا الله»: يحتاج إلى تحقيق ويحتاج إلى عمل وإلى صدق ويحتاج إلى إخلاص؛ فمن قال: ربنا الله فلابد أن يستقيم على طاعة الله بالقول والعمل والإخلاص والصدق واليقين، والذين فعلوا ذلك ما هو جزاؤهم؟ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ (سورة الأحقاف:١٣). ملائكة الرحمة تتنزل عليهم عند الموت تبشرهم لأن الإنسان يخاف عند الموت وخصوصًا الكافر والمنافق إذا عاين الموت فإنه يكره الموت لأنه يعرف مصيره المؤلم!.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عِبَادَ اللهِ . . . أما المؤمنون أهل الاستقامة فإن الملائكة تتنزل عليهم في هذه اللحظة ـ في لحظة الموت ـ فتطمئنهم وتقول لهم: لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٨١).

لأنكم قادمون على رب رحيم وعلى جنات نعيم، ولا تحزنوا على ما تركتم من الأولاد والزوجات الذين تخافون عليهم الضياع، لا تخافوا عليهم، لا تحزنوا على فراق الدنيا فراق الأولاد والأهل فنحن نخلفكم فيهم، وتبشرهم بالجنة عند سكرات الموت عند ذلك يحبون لقاء الله. فالمؤمن إذا بشر بلقاء الله أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، والكافر والمنافق إذا بشر بالنار كره لقاء الله فكره الله لقاءه.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: كانوا مع المؤمنين يعينونهم على طاعة الله ويحفظونهم بأمر الله لأن المؤمن موكل به ملائكة، وكل إنسان موكل به ملائكة، ولكن المؤمن يكون معه ملائكة يحفظونه ويسددونه ويأمرونه بالخير وينهونه عن الشر.

﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾: نحن معكم في الآخرة، لا تخافوا من أهوال الآخرة نحن معكم ونسير معكم ونحن معكم في الجنة كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (سورة الرعد:٢٣-٢٤). هذه عاقبة أهل الاستقامة عند الموت وفي الآخرة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (سورة فصلت:٣١). أي ما تطلبون. كل ما طلبتم في الجنة فهو موجود موفور، هذا بخلاف الدنيا لأن الإنسان في الدنيا قد يطلب أشياء ولا يحصل عليها، وقد يتمنى أشياء ولكن لا يحصل عليها، والجنة دار سرور: ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (سورة فصلت:٣٢).

النزل: الضيافة، والله أعد الجنة ضيافة لأهل الاستقامة وهذا النزل ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾، ما ظنكم بضيافة الغفور الرحيم؟. ماذا تكون؟ لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وفي الآية الأخرى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة الأحقاف:١٣). مثل الآية التي قبلها لا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما تركوا من الدنيا: ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأحقاف:١٤). فليسوا يمرون ويجلسون فيها يومًا أو يومين ثم يرحلون

ويروحون بل خلود دائم. والإنسان في هذه الدنيا قد يسر بعض الأحيان، قد ينزل في منزل طيب في حديقة في روضة فيها أزهار ولكن نزوله لحظة ثم يرتحل، قد ينزل الإنسان في ظل بارد لكن ليس هو بدائم!!.

لكن نعيم الجنة دائم، أهلها خالدون فيها، لا يخافون أن يخرجوا منها، ولا يخافون أن يسطوا عليهم أو أن يظلمهم أحد، أو أن يعتدي عليهم أحد. دار أمان؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمنهم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢).

أمن في الآخرة أمن لأهل الجنة، لا خوف معه أبدًا، أما الدنيا قد يحصل فيها أمن ولكن مشوب بالخوف والحذر، فالأمن في الدنيا لا يدوم.

أما أمن الآخرة فإنه أمن خالص لا يخافون من ظلم، ولا من موت، ولا من مرض، ولا من انتقال، ولا من اعتداء، ولا من لصوص، ولا من قطاع طرق، ولا من أي ظالم، لا يخافون شيئًا؛ لأن الله أمنهم، فهم إخوان على سرر متقابلين لا يدبر أحدهم عن الآخر بل في مواجهة دائمًا لأنهم إخوان. هذا بسبب الاستقامة وهذا جزاء الإستقامة على الدين في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ (سورة هود: ١١٢). الطغيان هو الزيادة على المشروع، وفي الآية الأخرى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (سورة فصلت: ٦).

ما الحكمة في الأمر بالاستغفار بعد الأمر بالاستقامة؟ لأن الإنسان بشر يحصل منه خطأ ويحصل منه بعض التفريط فيرتفع هذا بالاستغفار لما يصدر منه من خلل في الاستقامة؛ لأنه لا يستطيع الاستقامة كلها. والمعنى استقيموا على الطاعة فإن حصل منكم تقصير فعليكم بالاستغفار؛ لأن الاستغفار يمحو التقصير.

وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا يقول ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا**» هل يستطيع أحد أن يحصي كل الطاعات ولا يترك منها شيئًا؟ لا يستطيع أحد أن

لا يحصل منه تقصير أبدًا: «استقيموا ولن تحصوا» هذا إخبارٌ من الرسول ﷺ لأن الإنسان عرضة للخطأ، عرضة للتقصير وعدم إحصاء كل الطاعات، ولكن عليه بالاستغفار.

والإنسان يعتبر نفسه مقصرًا دائمًا في حق الله سبحانه وتعالى فيستغفر الله؛ ولهذا يقول سيد الخلق محمد ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» (١).

اعتراف بالتقصير في حق الله سبحانه وتعالى؛ لأن حق الله عظيم ولا يحصيه رسول الله ﷺ مع اجتهاده في العبادة التي لا يماثله أحد من الخلق فيها، ومع هذا يعتذر إلى ربه ويقول: «**لا أحصي ثناء عليك**»؛ لأنك مهما عبدت الله واجتهدت فإن نعم الله وفضله عليك أكثر ولكن الله جلَّ وعلا عفو غفور. فلو صليت الليل والنهار وصمت الدهر كله وأنفقت الأموال الكثيزة وعملت ما عملت فإنك لن تستكمل الدين كله، الدين أكثر وأكثر. ولكن الله سبحانه وتعالى إذا عملت ما تستطيع عفا الله عنك ما لا تستطيع: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦).

اللهم ارزقنا الاستقامة على دينك، والسلامة من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦).

# الأسوة الحسنة

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب: ٧٠-٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الأسوة الحسنة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (سورة الممتحنة: ٤-٦).

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام: ٨٩-٩٠).

وأما الأدلة من السنة؛ فمنها ما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**، قال أبو رافع: فحدثت عبد الله بن عمر فأنكره علي. فقدم ابن مسعود فنزل بقناة. فاستتبعني إليه عبد الله بن عمر يعوده. فانطلقت معه. فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث فحدثنيه كما حدثته ابن عمر[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ما حق امرئ مسلم تمر عليه ثلاث ليالٍ إلا وعنده وصيته»، قال عبد الله بن عمر: ما مرت عليَّ منذ سمعت رسول الله ﷺ، قال ذلك إلا وعندي وصيتي**[2].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١): هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزَّ وجلَّ[3].

وقال ابن حجر: «كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم»[4].

---

(١) رواه مسلم (٥٠)، قناة: واد من أودية المدينة.

(٢) رواه مسلم (١٦٢٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٨٣).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٥١).

وقال بعضهم في التأسي بالنبي ﷺ :

**إذا نحن ادلجنا وأنت إمـــامنا ۞ كفى بالمطايا طيب ذكراك حاديًا**
**وإن نحن أضللنا الطريق ولم نجد ۞ دليلاً كفانا نور وجهك هاديًا**[١]

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن للقدوة الحسنة أهمية كبيرة ومكانة عظيمة، ولا شك أن العلماء والدعاة إلى الله هم أكثر الناس خشية لله عزَّ وجلَّ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر:٢٨). ولاشك أن الداعية إلى الله تعالى بحاجة شديدة جدًا إلى تطبيق ما يقول ويدعو إليه حتى يقتدي به الناس؛ ولهذا بين ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذه المسألة وشدد في عدم التزامها حيث قال: «علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم فلو كان ما يدعون إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له»[٢]، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق.

وقال ـ رحمه الله ـ: «إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب خطه، ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه»[٣].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي جعل العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فقال الله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (سورة فاطر: ١٠).

---

(١) «الفوائد» (٥٦).
(٢) «الفوائد» (١١٢).
(٣) «الفوائد» (١٩٢).

عِبَادَ اللَّهِ . . . بوب الإمام البخاري بابًا قال فيه: (باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ)، ثم ساق الحديث: **اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتمًا من ذهب»، فنبذه، وقال: «إني لن ألبسه أبدًا»، فنبذ الناس خواتيمهم** [(١)].

قال ابن بطال: «فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول، ولهذا أمثلة كثيرة فإنه خلع خاتمه فخلعوا خواتيمهم في هذه القصة، ونزع نعله في الصلاة حينما أخبره جبريل أن فيهما أذىً فنزعوا. ولما أمرهم عام الحديبية بالتحلل، وتأخروا عن المبادرة رجاء أن يُأذن لهم في القتال وأن يُنصروا فيكملوا عمرتهم، قالت له أم سلمة: اخرج إليهم واذبح واحلق ففعل فتابعوه مسرعين» [(٢)].

ولأهمية القدوة وعظيم مكانتها فقد حذر النبي ﷺ الدعاة من المخالفة لما يقولون فبين ﷺ في الحديث الشريف حال الدعاة الذين يأمرون الناس وينهونهم وينسون أنفسهم قال: **«أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به»** [(٣)].

وإن مما يذكر في هذا الشأن أن انحراف كل من تأثر به أو سمع منه، وما ذلك إلا بسبب أن سلوك الداعية وتصرفاته كلها مرصودة من قبل الناس، وجميع أفعاله وأقواله موضوعة تحت المجهر. فليحتط الداعية لهذا الأمر المهم، ويراقب أفعاله وأقواله وليري الله تعالى من نفسه خيرًا.

إن جميع الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أولهم إلى آخرهم كانوا قدوة حسنة لأقوامهم، ولهذا قال شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود: ٨٨).

---

(١) رواه البخاري، وفي الفتح (١٣/ ٢٧٤).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٢٧٥).
(٣) البيهقي عن أنس رضي الله عنه وحسنه الألباني في «الجامع الصغير» (٢/ ١٦) برقم (١٢٨).

وإن الناس كما ينظرون إلى الداعية في أعماله وتصرفاته ينظرون إلى أسرته وأهل بيته وإلى مدى تطبيقهم لما يقول، وهذا يفيد ويبين أن الداعية كما يجب عليه أن يكون قدوة في نفسه يجب عليه أن يُقَوّمَ أهل بيته وأسرته ويلزمهم بما يأمر به الناس ويدعوهم إليه، ولهذه الأهمية كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: **«إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأُقْسمُ بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة»**[1].

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ: «وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة ولاسيما العامة وأرباب العلوم القاصرة، فإنهم ينتفعون من السير والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها»[2].

ولقد تنبه لخطورة هذا الأمر الفقيه أبو المنصور الدمياطي فأخذ يحذر القدوات قائلاً:

**أيها العالم إياك الزلل ☆ واحذر الهفوة فالخطب جلل**
**هفوة العالم مُستعظمة ☆ إن هفا أصبح في الخلق مثل**
**وعلى ذلته عمدتهم ☆ فيها يحتج من أخطأ وزل**
**لا تقل يستر علمي زلتي ☆ بل بها يحصل في العلم الخلل**
**إن تكن عندك مستحقرة ☆ فهي عند الله والناس جبل**
**فإذا الشمس بدت كاسفة ☆ وجل الخلق لها كل الوجل**
**وترامت نحوها أبصارهم ☆ في انزعاج واضطراب وزجل**
**وسرى النقم لهم من نقصها ☆ فغدت مظلمة منها السبل**
**وكذا العالم في زلته ☆ يَفْتِنُ العالم طرًا ويُضِلْ**
**يُقْتَدَى منه بما فيه هفا ☆ لابما استعصم فيه واستقل**
**فهو ملح الأرض ما يصلحه ☆ إن بدا فيه فسادٌ وخلل**

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٢/ ٦٨)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٣/ ٣١).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١١٠).

## الخطبة الأولى:

الحمد لله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعلمون، أحمده سبحانه يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المخلصين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا دينهم لله فكانوا من عباد الله الصالحين المخلصين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

**أيها المسلمون** ... اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، واعلموا أن منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والله خبير بما تعملون، وأخلصوا دينكم لله تكونوا من المؤمنين، وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا.

**معشر المسلمين** ... حديثي معكم في هذه اللحظات عن اختيارات مختصرة من أقوال السلف الصالح وأعمالهم في عدد من المجالات، رجاء الانتفاع منها والتأثر بها، والسير على نهجهم والاقتداء بهديهم.

**أيها المسلمون** ... لقد كان سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم رضوان الله عليهم ـ يقتدون ويتأسون برسول الله ﷺ في القول والعمل والاعتقاد، عملاً بقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

ولقد كان من سمات النبي ﷺ وهديه أنه أحسن الناس خلقًا وأصدقهم منطقًا وأسلمهم قلبًا وأكرمهم نفسًا وأكثرهم لله ذكرًا واستغفارًا وأشدهم خشية وإخلاصًا وتقوى.

أيها المسلمون . . . لقد كان السلف الصالح ـ عليهم رحمة الله ورضوانه ـ متبعين بأعمالهم وداعين إلى المتابعة بأقوالهم ففي مجال الإخلاص يقول النبي ﷺ : «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهه»[1].

وقال محمد بن الحنفية ـ رحمه الله ـ : «كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل» والإخلاص من أسباب إجابة الدعاء.

قال عبد الواحد بن زيد ـ رحمه الله ـ : الإجابة مقرونة بالإخلاص، لا فرقة بينهما، وقال محمد بن واسع ـ رحمه الله ـ : لقد أدركت رجالاً يكون رأس أحدهم مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده لا يشعر به الذي إلى جنبه.

وقال أبو التياح يزيد بن حميد ـ رحمه الله ـ: لقد كان الرجل يقرأ عشرين سنة ما يعلم به جيرانه.

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: كانوا يتعلمون النية كما يتعلمون العلم. فالإخلاص ـ أيها المسلمون ـ مطلب عزيز لا يناله إلا الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون.

---

(١) رواه النسائي (٣٠٨٩)، «صحيح الجامع»(١٨٥٦).

. مكث سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ أربعين سنة ما أذن المؤذن إلا وهو في المسجد.

وكان عبد الله بن الزبير ﷺ إذا صف للصلاة كأنه عود من الخشوع.

وكان زين العابدين علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ لا يترك صلاة الليل لا سفراً ولا حضراً.

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

**وفي مجال الذكر:** أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بالإكثار من ذكره قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (سورة الأنفال: ٤٥).

وقال ميمون بن سياه البصري: إذا أراد الله بعبد خيراً حبب إليه ذكره، وقال محمد بن علي بن الحسين ﷺ: إن الصواعق نصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر لله عزَّ وجلَّ.

**وفي مجال الصدقة والإحسان إلى المحتاجين:** قال ابن عباس ﷺ: «**لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعدحجة**».

ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد ﷺ في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال علي: ما شأنك؟ قال: عليَّ دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: هو عليَّ.

ولقد كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل.

وكان عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ إذا كان أيام الرطب ثلم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية: ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ (سورة الكهف: ٣٩). حتى يخرج .

**وفي مجال النزاهة والورع والزهد:** لما قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وكان عمر ابن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ عامله عليها فصلى بالناس الظهر، ثم فتح باب المقصورة فنظر إلى صفوان بن سليم من غير معرفة، فقال: يا عمر من هذا الرجل ما تراءيت سمة أحسن منه؟!، فقال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم، فقال لخادمه: خذ هذا الكيس فيه خمسمائة دينار، ادفعه إلى ذلك الرجل القائم يصلي، وخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم وأقبل عليه، فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين أن أدفع إليك هذا الكيس وفيه خمسمائة دينار، فقال صفوان: ليس أنا الذي أرسلت إليه فاذهب فاستثبت، فولى الغلام ثم أخذ صفوان نعله وخرج، فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير الذاكرين وقدوة العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

أيها المسلمون . . . اتقوا الله تعالى تقبل أعمالكم، وتغفر ذنوبكم، وتيسر أموركم.

عباد الله . . . وأما في مجال حسن الظن بالمسلمين: قال جعفر بن محمد ـ رحمه الله ـ: إذا بلغك عن أخيك ما تكرهه فاطلب له من عذر إلى سبعين عذرًا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه.

وكان محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ إذا ذكروا عنده أحدًا بسوء يذكره هو بخير، وجاء رجل إلى وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ فقال: مررت بفلان وهو يشتمك فغضب وهب، وقال: ما لقي الشيطان رسولاً غيرك؟!.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: من أحب أن يُقضى له بالحسنى فليُحْسِن بالناس الظن.

**وفي مجال قبول الحق:** قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: ما أوردت الحق على أحد فقبله إلا هبته، ولا كابدني أحد على الحق إلا سقط من عيني، وكان يقول: ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد.

**وفي حسن الاستماع:** كان عطاء بن أبي رباح ـ رحمه الله ـ إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه، يصغي إليه كأنه ما سمعه قط، لا يخجل الرجل.

**وفي الصمت:** قال وهيب بن الورد ـ رحمه الله ـ: الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت. وقال أيضًا: إن العبد ليصمت فيجتمع له لبه، وقال بعضهم: الصمت عبادة من غير عناء وزينة من غير حلي، وهيبة من غير سلطان، وحصن من غير سور، وراحة للكاتبين من غير تعب، وغنية عن الاعتذار.

**وفي ترك المراء والجدل:** قال بعضهم: إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد شرًا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن.

**وفي مجال فتنة النساء:** قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ: ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء. وقال أيضًا وقد بلغ الرابعة والثمانين وذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى، قال لبعض أصحابه: ما من شيء أخوف عندي من النساء.

**وفي مجال بر الوالدين:** كان محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ إذا كلم أمه لا يكلمها بلسانه كله إجلالاً لها.

**وفي مجال ترك الغيبة:** قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: والله للغيبة أسرع فسادًا في دين العبد من الأكلة في الجسد، وقال أيضًا: إذا رأيت الرجل يشتغل بعيوب غيره ويترك عيوب نفسه، فاعلم أنه قد مُكِرَ به.

وقال بعضهم: ما اغتبت أحدًا منذ عرفت ما في الغيبة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

معشر المسلمين . . . لقد كان السلف الصالح من هذه الأمة على بينة من أمر ربهم ـ عزَّ وجلَّ ـ وسنة نبيهم ﷺ ففي مجال ضبط العمل وأكل الحلال، قال وهيب بن الورد ـ رحمه الله ـ : لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه، لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام؟

**وفي مجال البعد عن المتشابه:** قال عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: لأن أرد درهمًا من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بستمائة ألف ألف.

**وفي التصدي للتعليم والفتيا:** قال مالك ـ رحمه الله ـ: لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً للشيء، حتى يسأل من هو أعلم منه.

**وفي لزوم الطاعة وترك المعصية:** قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ : «ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله عزَّ وجلَّ».

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: لم يجتهد أحد قط اجتهادًا ولم يتعبد أحد عبادة أفضل من ترك ما نهى الله عنه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: **«إنكم لم تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب»**.

**وفي مجال الخوف من الله تعالى:** قيل لسعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: من أعبد الناس؟ قال: رجل اجترح من الذنوب ثم تاب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله.

وذكر وهب بن منبه أن الله أوحى إلى داود ﷺ: هل تدري من أغفر له ذنوبه من عبيدي؟ قال: من هو يارب؟ قال: الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت فرائصه، فذلك العبد الذي آمر ملائكتي تمحو عنه ذنوبه.

**وفي مجال الاستعداد للآخرة:** قال مسروق بن عبد الرحمن ـ رحمه الله ـ: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ من الله حذره.

وقال أبو حمزة: رأيت صفوان بن سليم ـ رحمه الله ـ ولو قيل له غدًا القيامة ما كان عنده مزيد على ما كان عليه.

وقال أبو حازم ـ رحمه الله ـ: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.[1]

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم ـ عليهما رحمة الله ـ.

# الأمان من مكائد الشيطان

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب:٧٠-٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة:١٦٨-١٦٩). في هاتين الآيتين المباركتين: التحذير من اتباع خطوات الشيطان ومن اتباع طريقته. فعلى المسلم أن يحرص كل الحرص على الإخلاص لله عزَّ وجلَّ فإنه المخلِّص، لا يتسلط عليه الشيطان؛ فالشيطان عدو لدود، ولا يبرز أمامك فتتصف منه: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (سورة الأعراف:٢٧). وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ

النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ (سورة الناس: ١-٦). فهو يأتي ويوسوس لك حتى يقضي ما يريد في جميع وسائل الحياة، فإن استطاع أن يدعوك إلى الشرك فعل، لأن الشرك أعظم معصية، حتى الذي يدعو الهادي وابن علوان بل يدعو رسول الله ﷺ إنما يدعو الشيطان: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ (سورة النساء: ١١٧).

فإن استطاع أن يوصلك إلى الشرك فتلك أمنيته، وإن لم يستطع فإلى المعاصي وإلى الوساوس الرديئة. وربما يتسلط بالصرع وإن كان أنكره الفلاسفة وأتباعهم: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٥).

فآكل الربا يقوم من قبره كالمصروع، والمصروع تشاهدون حالته، ثم إن الصرع ينقسم إلى قسمين: صرع من الجن، وصرع من أخلاط ومن مرض أعصاب، والكل من وساوس الشيطان ومن دعوته فتحرز منه بالأذكار وبمتابعة النبي ﷺ فقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأتي أحدنا فيقول له: اذكر كذا وكذا فإذا أذن المؤذن أدبر وله حصاص ـ أي: ضراط ـ فإذا سكت المؤذن رجع وإذا ثوب ـ أي: أقام ـ أدبر، فإذا سكت ودخلت في صلاتك أتى وذكّرك ما لم تكن تذكر: اذكر كذا واذكر كذا، وسرحك إلى سفريات طويلة، حتى لا يدري كم صلى. وعندما شكا عثمان بن أبي العاص أمره النبي ﷺ أن ينفث على يساره ثلاث مرات ويستعيذ بالله من الشيطان. فإذا رأيت أخًا يلتفت في الصلاة قليلاً وينفث ويستعيذ بالله من الشيطان فلا تظن أنه يتفلك وأنه ينفث فيك، وإنما يستعيذ بالله من الشيطان الذي يلبس عليه صلاته.

وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أصرع فادع الله لي، فقال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك»، فقالت: أصبر ولي الجنة ولكني أتكشف فادع الله ألا أتكشف، فدعا لها ألا تنكشف، فكان ابن عباس رضي الله عنهما

يقـول: «من أراد أن ينظـر إلى امـرأة من أهل الجنة فلينـظر إلى هذه المرأة». صبـر واحتساب، بخـلاف ما نحن عليه إذا أصيب ولده بالصرع أو أصـيبت امرأته أو أخوه فلا يترك كاهنًا ولا منـجمًا إلا ويذهب إليه، بل يبقى يرتعد هو نفـسه وبذلك يتشجع الشيطـان، إذا رآك رعديدًا، وإذا رأى ولدك رعديدًا منـه تشجع: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (سورة الجن: ٦). فكلما ازددت خوفًا من الجن ازدادوا شجاعة عليك، فعليك أن تعتصم بالله عزَّ وجلَّ وتلتجئ إلى الله جلَّ وعلا.

ولقد رأى النبي ﷺ رجلين يختصمان قد انتفخت أوداج أحدهما واحمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، وربما يزعجك الشيطان في بيتك وعلاج ذلك قراءة آية الكرسي، فالنبي ﷺ يقول في سورة البقرة: «**إن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**». فعليك بقراءة سورة البقرة بإخلاص.

فالأمر يحتاج إلى اتباع وإخلاص، لأن العدو كـما تقدم لا يبرز أمامك فتنتصف منه، ولكن تفـتح الباب بعد مـا تسمع مـا تسمع فـلا تجد أحدًا، فـعليك بالتوحـيد والاعتصام بالله عزَّ وجلَّ.

**هذا .. ومن الأسباب التي يتسلط الشيطان على العبد بسببها: الغفلة عن ذكر الله** قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (سورة الزخرف: ٣٦-٣٨). وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة المجادلة: ١٩).

**ومن الأسباب التي يتسلط الشيطان بسببها:** خروج المرأة؛ ففي «جـامع الترمذي» عن ابن مـسعـود رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «**المرأة عـورة فـإذا خـرجت استـشـرفـهـا**

الشيطان»، يقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وحديث: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»، وحديث: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله؛ فإن ذلك يرد ما في نفسه».

عِبَادَ اللَّهِ . . . علينا أن نعتصم بالله عزَّ وجلَّ وأن نفزع إلى الله، فإن نواصي الجن والشياطين بيد الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ (سورة هود: ٥٦).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عِبَادَ اللَّهِ . . . ومما يعصم من الشيطان بإذن الله: أربع ركعات في أول النهار، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يا ابن آدم تقرب إلي بأربع ركعات في أول النهار أكفك آخره»، وكذا قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة، ففي «الصحيح» عن أبي مسعود عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

فكل الأمور خاضعة لله: ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (سورة الأعراف: ٥٤). نلتجئ إليه. والنبي ﷺ يقول مبينًا لهذا العدو اللدود أنه حتى في وقت الجماع تحتاج إلى أن تستعيذ بالله منه: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان»، ويقول أيضًا ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، ولا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا؛ فإن لو تفتح باب الشيطان، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل».

فالإيمان بالقدر له أثر كبير في رجولتك وفي شجاعتك وفي كرمك، وأنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (سورة التوبة: ٥١). فعلينا أن نتوكل على الله وأن نقطع اليأس من غير الله جلَّ وعلا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠١). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

**اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ (سورة الطلاق:٣). قال تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ (سورة الزمر:٣٦).
أما يكفينا أن الله سبحانه وتعالى الذي حفظنا في ظهور آبائنا ثم في بطون أمهاتنا ثم ونحن أطفال لا نفرق بين التمرة والجمرة؟!. فعلينا أن نعتمد على الله سبحانهوتعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ (سورة الرعد:١١).
أي: بأمر الله سبحانه وتعالى.

عباد الله . . . لقد بين الله سبحانه وتعالى ضعف الساحر الذي تهابه قلوب كثير من الناس: ﴿ **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ (سورة طه:٦٩). فينبغي أن نعرف قدر الساحر وأنه ذليل مهين ليس له قدرة على شيء إلا أن يريد الله سبحانه وتعالى، ونبينا محمد ﷺ قد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي حتى كان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولما يأتهن، حتى نزل ملكان ورقياه وشفي النبي ﷺ، وأخبراه أن السحر في بئر ذروان في مشط ومشاطة ـ أي: في شيء من الشعر ـ المشط الذي يمتشط به، والمشاطة الشعر التي تخرج من الرأس، فقيل للنبي ﷺ: ألا نخرجه؟ قال: **«لا اريد ان اثير على الناس شراً وقد شفاني الله عزَّوجلَّ»**.

فعلى المسلم إذا ابتلي بشيء أن يصبر ويحتسب ويسأل أهل العلم، فقد وجد أناس من أهل السنة يعالجون الصرع بأذكار مشروعة. فيجب أن يعطي الطبيب الحكمة وأن يقول للمريض: بحمد الله أنت بخير، عليك أن تربط قلبك بالله عزَّ وجلَّ، وأن تكثر من تلاوة القرآن، ومن المحافظة على الأذكار، والنبي ﷺ يقول: **«من قال في يومه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة، كتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال اكثر مما قال»**، وإذا قالهن في المساء كذلك.

والذكر عبادة تقربك إلى الله عزَّ وجلَّ، فتظهر الفقر والاحتياج إلى الله عزَّ وجلَّ الذي يسترك ويشفيك: ﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ (سورة الشعراء:٨٠). ولا تظهره لمخلوق مثلك ربما يسخر منك ويدخل عليك الأوهام ويمتص أموالك.

# أكل الطيبات

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب:٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . موضوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن أكل الطيبات، جعلنا الله وإياكم من أهلها إنه جواد كريم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (سورة البقرة:١٦٨). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (سورة البقرة:١٧٢). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (سورة البقرة:٢٦٧).

وأصل الطيب كما فسره الراغب وهو من أهل اللغة: ما تستلذه الحواس، وما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذي يجوز، وأما الأحاديث الواردة في أكل الطيبات فمنها ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١)، **وقال:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢). **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب. يارب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام. فأنى يستجاب لذلك»**[(١)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو قَلُوصَه، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم»**[(٢)]. ومعنى (فَلُوَّه): المهر يفصل عن أمه والجمع أفلاء، و(قَلُوصَه): هي الناقة الفَتِيـة.

ومن الآثار وأقوال المفسرين في أكل الطيبات ما قاله ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ (سورة البقرة: ١٦٨): «أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله، ﴿ طَيِّبًا ﴾ أي: مستطابًا في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول»[(٣)].

وقال عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢): والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥).

(٢) رواه البخاري «الفتح» (٣/ ١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) واللفظ له.

(٣) تفسير ابن كثير(١/ ٢٠٤).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٠٦).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ مبينًا أن الطيب من كل شيء مختار الله جل وعلا فقال: «اختار الله سبحانه وتعالى من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالى».

وبهذا يُعلم ـ يا عباد الله ـ أن من سمات الطيبين أكل الطيبات وأما خلقه تعالى: فعامٌّ للنوعين أي للطيب والخبيث، وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب، ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن إلا به، فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا هو، وهو أشد شيء نفرة عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء والكذب والغيبة، والنميمة والبهت، وقول الزور، وكل كلام خبيث، وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة، فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة، مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحبب إليه جهده وطاقته، ويحسن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوا به، ويعاملوه به، ويدعهم مما يحب أن يدعوه منه، وينصحهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحملهم أذاه، ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه، وإذا رأى لهم حسنًا أذاعه، وإذا رأى سيئًا كتمه.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي رزق عباده من الطيبات. ومنعهم من الخبائث وسائر المحرمات نحمده ونشكره على آلاءه التي لا تعد ولا تحصى، أما بعد:

عباد الله . . . وللطيب من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر، والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة ـ أي: سلس الطبيعة ـ، والصدق، وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد، والتواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان والعزة، والغلظة على أعداء الله، وصيانة الوجه عن بذله

وتذلله لغير الله، والعفة والشجاعة، والسخاء، والمروءة، وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المريء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية مع سلامة العبد من تبعته.

وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها، ومن الرائحة إلا أطيبها وأزكاها، ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم، فروحه طيب، وبدنه طيب، ومطعمه طيب، ومشربه طيب، وملبسه طيب، ومنكحه طيب، ومدخله طيب ومخرجه طيب، ومنقلبه طيب، ومثواه كله طيب. فهذا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل: ٣٢). ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (سورة الزمر: ٧٣). وهذه الفاء تقتضي السببية، أي: بسبب طيبكم ادخلوها.

والله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فجعل الدور ثلاثة: دارًا أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين، وقد جمعت كل طيب وهي الجنة، ودارًا أخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون وهي النار، ودارًا امتزج فيها الطيب والخبيث وخلط بينهما، وهي هذه الدار، ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية، فإذا كان يوم معاد الخليقة، ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط:

الجنة وهي دار الطيبين، والنار وهي دار الخبيثين، وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم فجعل طيبات أقوال هؤلاء وأعمالهم وأخلاقهم هي عين نعيمهم ولذاتهم، أنشأ لهم منها أكمل أسباب النعيم والسرور؛ وجعل خبيثات أقوال الآخرين وأعمالهمن وأخلاقهم هي عين عذابهم وآلامهم، فأنشأ لهم منها أعظم

أسباب العقاب والآلام. حكمة بالغة وعزة باهرة قاهرة ليُري عباده كمال ربوبيته، وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته، وليُعلم أعداءه أنهم كانوا هم المفترين الكذابين، لا رسله البررة الصادقون. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (سورة النحل: ٣٨-٣٩).

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى جعل للسعادة والشقاوة عنوانًا يعرفان به، فالسعيد الطيب لا يليق به إلا طيب، ولا يأتي إلا طيبًا ولا يصدر منه إلا طيب. ولا يلابس إلا طيبًا، والشقي الخبيث لا يليق به إلا الخبيث ولا يأتي إلا خبيثًا، ولا يصدر منه إلا الخبيث، فالخبيث يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه، والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه. وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها؛ فإن أراد الله به خيرًا طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة فيوافيه يوم القيامة مطهرًا، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهر منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكًا، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث صلح حينئذ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده، وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالاً وتطهيرًا أسرعهم خروجًا، وأبطؤهم أبطؤهم خروجًا، جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد، ولما كان المشرك له خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثًا كما كان كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله على المشرك الجنة. نسأل الله العافية والسلامة.

# الأسباب التي تنجي من الفتن
# وتعصم من المحن

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . هناك أسباب تنجي من الفتن، وتعصم من المحن، ويخرج بها المسلم من الغرق والخُذلان إلى ساحل البر والأمان. فمن ذلك الدعاء: وكيف لا ينجي من الفتن؟ وقد أمر الله تعالى به، وتكفل بالإجابة، وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (سورة غافر: ٦٠). ومن ذلك دعاء الأبوين ـ عليهما السلام ـ حيث قالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٣). ومن ذلك دعوة يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٧).

وقد أخبر النبي ﷺ عنها بقوله: **«إنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»**[(1)].

والدعاء من العبادة بل هو العبادة كما قال ﷺ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه - **«الدعاء هو العبادة»**[(2)]. ومن ذلك دعاء الكرب: **«لا إله إلا الله الحليم الحكيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم»**[(3)].

و ن أعظم ما ينجي من الفتن: الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة، والعض عليهما بالنواجذ. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران:١٠٣). والحبل: الرباط، وهو لفظ مشترك، أصله في اللغة: السبب الذي يتوصل به إلى البغية والحاجة[(4)]. وقد جاء تفسير الحبل ومعناه عن السلف - رحمهم الله - بألفاظ مختلفة ومعانٍ متقاربة متداخلة، فقيل الحبل: بمعنى العهد، فقوله تعالى: ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، أي: بعهد الله، كما قال في الآية التي بعدها: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران:١١٢). أي: بعهد وذمة فالحبل هنا بمعنى العهد. وقد روى ذلك ابن جرير الطبري - رحمه الله - بسنده إلى مجاهد وقتادة وعطاء[(5)]. ونقله القرطبي - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما[(6)].

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات «صحيح الترمذي» (٣/١٣٨).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات. وانظر: «صحيح الترمذي» (٣/١٣٨).

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء . . باب دعاء الكرب (٤/٢٠٩٢ - ٢٠٩٣) رقم (٢٧٣٠)، والترمذي في الدعوات.

(٤) «لسان العرب»: (١١/١٣٤ - ١٤١)، «الجامع لأحكام القرآن»: (٤/١٠٢):، «فتح القدير»: (١/٣٦٧).

(٥) «جامع البيان»: (٤/ ٣١٠).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن»: (٤/١٠٢).

وقيل الحبل بمعنى القرآن. رواه ابن جرير - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود والضحاك والسدي وقتادة، وثبت ذلك في الحديث: «... **كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض...**»[(١)].

وقيل: حبل الله هو الجماعة. رواه ابن جرير - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[(٢)].

وقيل: الحبل: الاعتصام بالإخلاص لله وحده، رواه ابن جرير - رحمه الله - عن أبي العالية[(٣)].

وقيل: الحبل: الإسلام، رواه ابن جرير عن ابن زيد[(٤)].

والحاصل من هذه الأقوال أنه لا تعارض بينها، فكلها متقاربة المعنى متداخلة. (فلا تعارض بين قول من قال: حبل الله هو عهد الله، وبين من قال: إنه القرآن. فالكل حبل الله، والعهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة فالقولان مؤداهما واحد بحمد الله)[(٥)].

وقال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ما نصه : (يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا يريد بذلك - تعالى ذكره - وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهد إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله)[(٦)].

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٢٢٧) رقم (٢٩٨٠).
(٢) «جامع البيان: (٤/ ٣٠، ٣١)، ونقله القرطبي أيضًا في «الجامع لأحكام القرآن»(٤/ ١٠٢).
(٣)«جامع البيان» (٤/ ٣١).
(٤) «جامع البيان» (٤/ ٣٢).
(٥) «تنبيه أولي الأبصار» (ص٤٨).
(٦) «جامع البيان»: (٤/ ٣٠).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير قوله ﴿ولا تَفَرَّقُوا﴾ ما نصه: «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة. وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع الائتلاف. . ، حيث قال ﷺ في حديث العرباض بن سارية ؓ: «أوصيكم **بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»** [(١)]. وقوله: «**عضوا عليها بالنواجذ**»: أي اجتهدو على السنة والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفًا من ذهابه وتفلته، و(**النواجذ**): هي الأنياب، وقيل: الأضراس[(٢)]. وفي هذا الحديث كناية عن شدة ملازمة السنة والاعتصام والتمسك بها[(٣)].

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته والمعتصمين بها من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مَسكَةٌ من إيمان، ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»** [(٤)].

وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ.

وقل ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي»** [(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي في «العلم»، باب ما جاء في الأخذ بالسنة. (٥/ ٤٤، رقم ٢٦٧٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٤٧، رقم ٩٣٧).

(٢) «النهاية في غريب الحديث»: (٥/ ٢٠)، و«الترغيب والترهيب»: (١/ ٧٦).

(٣) «عون المعبود»: (١٢/ ٣٦٠) بتصرف يسير.

(٤) أخرجه البخاري في «الاعتصام»، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ: (١٣/ ٢٦٣٠)، رقم (٧٢٨)، مع «الفتح».

(٥) أصله في مسلم عن جابر ؓ: (٢/ ٨٩٠، رقم ١٢١٨).

ومما ينجي من الفتن ويعصم من المحن الإيمان الصادق والعمل الصالح الخالص لله تعالى، الموافق للسنة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٧). والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت كما قال ابن كثير ـ رحمه الله[١].

ويستلزم من الحياة الطيبة العصمة من الفتن. والإيمان الصحيح ما حصل في القلب وصدقه العمل، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ـ كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة ـ وله شعب تربو على السبعين.

وقُرِنَ الإيمان بالعمل الصالح في آيات كثيرة من القرآن، وذلك لتلازمهما، ولا ينفع أحدهما بدون الآخر. وكذلك مما ينجي من الفتن: التوبة والاستغفار على الدوام والاستمرار . قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور: ٣١). فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، وترك ما نهيا عنه[٢].

**والفلاح**: كلمة جامعة للفوز بكل ما هو مطلوب، والبعد عن كل مرهوب. والتوبة والاستغفار من أسباب المتاع الحسن في هذه الحياة، وجزاء كل محسن إحسانه، وذلك يتضمن حصول المحبوب، والنجاة من المكروه والسلامة من الفتن، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (سورة هود: ٣).

وأخبر سبحانه وتعالى أن الاستغفار يمنع العذاب فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (سورة الأنفال: ٣٣). وإذا كان الاستغفار يمنع العذاب فهو بالتالي

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥٨٥).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٨٦).

يمنع وينجي من الفتن، لأنها من أنواع العذاب، وقد أوصى النبي ﷺ أمته بالتوبة والاستغفار بقوله ﷺ: «ياأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة»[١]، وفي رواية: «وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[٢]. فدل الحديث على الإكثار من التوبة والاستغفار وأهميتهما وملازمة ذلك يوميًا فإنه ينجي ويعصم من الفتن. والله أعلم

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على إمام الذاكرين وسيد المستغفرين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

ومما ينجي من الفتن أيضًا: ذكر الله كثيرًا. قال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥). وقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٢).

قال الحسن البصري: اذكروني فيما أوجبت لكم على نفسي. وقال سعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وفي رواية برحمتي[٣]. وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء[٤].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الآية عامة فهي تتضمن ما ذُكر، كما تتضمن ذكره سبحانه لمن يذكره من الفتن والمزالق، والمحن والمضايق، ويؤيد ذلك أن الله سبحانه أنجى يونس عليه السلام من فتنة الغرق واللبث في بطن الحوت بسبب تسبيحه وذكره الله

---

(١)، (٢) رواهما مسلم ـ بهذين اللفظين ـ في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه: (٤/ ٢٠٧٥ - ٢٠٧٦، رقم ٢٧٠٢).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٩٦).

(٤) «معالم التنزيل» المعروف بـ «تفسير البغوي» (١/ ١٢٨).

تعالى كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ سورة الصافات: ١٤٣-١٤٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ...»**[١]. وفي هذا دليل على فضل ذكر الله تعالى، وأن الله مع من ذكره برحمته ولطفه وإعانته والرضاء بحاله، وهذه معية خاصة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (سورة النحل: ١٢٨). وذلك يتضمن العصمة من الفتن، والله أعلم[٢].

ومما ينجي من الفتن ويعصم منها لزوم تقوى الله عزَّ وجلَّ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وفعل ما أوجب، وترك ما حرم وبسط القول في ذلك في باب التقوى، والله المستعان.

ومما ينجي من الفتن أيضًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد أخبر سبحانه أنهما ينجيان من السوء فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٦٥).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن هذه الآية: (فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين)[٣]. فيفهم من هذا أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ينجيهم الله من الفتن والمزالق ويعصمهم من السوء والمضايق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة النجاة، من ركبها نجا وسلم ومن تخلف عنها هلك، وقد ضرب الرسول ﷺ مثلاً

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء. . . باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى: (٤/٢٠٦٨)، رقم (٢٦٧٥)، وما بعده من الأحاديث.

(٢) «اتحاف أهل الإيمان» (٨٣-٨٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٥٧).

لذلك؛ فقال: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل: قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»**[1]. ومعنى (استهموا على سفينة) أي: انتزعوها فأخذ كل واحد منهم سهمًا، أي: نصيبًا من السفينة بالقرعة بأن تكون مشتركة بينهم إما بالإجارة وإما بالملك[2]. وبيان وجود الفرق الثلاث في المثل المضروب، أن الذين أرادوا خرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المُدهِن. والقائم هو الآمر بالمعروف، والمدهن هو التارك له[3].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: **«ياأيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** (سورة المائدة: ١٠٥)، **وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»**[4].

وقد بوب وترجم الترمذي ـ رحمه الله ـ لهذا الحديث بقوله: (باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر). ومفهوم المخالفة أن تغيير المنكر يقي من العذاب الأليم، والفتن المؤدية إلى الجحيم[5].

---

(١) أخرجه البخاري في الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟. (٥/ ١٥٧، رقم (٢٤٦٣) ـ مع الفتح».
(٢) «الفتح» (٥/ ٣٤٩).
(٣) «الفتح» (٥/ ٣٤٨).
(٤) أخرجه الترمذي في «الفتن»، «صحيح الترمذي» (٢/ ٢٣٢).
(٥) «الجامع الصحيح»، والمعروف بـ «سنن الترمذي» (٤/ ٤٦٧).

ومما ينجي من الفتن، ويقي ويعصم من الشرور والمحن ـ أيضًا ـ التعوذ بالله مما ظهر منها وما بطن، كيف لا؟ وقد أمر وأوصى بها نبينا ﷺ حيث جاء في حديث طويل أنه كان ﷺ مع أصحابه فقال لهم: «.... **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**[1].

هذا وقد استعاذ النبي ﷺ من فتن عديدة، ومحن شديدة، قريبة كانت أم بعيدة؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال...**»[2].

ومن أعاذه الله وقاه من الفتن المذكورة في الحديثين السابقين فقد وقاه من كل شر وسوء في الحال والمآل، لأن ما ذكر فيهما أصول الفتن والمزالق، ومنبع الشرور والمضايق.

وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: «**نعوذ بالله من سوء الفتن**»[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** (سورة التغابن: ١٥). **فأيكم استعاذ فليستعذ بالله تعالى من مضلات الفتن**»، فنعوذ بالله من مضلات وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن[4].

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار. . . : (٤/ ٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧).

(٢) رواه البخاري في الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم (١١/ ١٨٠، رقم ٦٣٦٨).

(٣) رواه البخاري في الفتن، باب التعوذ من الفتن (١٣/ ٤٧، رقم (٧٠٨٩) ـ مع «الفتح».

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٢١٩) بنحوه، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٩٩) ـ بنحوه أيضًا ـ وابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٦٠) باللفظ المذكور أعلاه.

ومما يقي من الفتن ويعصم منها: التوكل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ والاعتماد عليه واللجوء إليه في كل الأمور لاسيما إبان الفتن العاصفة، والشرور الكاسحة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (سورة الطلاق: ٣).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣-١٧٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾»[(١)].

ومما ينجي من الفتن: الاستعانة بالصبر والصلاة ولكل منهما مبحث خاص، والمجال لا يتسع لتفصيل ذلك. والله المستعان

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٧٧) رقم (٤٥٦٤) مع «الفتح».

# أمراض القلوب وعلاجها

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن أمراض القلوب وعلاجها، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يطهر قلوبنا وقلوبكم من كل ما يكدرها ويعكر صفاءها، إنه جواد كريم.

عباد الله . . . لقد أمر الله سبحانه وتعالى بتطهير القلوب وتنقيتها وتزكيتها، بل جعل من غايات الرسالة المحمدية: تزكية الناس، وقدمها على تعليمهم الكتاب والحكمة فقال سبحانه: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الجمعة: ٢).



ولقد كـثرت في هذا الزمان أمراض القلوب بين الناس إلا مـا شاء الله ـ من غل وحسد، وكراهية وسـوء ظن، وكبر واحتقار واستهزاء وسـخرية، وما نتجت عنه من حدوث الخـصومات في الحـقوق والأموال بحق أو ببـاطل ، وهجر بعضـهم البعض وقطيعته، والتكالب على الدنيا وشهواتها وجعلها هي أكبر هَم أحدهم، ومبلغ علمه، ولقد ظهرت آثار مرض القلوب في حـياة المسلمين من ثقل الصلاة على القلب، وإذا دخل فيـها لا يخشع، وضعف الخـشية من الله في السِّرِّ، وقـحط العينين من البكاء خوفًا من عقابه أو رجاء لرحمته، وهجر القرآن الكريم، وإذا قرأه لا يلين له قلبه ولا يقشعر منه جلده، وضعف فرح القلب بالحسنة، أو الحزن على السيئة.

وإن القلب ـ يا عـباد الله ـ هو المُوَجِّـهُ والمخططُ في حيـاة الإنسان، والأعـضاء والجوارح تُـنَفِّـذُ، فإذا طهـر القلب من أمراضـه وأدوائه، وشكوكه وشـبهـاته، أطاع الإنسان ربه وعبده حق العبادة وتحسنت أخلاقـه، واستقامت أحواله، وسعد في نفسه وأسعـد غيره، يـقول أبو هريرة ﷺ: **«القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث القلب خبثت جنوده»**. وإن مناط قبول الأعـمال عند الله وعظم أجرها ليس بكثرة العمل ولا بما يكتنفـه من مشقة أو تعب، وإنما بحقيـقة ما يقوم في القلب لله من الإخلاص له، والتجرد من الأغراض النفسية والدنيوية، وكلما كان القلب أكثر طهارة وتزكية وإخلاصًا له علت منزلته عند ربه، وارتفعت درجته في الجنة: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء:٨٨-٨٩).

ويقـول النبي ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صـوركم وأجسـامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[1].

**عبد الله** . . . إذا أردت أن تعرف هل قلبك صحيح من الأسقام والأمراض، وأنه يؤدي دوره الذي من أجله خلق، فتعال وانظر إلى هذه العـلامات التي ذكرها الطبيب

---

(١) رواه مسلم (١٩٨٦)، وانظر: «المشكاة» (٥٣١٤).

الاستشاري والمربي الكبير ابن القيم ـ رحمه الله ـ عندما شخص هذه العلامات بكل دقة وحذقٍ ليعرض كل منا قلبه عليها، فإن كانت موجودة فليحمد الله، وإن كان غير ذلك فليسارع إلى علاجه قبل استعمال دائه، وعندها لا ينفع طبيب ولا علاج. .
وإليك هذه العلامات: منها أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى يتوب إلى الله وينيب، وأنه لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من عبادته، وأنه إذا فاته ورده (نصيبه اليومي من الذكر والطاعات) وجد لفواته ألمًا شديدًا من فوات ماله «رحم الله ابن القيم، إذ ما عساه يقول فيمن ليس له وردٌ مطلقًا، بل ما عساه يقول فيمن إذا فاتته الصلاة المفروضة لا يجد في قلبه ألمًا أو حسرة؟!».

**ومن علامات صحة القلب:** أنه يجد لذة في العبادة أكثر من لذة الطعام والشراب.

فهل يجد أحدنا لذة في العبادة، أو يجد اللذة إذا خرج منها؟! وأنه إذا دخل في الصلاة ذهب غمهُ وهمهُ في الدنيا، ونحن لا تجتمع الأمور والأعمال علينا إلا في الصلاة، فأين لذة الصلاة عند هؤلاء؟ وأين الصلاة التي كان الرسول ﷺ يقول فيها: **«يا بلال أرحنا بها»**[1] أي: الصلاة، ويقول: **«وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[2]، أم أن لسان حال بعض المصلين اليوم أصبح يقول: «أرحنا من الصلاة يا إمام !!» وأن يكون همه لله وفي ذات الله، وهذا مقام رفيع، وأن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا أشد من شح البخيل بماله. وأن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أكثر من اهتمامه بالعمل ذاته.

واعلموا ـ يا عباد الله ـ أن هناك عدة أمراض تصيب القلب، نذكر بعضها حتى نكون على حذر منها قبل وقوعنا فيها، أو نبدأ في علاجها إذا كنا قد وقعنا في شيء منها، فمن هذه الأمراض النفاق، وهو من أخطر هذه الأمراض، وأشدها فتكًا بالإنسان وأفظعها عاقبة في الآخرة.

---

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (٢/ ١٣٠٧) رقم (٧٥٩٢)، و«المشكاة» (١٢٠٣).
(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (١/ ٥٩٤) رقم (٣٠٩٨).

ولا يتصور أحد أن النفاق قد انتهى بنهاية عهد النبي ﷺ ونهاية شخصياته البارزة كعبد الله بن أبي بن سلول وغيره!! بل إن النفاق الآن لا يقل خطورة عنه في الماضي.

والنفاق يبدأ بارتكاب أعماله القولية وغيرها، كمثل الصفات التي ذكرها النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «وإذا خاصم فجر»[2]، فإذا تمادى الإنسان فيها ولم يتب منها وتعلق قلبه بالشهوات والشبهات، فإن ذلك قد يجره إلى النفاق الاعتقادي ـ نعوذ بالله منه ـ؛ ولهذا كان السلف الصالح من أشد الناس خوفًا من النفاق. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هو عمر؟ صُحْبَةً وعملاً وإخلاصًا؟ يناشد حذيفة رضي الله عنه: «هل عدَّني رسول الله ﷺ من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك»!!

**ومن أمراض القلوب الرياء:** وهو كذلك مرض خطير جدًا، وذلك لخفائه، ولأثره العظيم في إفساد العمل، وقلة من يسلم منه، وقد جاء في الحديث، يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتهُ وشركه»[3].

**ومن مظاهر الرياء:** أن تجد الإنسان يصلي ويحسن صلاته إذا رأى الناس، وإذا لم يراهم تكاسل عنها أو أداها بسرعة، وقد يتصدق لأجل أن يقال: فلان تصدق، أو يصوم أو يطلب العلم أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو غير ذلك من الأعمال التي ظاهرها حسن ولكن باطنها مشوب بالرياء قليلاً كان أو كثيرًا، مما يدل على مرض القلب.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٨٩)، ومسلم (٥٨).
(٢) رواه البخاري (١/ ٨٩)، ومسلم (٥٨).
(٣) «صحيح الترغيب» (١/ ١٨) رقم (٣٣).

**ومن أمراض القلوب الحسد والغيرة:** ومن منا ينجو منهما؟! يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا القليل من الناس!، ولذلك يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٥٤). وفي الحديث المتفق عليه: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا»[١]، ومع الأسف الشديد تجد بعض الناس يحسد غيره على ما آتاه الله من مال أو صحة أو منصب، أو ولد، أو أي نعمة أخرى، وهذا فيه من الخطورة الشيء الكثير، ومن الناس من إذا نصح بالأسلوب الصحيح وأبى الإذعان للحق والانقياد له ثم حُذِّرَ من فعله هذا أي من مخالفته يروج بين الناس أن الناصح حاسد وهذا غير صحيح، وهذا من خلل في الفهم عند هذا المخالف، والحق أحق أن يتبع وأن ينقاد له.

**ومن أمراض القلوب الكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم:** قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة غافر: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة الحجرات: ١١).

---

(١) البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).



ويقول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1].

وقد كثر في هذا الزمان احتقار الآخرين، والتعالي والتكبر عليهم، بسبب ما أنعم الله على هذا المتكبر من كثرة مال أو وظيفة عالية، أو نسب، أو غير ذلك من حطام الدنيا وزخرفها الزائل.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين. صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

**ومن امراض القلوب الهوى ومحبة غير الله:** وهذا المرض آفة من الآفات الشديدة، والسم الزعاف لهذا القلب، فإن الإنسان عندما تكون محبته وموالاته ومعاداته لغير الله، وفي سبيل دنياه، وأهوائه وأطماعه الشخصية، فهذا لاشك موصل صاحبه إلى الهلاك والبوار، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (سورة الجاثية: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: ٥١)؛ ولهذا ـ أخي المسلم ـ هل تستطيع أن تسأل نفسك هذا السؤال: هل كل علاقاتي وصداقاتي، وأخذي وعطائي ومحبتي وكرهي لله أم لغيره؟، الجواب: ابحث عنه من خلال مراجعتك لحياتك الخاصة والعامة، وأقوالك وأفعالك.

**ومن امراض القلوب قسوة القلب:** وهو مرض قَلَّمَا ينفك أحد منه في هذا العصر الذي كثرت فيه أسباب هذا المرض بالذات، من كثرة الكلام بغير ذكر الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) «صحيح الجامع» (٢/ ١٢٧٠) رقم (٧٦٧٤)، و«مختصر مسلم» (٥٤).

وأكل المال الحرام بجميع أنواعه، والغيبة والنميمة، وسماع الأغاني، ومشاهدة الأفلام الخليعة، وكثرة الضحك والأكل والنوم، وغيرها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد: ١٦).

ولأجل خطورة هذا المرض وما يترتب عليه من آثار سيئة على صاحبه في الدنيا والآخرة توعد الله أصحابه بالعذاب الشديد بقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الزمر: ٢٢).

عِبَادَ اللهِ . . . هناك طرق ووسائل ناجعة للشفاء من هذه الأمراض، ومنها الاعتراف بالمرض مع أن هذا العلاج نظري فقط، إلا أننا جعلناه أول خطوة في طريق العلاج لأهميته، إذ كيف يبحث عن الدواء أو أن يقبل به - حتى ولو عرضت عليه طرقه السهلة وأبوابه المتيسرة - من لا يعترف بأنه مريض القلب، أو لم يشعر بآثاره الخطيرة عليه في الدنيا والآخرة؟!

**ومن علاج أمراض القلوب تعلم العلم الشرعي:** فالعلم بالكتاب والسنة وما يتبعهما من قراءة واطلاع في كتب أهل العلم والتربية الموثوقين من السلف والخلف تبصر الإنسان بمثل هذه الأمراض، ومن ثم تدله على طرق العلاج الصحيحة.

**ومن علاج أمراض القلوب المحاسبة والتوبة والمراقبة:** فما من مسلم إلا ويلم بأية معصية صَغُرت أو كَبُرَتْ، ولكن العاقل لا يُصرُّ عليها، وإنما يسارع إلى التوبة من أي ذنب وقع فيه وخاصة ذنوب القلوب، وهذه المسارة لا تأتي إلا لكل من حاسب نفسه وراجع أقواله وأعماله وعرضها على الكتاب والسنة، فما وافقهما حمد الله عليه، وما خالفهما تاب منه، كما أن هذه التوبة الطارئة لا تكفي في استقامة حال المسلم، بل لابد من المتابعة والمراقبة المستمرة حتى لا يقع في المستقبل في أي ذنب وهو لا يشعر به.

**ومن علاج أمراض القلوب الصدق مع الله والإخلاص له:** لأن علاج مثل هذه الأمراض القلبية لا يفيد في التخلص منها الجهد البشري واتخاذ الأساليب المشروعة فحسب، بل لابد مع ذلك من صدق مع الله، وإخلاص للذي بيده مفاتيح القلوب وكل شيء في هذا الكون، وعلى قدر صدق العبد وإخلاصه تكون إعانة الله عزَّ وجلَّ له على التخلص من هذه الأمراض والنجاة منها.

**ومن علاج أمراض القلوب الخشية والخوف من الله:** وكذلك أن يشعر المسلم بعظمة الله عزَّ وجلَّ وقدرته عليه أن يأخذه في أي لحظة من اللحظات وهو مقيم على تلك الذنوب الكبيرة، فيكونحينئذ حسابه عسيرًا، وعقابه شديدًا، أو يستشعران أن الله قادرًا على أن يعجل عقوبته في هذه الدنيا بأخذ سمعه أو بصره، أو يكسد تجارته، أو يفسد أولاده، أو غير ذلك من عقوبات الله لكل من لا يخافه ولا يرجو له وقارًا ويجعله أهون الناظرين إليه.

**ومن علاج أمراض القلوب كثرة الأعمال الصالحة بالحرص على التزود منها:** مثل: بِرِّ الوالدين، والمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة، وقراءة القرآن وأداء السنن والرواتب وصلة الأرحام وصيام النوافل وصلاة الضحى وقيام الليل وصلاة الوتر، والصدقة وخاصة «صدقة السر».

**ومن علاج أمراض القلوب المداومة على ذكر الله:** فإن ذلك سبب من الأسباب التي تعين على الشفاء والعافية من هذه الأمراض وكل مرض؛ لهذا يُشْرع للمسلم أن يكون لسانه رطبًا بذكر الله في كل زمان ومكان، وعلى كل حال (إلا ما استثني).

**ومن انواعه:** أذكار دخول البيت والخروج منه، والأكل والنوم وغيرها، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار ما بعد الصلوات، والأذكار ذوات العدد، كالتهليل عشرات، ومائة مرة، وسبحان الله وبحمده مائة مرة . . . الخ، والذكر المطلق، كسبحان الله والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**ومن علاج أمراض القلوب الدعاء:** وهذا سلاح المؤمن في كل أحواله، وملجؤه عند كل شدة وكرب وضُر، بأن تجده حريصًا دائمًا على أن يسأل الله من فضله وخيره وبره، ويسأله أن يكفيه شر كل مصيبة، ويعاقبه من كل مرض وداء، فلنحرص عليه، وخاصة في الأوقات والأحوال التي يُرْجى فيها الإجابة.

**ومن علاج أمراض القلوب التعلق بالآخرة والإيمان بزوال الدنيا:** إن المسلم عندما يتأكد أن هذه ليست بدار قرار، وأنها زائلة اليوم أو غدًا، وأنه مهما عاش فيها من عمر طويل سيكون مرده إلى الموت والقبر، وأن الآخرة وما فيها من جنة ونار هي النهاية، كان ذلك من الأسباب المعينة له على تطهير قلبه من كل أمراضه وأدوائه، بل ومسارعًا في ذلك حتى لا يلقى الله وفي قلبه أدنى مرض أو شبهة.

**ومن علاج أمراض القلوب مجانبة الهوى والشيطان:** فهما لا يريدان للمسلم أي خير مطلقًا وإن تظاهرا بخلاف ذلك، فإذا أيقن بهذه الحقيقة وعرف أنهما سببان كبيران فيما يقع فيه من معاصي القلوب أو الجوارح، استعد لمجاهدتهما الاستعداد اللازم، من الصبر والمصابرة على اتباع الحق، وسلوك طريق الخير وأعمال البر، والابتعاد عن كل ذنب ومعصية؛ فإن الربح والفوز في ذلك وإن كانت شاقة على النفس.

نسأل الله جلَّ وعلا أن يحفظ قلوبنا من الزيغ وأعمالنا من الرياء والسمعة. اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ . اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين. اللهم وَلِّ أمورنا خيارنا ولا توليها شرارنا يا جواد يا كريم.

# الإنفـــاق

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**أيها المسلمون** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ حول الإنفاق، جعلنا الله وإياكم من أهله إنه جواد كريم.

قال تعالى في شأن الإنفاق: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (سورة فاطر: ٢٩-٣٠).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٧).

وأما ما ورد من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ في شأن الإنفاق فمنها ما ثبت في حديث أبي هريرة المتفق عليه عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: «**ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(٣)].

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة**»[(٤)].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة**»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، «الفتح٣» (١٤٢٣)، واللفظ له، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه البخاري، «الفتح٣» (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١).

(٤) رواه النسائي (٥/ ٩٢)، وقال الألباني في صحيح النسائي: صحيح (٢/ ٥٤٦)، حديث (٢٤٢٠). وابن ماجه (١٨٤٤).

(٥) رواه الترمذي (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٧)، حديث (٨٩١)، وذكره الألباني في الصحيحة (٢/ ١٢٢) حديث (٥٧٢)، وعزاه كذلك لابن حبان (٨٦٤)، وقال بعد كلامه: والحديث حسن لغيره.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «على كل مسلم صدقة»، قال: قيل: أرأيت إن لم يجد؟، قال: «يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق»، قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟، قال: «يُعين ذا الحاجة الملهوف»، قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟، قال: «يأمر بالمعروف أو الخير»، قال: أرأيت إن لم يفعل؟، قال: «يمسك عن الشر فإنها صدقة»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه ـ وإن كانت تمرة ـ فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل. كما يُربي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله»[2]. و(الفَلُوّ): المُهر ولد الفرس، و(الفصيل): ولد الناقة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يقول العبد: مالي مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»[3].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا وهكذا»[4]. والحديث طويل والشاهد من الحديث هذا المقطع المذكور آنفًا.

عِبَادَ اللهِ . . . قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في معنى قول الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٤٥). صدر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر. والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن فيجازى عليه أضعافًا مضاعفة؟.

---

(١) رواه البخاري «الفتح ١٠» (٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨)، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري «الفتح ٣» (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٩).

(٤) رواه البخاري «الفتح ١١» (٦٢٦٨) واللفظ له، ومسلم (٩٤).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد إمام المتقين، وقـائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وسـمي ذلك الإنفاق قرضًا حسنًا حثًا للنفوس، وبعثًا لها على البذل، لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولابد طوعت له نفسـه، وسهل عليه إخراجه، فـإن علم أن المستقرض مليءٌ وفيٌّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فـإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمـره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقـرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرًا آخر من غـير جنس القرض، فإن ذلك القرض حظ عظيم، وعطاء كـريم، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفـة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان. وذلك من ضعف إيمانه، ولهذا كانت الصدقة برهانًا لصاحبها.

وهذه الأمور كلهـا تحت هذه الألفاظ التي تضـمنتها الآية، فـإنه سماه قـرضًا، وأخبر أنه هو المقترِض ـ لا قرض حاجة ـ ولـكن قرض إحسان إلى المقرض واستدعاء لمعاملته، وليعرف مقدار الربح فهو الذي أعطاه ماله واستدعى منه معاملته به ثم أخبر عمـا يعطيه فـوق ذلك من الزيادة وهو الأجر الـكريم، وحيث جاء هذا الـقرض في القرآن قيده بكونه حسنًا، وذلك يجمع أموراً ثلاثة:

**أولها** ـ أن يكون من طيب ماله، لا من رديئه وخبيثـه. **ثانيها** ـ أن يخرجه طيبة به نفسه، ثابتة عند بذله، ابتغاء مرضات الله. **ثالثها** ـ أن لا يمن به ولا يؤذي.

فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخذ.



وأما قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١). فقد شبه الله سبحانه النفقة في سبيله سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سبل الخير بمن بذر بذرًا فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها، ووقوعها موقعها.

فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت، قد انشرح صدره بإخراجه وشرحت به نفسه، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع ولا هلع، ولا متبعته نفسه، ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق وبحسب مصادفته لموقعه، وبحسب طيب المنفق وزكائه. وتحت هذا المثل من النفقة: أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره، باذر ماله في أرض زكية، فَمُغِلُّه بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي، ونفي الدغل والنبات الغريب عنه. فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم يحرق الزرع نار، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله كمثل جنة بربوة فتربى الأشجار هناك أتم تربية.

فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر فرواها ونماها، فآتت أكلها ضعفي ما يؤتيه غيرها، لسبب ذلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطل، فيكفيها لكرم منبتها، فتزكو على الطل، وتنمو عليه، وفي هذا إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل. فمن الناس من يكون إنفاقه وابلاً، ومنهم من يكون إنفاقه طلاً. والله لا يضيع مثقال ذرة[1].

---

(١) التفسير القيم لابن القيم (١٤٨-١٥١) بتصرف يسير، مُغِلُّهُ: أي حاصد ما أغله.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: النفقة تعم الواجبات والمندوبات، لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق دعاء الملك: «اللهم اعط منفقًا خلفًا»، إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه لو أخرجه[١].

واعلم ـ يا عبد الله ـ أن رسول الله ﷺ ما سئل شيئًا قط، فقال: لا[٢].

وقد سار على هذا الدرب أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ من بعده فقد أنفق أبو بكر رضي الله عنه ماله كله في إحدى المناسبات، وأنفق عمر رضي الله عنه نصف ماله، وجهز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة بأكمله.

(١) «دليل الفالحين» (٢/ ١٢١).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

# انتهاك الحرمات

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن انتهاك الحرمات، جنبنا الله وإياكم ذلك، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، ومعنى انتهاك الحرمات لغة: هو تناولها بما لا يحل، واصطلاحًا: قال ابن الأثير: الانتهاك: المبالغة في خرق محارم الشرع واتيانها، ولما كانت الحرمات: ما نهى الله عنه من معاصيه كلها، أو هي كل ما أوصى بتعظيم أمره، فإن انتهاكه الحرمات يعني: المبالغة في خرق وإتيان أيٍّ مما أوصى الله بتعظيم أمره، وارتكاب ما نهى عنه من معاصيه كلها[1].

---

(١) اقتبسنا هذا التعريف مما ذكره اللغويون والمفسرون متعلقًا بالانتهاك للحرمات.

عِبَادَ اللَّهِ . . . من الأحاديث الواردة في ذم انتهاك الحرمات ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[1] . وقوله في الحديث اتقوا الشح: أي أشد البخل.

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لأَعْلَمَنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هباءً منثورًا**»، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جَلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[2] .

وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**ما من امرئ يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته**»[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**»[4] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أتدرون ما المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥)، واللفظ له. وذكره الألباني في الصحيحة (٢/١٨)، رقم (٥٠٥)، وقال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٤)، واللفظ له. وقال محقق جامع الأصول: حديث حسن بشواهده (٦/ ٥٧٠). وأحمد (٤/ ٣٠).

(٤) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٨٢).

وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: «ياأيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١). وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢).

ثم ذكر: الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»[٣].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والخسران والذلة والصغار للعصاة المخالفين لسيد المرسلين، وأصلي وأسلم على قائد الغر المحجلين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم كِفْلٌ منها ـ وربما قال سفيان: من دمها ـ لأنه سَنَّ القتل أولاً»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).
(٢) رواه مسلم (١٠١٥).
(٣) رواه البخاري، «الفتح١٠» (٦٠٦٩)، واللفظ له. ومسلم (٢٩٩٠).
(٤) رواه البخاري، «الفتح١٣» (٧٣٢١)، والكفل: النصيب.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**ليكونن من امتي اقوام يستحلون الحرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن اقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحةٍ لهم، ياتيهم - يعني الفقير - لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[1].

ومعنى (**يستحلون الحرَ**) في هذا الحديث المذكور: أي يستحلون الفرج والمراد به الزنا والعياذ بالله. و(**المعازف**): جمع معزفة والمراد آلات الملاهي أو الغناء. وقوله و(**لينزلن اقوام إلى جنب علم**): هو الجبل ، وقوله (**فيبيتهم الله**): أي يهلكهم الله، نسأل الله العافية مما استجد من هذه الفتن في هذا الزمان.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قتل نفساً مُعاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاماً**»[2].

عباد الله . . . وأما آثار السلف الواردة في ذم انتهاك الحرمات فكثيرة، ومنها ما قاله أبو بكر رضي الله عنه لسلمان الفارسي - وقد طلب منه الوصية -: **يا سلمان إتق الله، واعلم انه سيكون فتوح فلأعرفن ما كان حظك منها، ما جعلته في بطنك أو القيته على ظهرك، واعلم انه من صلى الخمس فإنه يصبح في ذمة الله، ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن احداً من اهل ذمة الله فتخفرَ الله في ذمته، فيكبك الله في النار على وجهك**.[3]

قال جبير بن نفير رضي الله عنه: «لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟! ، قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله

---

(١) رواه البخاري، (الفتح ١٠» (٥٥٩٠).
(٢) رواه البخاري، «الفتح ١٢» (٦٩١٤).
(٣) تاريخ الخلفاء الراشدين للسيوطي(٩٦٩٥).

ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا أضاعـوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهـرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[1].

وقال سليمان التيمي ـ رحمـه الله تعالى ـ: «إن الرجل ليصيب الذنب في السحر فيصبح وعليه مذلته»[2].

عِبَادَ اللَّهِ . . . وحول انتهاك الحرمات واحـتقارها بين ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الداء والـدواء قائلاً: لم يقدر الله حق قدره من هان عليـه أمره فعصـاه، ونهيه فارتكبه، وحـقه فضيعـه، وذكره فأهمله، وغفل قلبـه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعـة المخلوق أهم من طاعته، فللـه الفضلة من قلبه وقـوله وعمله، هواه المقدم في ذلـك كله، المهم أنه يستخـف بنظر الله إليه واطلاعه عـليه، وهو في قبضـته، وناصيته بيـده، ويعظم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بكل قلبـه وجوارحه بستـحيي من الناس ولا يستـحيي من الله، ويخشى الناس ولا يخـشى الله، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه، وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمـة من يحبه من البشـر قام بالجد والاجـتهاد، وبذل النصـيحة وقد أفـرغ له قلبه وجوارحه، وقدمه على كثير من مصـالحه حتى إذا قام في حق ربه قام قيامًا لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله، وبذل له من ماله ما يستحي أن يواجه به مخلوقًا مثله.

فهل قـدر الله حق قدره مَنْ هذا وصفـه؟، وهل قدره حق قـدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حـقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخـضوع والخوف والرجاء؟[3].

---

(١) «الداء والدواء» (٤٧، ٤٨) وعزاه لأحمد في المسند.

(٢) «الداء والدواء» (٦٠).

(٣) «الداء والدواء» (١٦٧ ـ ١٦٨).

# الإســراف والتبذيــر

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصـدق الحديث كتـاب الله، وخير الهـدي محمـد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الإسراف والتبذير ـ أجارنا الله وإياكم من ذلك ـ الإسراف لغة: قال الراغب: السـرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، وقال سفـيان بن عينية: ما أنفقت في غير طاعة الله سـرف، وإن كان قليلاً، وقـول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة الزمر:٥٣). الإسراف هنا يتناول المال وغيره. وسمـي قوم لوط مسرفين من حيث أنهم تعدوا في وضع البذر في غير المحرث المخـصوص له، والإسراف في القتل: أن يقتل ولي الدم غير القاتل أو يتعداه إلى من هو أشرف منه حسبما كانت الجاهلية تفعله.

والإسـراف اصطلاحًا: قـال الجرجـاني: الإسراف: هو إنفـاق المال الكثيـر في العرض الخسيس، وقيل: هو تجاوز الحـد في النفقة، وقيل: هو أن يأكل الرجل ما لا يحل له أو يأكل مما يحل له فـوق الاعتـدال ومقـدار الحاجـة. وقيل: هو تجـاوز في الكمية فهو جهل بمقادير الحقوق[١].

وأما أدلة الإسراف والتبذير من كلام الله فكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٣١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة يونس: ١٢).

وقال تعـالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧-٩).

وقال تعـالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٦-٢٧).

وقال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٩).

وأما الأحاديث في ذم الإسراف والتبذير، فمنها عن أبي هرير رضي الله عنه قال: قال رسول لله ﷺ: **«كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقوني ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا. فلما**

---

(١) التعريفات للجرجاني(٢٤٢٣).

**مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك. فغفر له»**(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»**(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أربعة دنانير: دينار أعطيته مسكيناً، ودينار أعطيته في رقبة، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الذي أنفقته على أهلك»**(٣).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**(٤).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والذل والصغار للعصاة المسرفين.

عباد الله . . . عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لما بعثه إلى اليمن ـ: **«إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»**(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: **«هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»**(٦)، وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما**

---

(١) رواه البخاري، «الفتح٦» (٣٤٨١)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٥٦).
(٢) رواه النسائي (٥/ ٧٩)، واللفظ له، وقال الألباني: حسن «صحيح النسائي»(٢/ ٥٤٠ رقم ٢٣٩٩).
(٣) صحيح مسلم (٣/ ٧٨).
(٤) رواه البخاري، «الفتح٣» (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣)، واللفظ له، وأحمد (٣/ ١٣٦).
(٥) رواه أحمد (٥/ ٢٤٤)، وذكره المنذري في ترغيبه بهذا اللفظ (إياك)، وهو الأولى والله أعلم، وذكره الألباني في «الصحيحة» (١/ ٦٢١) رقم (٣٥٣).
(٦) رواه النسائي (١/ ٨٨) وقال الألباني: حسن صحيح (١/ ٣٠) رقم (١٣٦).

**مـلأ آدمي وعـاء شراً من بطـن، بحسب ابـن آدم أكلات يقـمن صلبـه، فإن كـان لا محـالـة فـثلـث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[١].**

عِبَادَ اللَّهِ . . . وأما مظاهر الإسراف وأنواعه فكما قال الراغب: الإنفاق ضربان، ممدوح ومـذموم. فـالممدوح منه مـا يكسب صاحـبه العـدالة، وهو بذل ما أوجـبت الشريعة بذله، كالصدقة المفروضة والإنفاق على العيال. . الخ.

والمذموم ضربان: إفـراط: وهو التبذير والإسراف، وتفـريط: وهو التقتيـر والإمساك، وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية، فالأول من جهة الكمية أن يعطي أكثر مما يحتمله حاله.

ومن جهة الكيفـية بأن يضعه في غير موضـعه، والاعتبار هنا بالكيفـية أكثر منه بالكميـة، فرب منفق درهمًا من ألوف وهو في إنفاقـه مسرف، وببذله مـفسد ظالم، كمن أعطى فاجرًا درهما، أو اشترى خمـرًا. ورُبَّ منفق ألوفًا لا يملك غيرها هو فيها مقتصد، وببذلها مجتهد، كما روى في شأن الصديق أبي بكر ﷺ، وقد قيل لبعضهم: متى يكون بذل الـقليل إسرافًا والكثـير اقتـصادًا؟ قال: إذا كـان بذل القليل في باطل والكثير في حق.

أما الثـاني ـ مما هو مذموم ـ هو التـقتيـر فهو من جـهة الكميـة أن ينفق دون ما يحتمله حاله، ومن حيث الكيـفية، أن يمنع من حيث يحب، ويضع حيث لا يحب. وليس الإسراف متـعلقًا بالمال وحده، بل في كل شيء وضع في غير مـوضعه اللائق به، ألا ترى أن الله تعالى قد وصف فـرعون بقوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٢] (سورة الدخان: ٣١).

عِبَادَ اللَّهِ . . . والإسراف والتـبذير قـد يَردان بمعنى واحد، وقـد ذهب إلى هذا بعض المفسرين. ومن ثم فقد يرد أحدهما ويراد به الآخر، من ذلك ما ذكره الماوردي من أن التبذير هو الإسراف المتلف للمال[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وقـال حسن صحيح. وقـال محقق جامع الأصـول (٧/ ٤١٠): وهو كما قال. وصححه الشيخ شعيب الارناؤوط في تعليقه على «موارد الظمآن» رقم (١٣٤٨).

(٢) «الذريعة في مكارم الشريعة» للراغب (٤١٠، ٤١١) بتصرف.

(٣) «البحر المحيط» (٦/ ٢٧).

وروى أشهب عن مالك أن التبذير هو الإسراف[١]. وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾. قال: (معناه) لا تسرف في الإنفاق في غير حق[٢]. وقال ابن كثير في نفس الآية الكريمة: لما أمر الله عزَّ وجلَّ بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه[٣].

ومما ينبغي توضيحه وبيانه هو الفرق بين الجود والتبذير، ويتجلى هذا الفرق بين الأمرين في أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، وأن المبذر (أو المسرف) كثيرًا ما لا يصادف عطاؤه موضعه، فالجواد من توخى بماله أداء الحقوق الواجبة عليه حسب مقتضى المروءة من قرى الضيف، ومكافأة المُهدي، وما يقي به عرضه على وجه الكمال، طيبة بذلك نفسه راضية مؤملة للخلف في الدنيا والآخرة، والمبذر ينفق بحكم هواه وشهوته من غير مراعاة مصلحة ولا تقدير، ولا يريد أداء الحقوق[٤].

عباد الله . . . بقي أن نبين حكم التبذير، فقد نقل عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أن التبذير حرام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (سورة الإسراء: ٢٧).

وقال القرطبي: من أنفق درهمًا في حرام فهو مبذر، ويحجر عليه في نفقته الدرهم في الحرام، ولا يحجر عليه إن بذله في الشهوات إلا إذا خيف عليه النفاد[٥].

وأبو حنيفة ـ رحمه الله ـ لا يرى الحجر للتبذير، وإن كان (حرامًا) منهيًا عنه، وذكر الماوردي أن التبذير هو الإسراف المتلف للمال، وأن المبذر يحجر عليه للآية الكريمة السابقة، ومن واجب الإمام منعه منه (أي التبذير)، بالحجر عليه والحيلولة بينه وبين ماله إلا بمقدار نفقة مثله[٦].

(١) «تفسير القرطبي» (٢٤٧/١٠)
(٢) «تفسير القرطبي» (٢٤٧/١٠)
(٣) «تفسير ابن كثير» (٣٩/٣)
(٤) «فضل الله الصمد» (٥٣٣/١)، هامش ١.
(٥) «تفسير القرطبي» (٢٤٨/١٠).
(٦) «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان (٢٣/٦).

# إصلاح ذات البين (١)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب: ٧٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن «إصلاح ذات البين» وهو موضوع لاشك أنه مهم جدًا؛ لما يترتب عليه من الآثار الحميدة والعواقب الحسنة والإصلاح ضد الإفساد، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٠).

فالإصلاح ضد الإفساد، أما ذات البين فالمراد بالبين الفرقة، أي: الفرقة التي تكون بين المسلمين بعضهم مع بعض؛ لأن المطلوب أن يكون المسلمون أمة واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢).

وكما شبه النبي ﷺ هذه الأمة بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وشبك بين أصابعه ﷺ ، فأي اختلاف وأي فرقة بين اثنين أو بين جماعة وجماعة من هذه الأمة فإنه سيؤثر عليها أثرًا سيئًا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦).

فإصلاح ذات البين معناه لَمُّ الشمل، وجمع الكلمة، والتقريب بين قلوب المؤمنين بعضهم مع بعض حتى يكونوا عبادًا لله إخوانًا كما أراد الله سبحانه وتعالى، فالإسلام الذي بُعث به النبي ﷺ وحد بين المؤمنين بعد الفرقة، فقد كانوا في الجاهلية متفرقين بعضهم أعداء لبعض، فأبناء القبيلة الواحدة كانوا متعادين، ناهيك عن الفرقة بين القبيلة وغيرها، فكانت الحروب والنزاعات مستمرة لا تنتهي، وكان العرب متمزقين ومتشتتين ومتباغضين، الولاء بينهم للقبيلة فقط، وكل قبيلة تحارب الأخرى، والقوي يستولي على الضعيف، والظالم يسيطر على المظلوم، وهكذا كانت حالة العرب بل وحالة الأمم قاطبة قبل بعثته ﷺ .

ولما بعث رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق، ودعا الناس إلى دين الله وطاعة الله ورسوله ﷺ ، وآمن من القبائل من أراد الله له الهداية فاجتمعت كلمتهم، وقامت دولتهم، وذهب ما بينهم من العداء حتى صاروا إخوانًا متحابين، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

تحولوا من العداوة إلى الأخوة بنعمته ـ سبحانه وتعالى ـ وهي نعمة الإيمان واتباع الرسول ﷺ فلم يجمعهم مال أو طمع، وإنما جمعهم الإيمان الذي بعث الله به رسوله ﷺ .

فلم يجمع بين المؤمنين طمع في الدنيا، أو مال قدم لهم، لأن هذا لا يمكن أن يجمع بين القلوب المتعادية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٦٣).

فالرسول ﷺ لو أنفق ما في الأرض جميعًا من الأموال على أن يؤلف بين قلوب أصحابه فلن يستطيع، لأن المال لا يجمع القلوب؛ وإنما الذي يجمعها هو الإيمان الذي من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقد بعث به النبي ﷺ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بأي شيء بالإيمان ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فصاروا بعد العداوة إخوانًا متحابين متناصرين متناصحين كما وصفهم ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر: ٩).

فالإيثار عند المؤمنين سببه الإيمان، فالمؤمن يقدم حاجة أخيه على حاجته ولو كان قد بلغت به الحاجة إلى درجة الخصاصة، ولا يقدم على هذا إلا من منَّ الله عليه بالإيمان، فالإسلام هو دين الحق الذي وحَّد بين القلوب المتنافرة، وجمع بين القلوب المتشتتة، فتجاوز المسلمون جزيرة العرب إلى أقطار الدنيا فاتحين، فكانت أمة المسلمين من المشرق إلى المغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، دولة واحدة لا تغيب عنها الشمس، وبلغ هذا الدين مبلغ الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٣).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين السائرين على نهج سيد الأولين والآخرين، قائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم. أما بعد:

عباد الله . . . إن هذا الدين الذي يجمع بين القلوب فيما سبق قادر ـ بإذن الله ـ أن يجمع بين القلوب في وقتنا الحاضر وما بعده إلى أن تقوم الساعة، كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، فالذي أصلح أولها هو الدين الصحيح، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا الدين الصحيح والعقيدة السليمة، ويكمن ذلك في الاقتداء برسول الله ﷺ، فلا يمكن أن يجمع بين المتفرقين والمختلفين إلا هذا الدين المتمثل فيما جاء به كتاب الله

عزَّ وجلَّ وسنة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٥٩).

خير: في الحاضر، وخير: في المستقبل، وتأويلاً بمعنى: العاقبة والمآل، فهذا الدين يحل جميع النزاعات ويعيد الحق إلى نصابه إذا حكم به في النزاعات والخصومات. قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (سورة الشورى: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (سورة الشورى: ١٣).

فإقامة هذا الدين تجمع بين قلوب المختلفين، وتنهي الفرقة والاختلاف بين الناس إذا أقيم إقامة صحيحة.

قد يقول قائل: نرى المسلمين اليوم مختلفين ومتفرقين، ونقول له: إنهم لم يقيموا الدين كما ينبغي، بل دينهم فيه خلل، ليس دينًا قائمًا كما أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فبقدر ما يحصل الخلل في إقامة الدين يحصل التفرق والاختلاف، فلو أقيم الدين كما أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما حصل هذا الاختلاف أبدًا بين المسلمين، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يخلف وعده، وقد أخبر سبحانه ووعد أن هذا الدين إذا أقيم إقامة صحيحة فلن يكون بين المسلمين اختلاف أو تنازع يؤدي إلى الفرقة والتقاطع، نعم قد يوجد اختلاف صغير في مسائل نوعية أو خصومات مالية أو في الأملاك وهذا أمر يسير، تمكن تسويته بسهولة إذا حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإذا كان هذا الدين هو الذي وحد بين السلف على اختلاف قبائلهم واختلاف بلادهم، واختلاف ألوانهم، فهو قادر ـ بإذن الله ـ أن يوحد بين أهل هذا الزمان وما بعده إلى أن تقوم الساعة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الدين القويم هو صمام الأمن والأمان لنيل الأمن والاستقرار ووحدة الصف وجمع الكلمة ولَمٍّ الشعث قال تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (سورة الشورى: ١٣).

بهذا الشرط الذي هو إقامة الدين وعدم التفرق فيه، أي: أن يكون الدين واحدًا، فلا يكون بين الناس عدة أديان أو مذاهب أو فرق، فدين الله ـ سبحانه وتعالى ـ واحد ليس فيه اختلاف. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣).

إن إصلاح ذات البين يعني إزالة الفرقة والاختلاف، وذلك بالنظر في سبب الخلاف، ثم محاولة إزالته بالطرق الشرعية، وهذا هو الإصلاح، قال ﷺ: «**على كل سلامى من الناس صدقة**»، وذكر أن من هذه الصدقات أن تعدل بين اثنين، فإذا وجدت اثنين مختلفين عدلت بينهما وأصلحت النزاع فهذه صدقة منك على نفسك، وكذلك الإصلاح واجب بين الزوجين، وكذلك الإصلاح واجب على المسلمين إذا حصل نزاع بين قبيلة وقبيلة، أو بين جماعة وجماعة من المسلمين. قال تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١١٤).

# إصلاح ذات البين (٢)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم بإذن الله تعالى عما تبقى من موضوع «إصلاح ذات البين» نسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجعلنا وإياكم صالحين مصلحين إنه جواد كريم.

قال الله تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١١٤).

يقول ابن سعدي في تفسير هذه الآية: «أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون. وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه، كفضول الكلام المباح، وإما

شر ومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه. ثم استثنى تعالى فقال: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ من مال، أو علم، أو أي نفع كان بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة، كالتسبيح، والتحميد، ونحوه.

كما قال النبي ﷺ: «إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»[1].

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وهو الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسن. وإذا أطلق الأمر بالمعروف، من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضًا لا يقوم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما عند الاقتران فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهى.

﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين. والنزاع، والخصام، والتغاضب، يوجب الشر والفرقة، ما لا يمكن حصره. فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس، في الدماء، والأموال، والأعراض، بل وفي الأديان، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات: ٩).

وقال تعالى: ﴿والصلح خير﴾. والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لابد أن يصلح الله سعيه وعمله. كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله، ولا يتم مقصوده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة يونس: ٨١).

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).

فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء، ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١١٤).

فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل»[١].

وأما في السنة فقد وردت أحاديث كثيرة في فضل إصلاح ذات البين، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟، قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين هي الحالقة»**[٢].

وقال رسول الله ﷺ: **«الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»، قيل: من هم يا رسول الله؟، قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»**[٣].

ثم اعلم ـ يا عبد الله ـ: أن الذي ينقل الخير بين المتخاصمين بقصد الإصلاح بينهما وإن كان منهي عن الكذب غير أن ذلك مستثنى وهناك دليل على جواز الكذب فيه، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً وينمي خيراً»**[٤].

---

(١) تفسير عبد الرحمن بن سعدي.

(٢) رواه أبو داود (٤/٤٩١٩)، «صحيح الجامع» (٢٥٩٥)، والترمذي (٤/٢٠٩)، واللفظ له.

(٣) «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣).

(٤) رواه البخاري، «الفتح» (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥)، واللفظ له.



## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن محمدًا رسول الله، إمام الموحدين، وخاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين . . أما بعد:

عباد الله . . . قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (سورة هود:١١٧).

أي وما كان الله ليهلك القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمرون عليه. فما كان الله ليهلكهم إلا إذا ظلموا، وقامت عليهم حجة الله. ويحتمل أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم[١].

عباد الله . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن للعداوة أسبابًا قد نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عنها في كتابه وفي سنة نبيه محمد ﷺ ومنها السخرية بالآخرين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (سورة الحجرات:١١). فالسخرية بالناس عامة أو بالمسلمين خاصة تسبب العداوة، فلا يجوز أن يسخر أحد من مسلم، لأن المسلم مكانته عند الله عظيمة، وإذا سخرت منه فمعناه أنك تنتقصه وهو له مكانة عند الله سبحانه وتعالى، فالسخرية سبب من أسباب العداوة، فاجتنبوا السخرية، ولا تستهزئوا بالناس. ومن أسباب العداوة الظن السيئ بالمسلمين فهذا لا يجوز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (سورة الحجرات:١٢). لأن الأصل في المسلمين الخير والعدالة، فقد يظن الناس بعض الظنون بالمسلم ويبنون عليها أحكامًا، ويقاطعون إخوانهم المسلمين بسبب تلك الظنون التي يظنونها، ثم قال تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (سورة الحجرات:١٢). أي: لا تتبعوا عورات إخوانكم المستورة، ولكن تغاضوا عنها، واستروا

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (٢/٣٩٦).

عليهم مع نصيحتهم في تركها لأن من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، إلا إذا كانت المصلحة في كشفه وذلك من أجل القضاء على الجريمة، أو الحفاظ على الأمن فلا بأس من كشفه، لأن هذا مصلحته أرجح من مفسدته، ومضرته لو بقي أكبر من المصلحة في كتمانه.

ومن أسباب العداوة أيضًا الغيبة: وهي ذكرك أخاك بما يكره، قال النبي ﷺ: «**الغيبة ذكرك أخاك بما يكره**»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[1]. وقد صور الله الغيبة بأقبح صورة فقال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

فالذي يغتاب الناس مثل الذي يأكل لحوم الأموات، وهل يطيق أحد أن يأكل من لحم الميت؟ فلحم الميت تعافه النفوس، فكيف تعاف النفوس لحم الميت ولا تعاف الغيبة، مع أن الغيبة مثل أكل لحم الميت؟!! فالله ـ سبحانه وتعالى ـ نهى عن جميع أسباب العداوة، وهذا من أجل أن تبقى المودة والرحمة والشفقة بين المسلمين.

واعلموا ـ يا عباد الله ـ: أن أمر الشحناء عظيم، فهي من موانع غفران الذنوب، وفي المصالحة بين المتنازعين غفران الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا. أنظروا هذين حتى يصطلحا. أنظروا هذين حتى يصطلحا**»[2].

ومن آثار السلف في إصلاح ذات البين ما قاله الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩).
(٢) رواه مسلم (٢٥٦٥).

للتقوى، فـإن قال: لا يحتمل قلبي العـفو ولكن أنتصر كمـا أمرني الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قل: فإن كنت تحسن تنتـصر مِثلاً بِمِثل وإلا فارجع إلى باب العـفو فإنه باب أوسع، فـإنه من عفـا وأصلح فـأجره على الله، وصـاحب العـفو ينام الـليل على فراشـه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور[1].

والصلح ـ يا عـباد الله ـ بين المتنـازعين أفضل من الذهاب إلى المحـاكم؛ لأن حكم القاضي بين المتنازعين لا يقـضي على العداوة بينهمـا، إلا إذا كان هناك إيمان قوي، وإلا قد تبقى العداوة بين المتخاصمين، أما إذا أصلح بينهما فإن العداوة تزول من قلوبهم.

اللهم ألِّف بين قلوب عبادك على الحق والهدى، واجنبنا الـفرقة والشتات، اللهم وحِّد الكلمة واجمع الصف على كلمة التوحيد.

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ١١٢).

# بـــر الوالـــديـــن (١)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن بر الوالدين، جعلنا الله وإياكم من البارين بهما إنه جواد كريم. أما بعد:

قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (سورة الإسراء:٢٣، ٢٤).

قال تعالى: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة لقمان:١٤).

وفي هاتين الآيتين أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين رسلاً وعامة ببر الوالدين.

ومن أهمية ذلك أن الله سبحانه قرن الإحسان إليهم بعبادته والشكر لهم بشكره، وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ للوالدين حقوقًا عظيمة نظرًا لفضلهما العظيم على الأولاد، فقد اعتنيا بهم ورباهم على الأخلاق الفاضلة وعلى طاعة الله، وحُرِما كثيرًا من الراحة بسببهم، فعليك ـ أخي المسلم ـ أن تعمل جاهدًا على برهما سواء كانا من الأحياء أو الأموات.

وفي هذا تنفيذ لوصية الله بهما، وإرضاء لله ولهما، وأداء لبعض الجميل الذي أسدياه لك، واحذر ـ يا عبد الله ـ أن تتأفف من شيء تراه أو تسمعه أو تشمه من أحد والديك، وعليك أن تصبر وتحتسب كما صبرا على ذلك منك في صغرك ممتثلاً لقول ربك: ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾، ولا ترفع الصوت عليهما بل احرص دائمًا أن يكون صوتك أخفض من صوتهما، وقل لهما قولاً كريمًا حسنًا مقرونًا بالاحترام والتقدير استجابة لأمر ربك ﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾.

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ أي: لا تنفض يدك عليهما.

وعليك بالتواضع والتذلل لهما بالقول والفعل، وانظر إليهما نظرة رحمة وعطف، ولا تنظر إليهما نظرة غضب وتكبر حتى ولو أغضباك، فعن عروة ـ رحمه الله ـ قال عند قوله: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾. إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرًا، فإن أول ما يعرف به غضب المرء شدة نظره إلى من غضب عليه، كما أن من حقهما عليك كثرة الدعاء لهما بالرحمة والغفران، جزاء تربيتهما لك، ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾.

تذكر ـ أخي المسلم ـ أن فضل والديك عليك أعظم من كل بر تبرهما به. ولن تستطيع مهما بذلت أن تجازيهما على إحسانهما. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»[(١)].

(١) رواه مسلم(١٥١٠).

وقد رأى ابن عمر ﷺ رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة. فقال: يا ابن عمر أتـراني جازيتها؟ قال: «ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً»[١].

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن حق الوالدين عظيم ولذلك قـدمه رسول الله ﷺ على الجـهاد في سبيـل الله. فعن عبد الله بن مـسعود ﷺ قال: «سألت رسـول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[٢].

ولعظم حقهـما أمر الرب ـ سبحـانه وتعالى ـ بالإحسان إليهـما، ومصاحبتـهما بالمعروف حـتى مع كفـرهما، بل وهمـا يعمـلان لصدك عن الدين وإدخالـك الكفر وارتكاب المعصية، فإن ذلك لا يسقط حقهما من البر. ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (سورة لقمان: ١٥).

## الخطبة الثانية:

الحـمد لله ولي الـصالحين، ولا عـدوان إلا على الظالمين، والعـاقـبة للـمتـقين والخسـران والضياع للعـاصين المخالفين، وأصلي وأسلم على نبـينا محـمد وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أن كفر الوالدين أو أحدهما لا يسـقط حقهما من البر فمن باب أولى ما كان دون ذلك من المعاصي، ولكن هذا لا يعني أن تفـعل المعصية طاعة لوالديك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص لما أسلم غضبت عليه أمه وأمرته بترك دين الإسلام فرفض فهددت أن لا تأكل

---

(١) «الأدب المفرد» (١/ ٦٢) مع «فضل الله الصمد».

(٢) رواه البخاري «الفتح ١٠» (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥) واللفظ له.

ولا تشرب حتى يرجع عن دينه أو تموت فتعيره العرب أنه قتل أمه، فمكثت ثلاثًا، حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: (عمارة) فسقاها، فجعلت تدعو على سعد: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[1]، وبر الوالدين سبب في تفريج الكرب وذهاب الهموم والأحزان، فقد قال رسول الله ﷺ: «بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها:

فقال أحدهم: اللَّهم إنه إن كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رأسيهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم، حتى طلع الفجر؛ فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجةً نرى منها السماء، ففرج الله فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الثاني: اللَّهم إنه كان لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم، فقمت عنها؛ اللهم فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها، ففرج لهم فرجة.

وقال آخر: اللَّهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: اعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها. فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني واعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها. فقال: اتق الله

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والنسائي.

**ولا تهزأ بي. فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها، فأخذها فانطلق بها؛ فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي: ففرج الله عنهم»**[1].

بهذه القصة الحقيقية الواقعية يصبر المؤمن العاقل، ويوقن أن إرضاء والديه سبب في حلول الفرج إذا بلغت الشدة غايتها، وتسهيل العسير إذا استحكمت عقدها، فإذا رضي الوالدان رضي الله وانحلت العقد، ولان القاسي وسهل العسير، وتحققت الأماني.

عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا أن من بر الوالدين دعوتهم إلى الإسلام والخروج بهم من الكفر، ودعوتهم إلى الطاعة، والخروج من المعصية، بل إن هذا من أعظم البر لأن فيه النجاة من نار حرها شديد وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم والصديد، ولكن يجب أن توجه لهم الدعوة برفق ولين كما ذكر الله ذلك عن رسوله إبراهيم عليه السلام بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾ (سورة مريم: ٤١-٤٥).

---

(١) رواه البخاري(٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

# بر الوالدين (٢)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي وعد من أطاعه بنعيم الجنان، وتوعد من جحده وعصاه بجحيم النار، مظهر الحق ومبديه، ومنجز الوعد وموفيه.

قسم خلقه إلى شقى وسعيد، ومقبول وطريد، الغني عن خلقه، فلا معاصيهم تنقص ملكه، ولا طاعتهم تزيد، فله الغنى التام من جميع الوجوه على توالي الأزمان.

أحمده على ما أولاه من الإحسان، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لأهل الشكران، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى الجنات صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والكرامات، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ فطر الأبوين على الشفقة على أبنائهما والإحسان إليهم، والتضحية براحتهما ومالهما في سبيل راحة الأبناء، وهذا الصنيع الجميل من الوالدين يجب أن يقابل بالإحسان والشكر من قبل الأبناء، وفي هذا رد لبعض الجميل لمن أسداه، مع بقاء الفضل للمتقدم.

وبر الوالدين دليل على الترابط الاجتماعي الذي حث الإسلام على اتباعه، وميز به المسلمين عن الأمم الكافرة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن المنهج الإسلامي متميز عن غيره من المناهج، والله قد أمرنا في كتابه العزيز أن نقتدي برسله الكرام فقال سبحانه: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (سورة الأنعام: ٩٠). ورسل الله بررة بوالديهم. يقول نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا ﴾ (سورة نوح: ٢٨). ويقول إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٠-٤١).

ويقول سبحانه عن إسماعيل ﷺ: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة الصافات: ١٠١-١٠٢).

وقال سبحانه عن يحيى - عليه الصلاة السلام -: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (سورة مريم: ١٢-١٤).

وقال سبحانه عن عيسى - عليه الصلاة السلام -: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٣٠-٣٢).

عباد الله . . . أما ما ورد في بر الوالدين من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ فمنها: عن معاوية بن حيدة - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله مَن أبر؟، قال: «امك»، قال: قلت: ثم مَن؟، قال: «امك»، قال: قلت: ثم مَن؟، قال: «امك»، قال: قلت ثم مَن؟، قال: «ثم اباك، ثم الأقرب فالأقرب»[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم»[2].

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٧)، وقال: حديث حسن، وأبو داود (٥١٣٩)، وقال محقق جامع الأصول(١/ ٣٩٩): إسناده حسن.

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٢).

وفي رواية: كان عـمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمـداد أهل اليمن[1] يسألهم: أفيكم أويس بن عامـر؟، حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عـامر؟، قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن[2]؟، قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟، قال: نـعم، قال: لك والدة؟، قال: نعم، قال: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»**، فاستـغفر لي، فاستـغفر له، فقال له عـمر: أين تريد؟، قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعاملين، صـلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبـعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله . . . وفي حديث عمر بن الخطاب الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حول أويس القرني خير التابعين قال عمر لأويس: أين تريد؟، قال الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟، قال: أكون في غبراء الناس أحب إليَّ!!، قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»**، فأتى أويسًا، فقـال: استغفر

---

(١) الأمداد: جمع مـدد وهم الأعوان والأنصار الذين كـانوا يمدون المسلمين في الجهـاد. (النهاية) لابن الأثير (٣٠٨/٣).

(٢) مراد وقرن من قبائل اليمن.

لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: استغفر لي[١]، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: لقيت عمر؟، قال: نعم، فاستغفر له ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال أُسَيْر: وكسوته بردة، فكان كلما رآه إنسان، قال: من أين لأويس هذه البردة؟[٢].

عِبَادَ اللَّهِ . . . كما أن المولى ـ جل وعلا ـ قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادته وقرن شكرهما بشكره، فقد قرن رسول الله ﷺ عقوق الوالدين بالشرك بالله. فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس، فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور»، فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**[٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»**[٤].

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن المولى ـ جلَّ وعلا ـ قد سهل لنا طرق الخير ويسرها فمن مات والداه أو أحدهما، فقد بقي من بر والديه الخير الكثير، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أبرَّ البرِّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه، بعد أن يولي الأب»**[٥].

فالصلة إذًا ما زالت قائمة بين الولد وأبويه، يطلب الرحمة والمغفرة لهما من الله تعالى، وينفذ عهدهما، ويكرم صديقهما، ويصل رحمه التي هي من قبلهما، فينال بذلك رضى الله ورضاهما.

---

(١) استغفر لي الأولى من كلام أويس، والثانية من كلام الرجل الذي هو من أشراف اليمن واسمه «أسير كما جاء في آخر الحديث».
(٢) رواه مسلم (٢٥٤٢).
(٣) رواه البخاري (٢٥٦٤)، ومسلم (٨٧).
(٤) رواه الترمذي: «البر والصلة» (١٨٨٩)، وصححه الألباني.
(٥) صحيح، رواه أحمد، والترمذي، وغيرهما، «مختصر مسلم» (١٧٥٩).

ومن برهما: الدعاء لهما قبل وبعد وفاتهما فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[١].

ولذلك يرفع الله المسلم الدرجات في الجنة بسبب استغفار ولده. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنَّىٰ لي هذا؟، فيقال: باستغفار ولدك لك»**[٢].

وليس بر الوالدين مقصوراً بعد موتهما على الدعاء لهما فحسب، فإذا علم أحدنا أن على والديه أو أحدهما ديناً من صيام قضاه عنهما، وإذا لم يحجا حج عنهما، ولو لم يوصيا بذلك، وقيام الولد بأداء هذين الفرضين عنهما يزيل مسئوليتهما أمام الله تعالى بعد موتهما ويزيد في حسناتهما ولا ينقص من أجره شيء، فعن عبد الله بن بريده ﷺ قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: **«وجب أجرك وردها عليك الميراث»**، قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟، قال: **«صومي عنها»**، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟، قال: **«حجي عنها»**[٣].

---

(١) رواه مسلم (٤١٩٩)، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته(١٦٣١).

(٢) رواه الإمام أحمد(١٠٢٢٢)، والبيهقي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩٨).

(٣) رواه مسلم (١١٤٩).

# التقــوى

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديـثنا اليوم ـ بإذن الله تعـالى ـ عن موضـوع التقـوى التي هي وصيـة الله لعباده من الأمم السابقـة واللاحقة فقـال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (سورة النساء:١٣١). في هذه الآية وصى الله الأولين والآخـرين، أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقـوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهـملها وضيعها بأليم العذاب ولهذا قال: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا ﴾ . بأن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شـيئًا، ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له خاضعون لأمره.

والتقوى عرفها السلف بعدة تعاريف، فمنها قول طلق بن حبيب عن التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وعرفها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه»[1].

فقال فيها عبد الله بن مسعود ﷺ: «هي أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر»، وتعريف الطاعة كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣٣).

يأمر الله تعالى المؤمنين بأمر به تتم سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو طاعته وطاعة رسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه.

والطاعة هي امتثال الأوامر واجتناب المناهي على الوجه المأمور به، بالإخلاص وتمام المتابعة.

وقوله: ﴿وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾. يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها بما يفسدها، من منٍّ بها وإعجاب وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها أو الإتيان بمفسد من مفسداتها، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها وإكمالها وإتمامها والإتيان بها على الوجه الذي تصلح به علمًا وعملاً.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة النور: ٥٤)، وقال

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦١)، الترمذي (٣٧٣٥)، صحيح عن حذيفة، وانظر: «الصحيحة» (١٢٣٣).

تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة النساء:١٣).

وقد أوجب الله على المؤمنين رد قضاياهم وما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، وجعل سبحانه ذلك من مقتضيات الإيمان ولوازمه وأخبر أن ذلك خير لهم في العاقبة والمآل فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء:٥٩).

وكما أوجب الله على المؤمنين الرد إلى كتابه وسنة رسوله فقد أوجب عليهم تحكيم نبيه ﷺ والتحاكم إليه والتسليم لحكمه، وجعل ذلك من مستلزمات الإيمان فقال: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٦٥).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضًا بذلك حتى يسلموا تسليمًا، وينقادوا انقيادًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب:٣٦). فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالاً مبينًا»[١].

وقد أمرنا الله بأن نتبع رسوله ﷺ ونمتثل لأمره ونهيه في كل ما جاءنا به فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (سورة الحشر:٧).

---

(١) «إعلام الموقعين»(١/١).

قال ابن كثير: «أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر»[١].

سواء كان ذلك منصوصًا بعينه في القرآن أم لا، وذلك لأن النصوص الواردة في هذا الشأن كلها توجب اتباع الرسول ﷺ، ولأن الله لم يفرق بين طاعته سبحانه وطاعة نبيه ﷺ بل جعل طاعة نبيه طاعة له سبحانه فقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء: ٨٠). وغالب الآيات قرنت بين طاعته سبحانه وطاعة نبيه، ولأن ما سنه الرسول ﷺ مما ليس فيه نص كتاب فإنما سنه بأمر الله ووحيه.

قال الإمام الشافعي: «وما سن رسول الله فيما ليس فيه حكم فبحكم الله سنه، وكذلك أخبرنا الله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (سورة الشورى: ٥٢-٥٣)، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الدلالة على وجوب طاعته واتباع سنته».

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، أحمده - سبحانه وتعالى - وأشكره على جزيل نعمه وعظيم عطاياه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى؟!، قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

والمراد بالإباء هنا الامتناع عن التزام سنة الرسول ﷺ، وعصيان أمره، والموصوف بالإباء إن كان كافرًا فلا يدخل الجنة أبدًا، وإن كان مسلمًا منع من دخولها مع أول داخل إلا من شاء الله تعالى[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري (٦٧٣٧).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٥٤).

وبالجملة فإن الاقتـداء بالرسول ﷺ هو تجريد متابعتـه والتلقي عنه وحده، فكما أن الرب ـ سبحانه وتعالى ـ واحد فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد، فهما توحيدان: توحيد المُرسِل وهو الله ـ سبحـانه وتعالى ـ وتوحيد متـابعة الرسول ﷺ، وهذا معنى شهـادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله وبدون هذا لا يصير أحدنا مـسلمًا، ذلك هو الاقـتداء بالـرسول ﷺ وهو المعـيـار الذي ينبغي أن تـوزن به أفعـال الناس وأقوالهم وعقائدهم وسائر أمورهم.

ونخلص من هذا إلى أن الاتباع مرتبط بمظاهر عملية من حققها فقد حقق الاتباع وصدقت محبـته لله ورسوله، ومن أخل بها فقد أخل بالاتبـاع وكان ذلك دليلاً على نقصان المحبة عنده.

وفي قول ابن مسعـود عن التقوى: «وأن يذكر فلا ينسى»، وقد جاء في محكم التنزيل والسنة النبوية المطهرة ما يدعـو إلى الإكثار من ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على كل حال، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (سورة الأحزاب: ٤١-٤٢). وقال سبحانه: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥). وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الجمعة: ١٠). وقال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥). وقال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[(١)].

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: وذاك ما هو يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله عزَّ وجلَّ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (٤٨٦٠).

(٢) رواه أحمد (٢٠٧١٣)، انظر: «صحيح الجامع» رقم (٢٦٢٦).

**وقل ﷺ : «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة في الجنة»**[1] .

واعلم ـ يا عبد الله ـ أن التارك للذكر الناسي له ميت لا يبالي الشيطان أن يلقيه في أي مزبلة شاء، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (سورة الزخرف: ٣٦) . وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٤) . ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **«إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس»**، وبذكر الله تحصل السعادة والطمأنينة اللتان تغمران القلب وجوارحه قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد: ٢٨) .

والذاكر لله يكون معه فلا يخشى غمًا ولا يشكو همًا ففي الحديث القدسي يقول ـ جلَّ وعلا ـ: **«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»**[2] .

ولقد حذر رسول الله ﷺ من أن تنفض المجالس دون أن يذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيها بقوله: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة يوم القيامة»**[3] .

**وقل ﷺ : «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذاك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك وأشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك»**[4] .

---

(١) رواه الترمذي، انظر: «صحيح الجامع» برقم (٢٦٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥٦)، ومسلم (٤٨٣٢).

(٣) رواه أحمد (٩٢١٣)، والترمذي (٣٣٠٢)، «صحيح الجامع» (٦١٩٢).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٥٥)، وابن ماجه، انظر: «صحيح الجامع» (٢/١٠٦٥)، رقم الحديث (٦١٩٢) «المشكاة» رقم (٢٤٣٣).

وفي قول ابن مسعود: «ان يشكر فلا يكفر»، الشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها، وصرفها في مرضات الله تعالى، وكفر النعم ضد ذلك وشكر العبد لربه يدور على ثلاثة أركان، لا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها:

**الركن الأول ـ اعترافه بنعمة الله عليه في قرارة قلبه:** بأن يعترف بأن هذه النعم واصلة إليه من الله ـ سبحانه وتعالى ـ تفضلاً منه واحسانًا لا بحوله ولا بقوته.

**الركن الثاني ـ من اركان الشكر:** التحدث بهذه النعم ظاهرًا، فيثني على الله ويحمده ويشكره فلا ينسب النعم إلى غير الله.

**والركن الثالث ـ من اركان الشكر:** الاستعانة بالنعمة على مرضات الله فيستعملها في طاعة الله، أما إذا استعمل نعمة الله في معصيته فقد كفر نعمة الله عليه، فالذي يستعمل قوى جسمه وصحته وينفق أمواله في معصية الله فقد كفر نعمة الله عليه واستحق عقوبته، وقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ جزاء الشاكرين وعذاب الكافرين بنعم الله في عدة مواطن.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (سورة إبراهيم:٧). وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (سورة إبراهيم:٢٨). والشكر ـ يا عباد الله ـ بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة الشكور وكفها عن معاصيه.

ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ عندما كان يقوم على قدميه حتى تفطرتا وكانت تقول أم المؤمنين عائشة ﵂: **لِمَ تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!، فقال: «يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً»**[1].

(١) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨٢٠).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الله ـ سبحـانه وتعالى ـ بين أن للتقوى ثمارًا فـقال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٩). في هذه الآية من اتقى الله حصل له أربعة أشياء كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

**الأول** ـ الفرقان وهو العلم والهدى، الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة وأهل الشقاوة.

**والثاني والثالث** ـ تكفير السـيئات ومغفرة الذنوب، وكل واحـد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق، وعند الاجتماع يفسر تكفيـر السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

**الرابع** ـ الأجر العظيم، والثواب الجزيل لمن اتقـاه، وآثر رضاه على هوى نفسه، والله ذو الفضل العظيم.

# تذكر الموت

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن تذكر الموت «قصر الأمل»، جعلنا الله وإياكم ممن يتذكر الموت ليعتبر ويستعد للقاء الله، فإن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٤-٣٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة يس: ١٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٣٠-٣١).

وأما ما ورد في السنة من الأدلة على تذكر الموت وقصر الأمل فكثير جدًا ومن ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «استحيوا من الله حق الحياء»، فقلنا: يا نبي الله، إنا لنستحيي! ، قال: «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الراس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[(١)] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، - أو قال (بخطاياهم) - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة. فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل»[(٢)] .
فقال رجل من القوم: «كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية»[(٣)] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلاً كان قبلكم رزقه الله مالاً، فقال لبنيه لما حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإني لم أعمل خيرًا قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا، فجمعه الله - عزَّ وجلَّ - فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك، فتلقاه برحمته»[(٤)] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كُرَيْبُ! انظر ما اجتمع له من الناس. قال: فخرجت فإذا أناس قد اجتمعوا له. فأخبرته.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) وغيره.
(٢) حميل السيل: أي ما يحمله السيل من غثاء.
(٣) رواه مسلم (١٨٥).
(٤) رواه البخاري «الفتح٦» (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

فقال: تقـول هم أربعون؟ قال: نعم، قـال: أخرجوه. فإني سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»[(١)].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بـينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجـار على بغلة له، ونحن معـه، إذ حادت[(٢)] به، فكادت تلقـيه، وإذا أقـبر ست، أو خـمسـة، أو أربعة، فـقال: «من يعرف اصحاب هذه الأقبر؟»، قال رجل: أنـا، قال «فمتى مات هؤلاء؟»، قال: مـاتوا في الإشراك، فـقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار»، قالوا: نعوذ بالله من عـذاب النار: فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهـر منها وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال»، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»[(٣)].

وعن عثمـان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسـول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»[(٤)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث، يقول: «لا يموتن احدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٩٤٨).

(٢) حادت: مالت عن الطريق.

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٤) رواه أبو داود (٣٢٢١)، وقـال الألبـاني (٢/ ٦٢٠): صـحـيـح، وقـال مـحـقق جـامع الأصـول (١١/ ١٤٩): حسن.

(٥) رواه مسلم (٢٨٧٧).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، الذي حكم على خلقه بالموت وهو الحكيم الحميد، وأشهد ألا إله إلا الله الأحد الودود، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين وأفضل داع إلى التوحيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

عباد الله . . . اعلموا أنه يجب أن يكون المسلم بين الخوف والرجاء. يخاف عقاب الله ويرجو رحمته، وينبغي أن يغلب جانب الرجاء عند الموت. عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو بالموت فقال: **«كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»**[(1)].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ حسن الظن بالله ينبغي أن يكون عند الموت أغلب على العبد منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له.

ويشرع لمن حضر المحتضِر أن يلقنه **«لا إله إلا الله»**. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله»**[(2)].

قال صالح بن عبد القدوس:

**والروح فيك وديعة أودعتها ❊ ستردها بالرغم منك وتسلبُ**

**وغرور دنياك التي تسعى لها ❊ دار حقيقتها متاع يذهبُ**

**والليل فاعلم والنهار كلاهما ❊ أنفاسنا فيها تعدُّ وتُحسبُ**

**وجميع ما حصلته وجمعته ❊ حقًّا يقينًا بعد موتك يذهبُ**

**تبًا لدار لا يدوم نعيمها ❊ ومشيدها عما قليلٍ يخربُ**

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٧٨٥)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٢٦١).

(٢) رواه مسلم (٦/ ٢٢٠).

عبد الله . . . تصور ـ أخي المسلم ـ عندما ينزل بك مرض الموت، وتحل ساعة الاحتضار، ويقف أبوك المشفق بجوارك، وأمك الحنون وأولادك الكبار والصغار من حولك، وقد أحاطوا بك إحاطة السوار بالمعصم، ينظرون إليك بعين الرحمة والعطف والشفقة، وقد سالت دموعهم وحزنت قلوبهم، يرجون لك الشفاء ويتمنون لك البقاء، ولكن هيهات فلا يملك أحد من الخلق أن يزيد في عمرك أو يرد إليك عافيتك، إن الذي أعطاك الحياة بلا اختيار منك هو الذي يسلبها فله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى.

وشتان ـ أيها المسلمون ـ بين من يحيط به عند موته قرناء السوء وأهل الفساد، وبين من يحيط به قرناء الخير وأهل الصلاح، يدعون له بالخير ويذكرونه بالله وبلا إله إلا الله.

فاحرص ـ أيها المسلم ـ واجتهد لنفسك بالاستعداد وتقديم الزاد ليوم الميعاد، وجدد التوبة، وجانب الأشرار والزم الأخيار؛ فإنهم من أقوى معين ـ بعد الله ـ على سلوك الصراط المستقيم والثبات على هذا الدين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا حُضر المؤمن اتت ملائكة الرحمة بجريدة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح من الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به أبواب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم اشد فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ قالوا: ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا حُضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله عزَّ وجلَّ فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب الأرضين فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا به أرواح الكفار**»[١] .

---

(١) رواه النسائي (٤/٨)، والحاكم (١/٣٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١/١٤٦).

# التحذير من فتنة المال

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن فتنة المال، أجارنا الله وإياكم من مضلات الفتن. لقد حذر المولى ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين في غير ما آية من فتنة المال والانشغال به عن ذكر الله وطاعته، فهو سبحانه يعلم مواطن الضعف في هذه الكينونة البشرية، ويعلم أن الحرص على الأموال وعلى الأولاد من أعمق مواطن الضعف فيها، فقال سبحانه: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٨).

إذا لم ينتبه المؤمنون إلى ما عند الله من الأجر العظيم واهتموا له، واهتموا بتحصيله، وجاهدوا أنفسهم في سبيل ذلك ووازنوا ما بين أيديهم من أموال وأولاد




زائلة، وبين ما عند الله من أجر عظيم، باق خالد، فقدموا الباقي الخالد على الفاني الزائل، إذا لم يفعلوا ذلك وركنوا بالكلية إلى أموالهم وأولادهم فألهتهم عن ذكر الله، فعند ذلك تكون الخسارة المحققة الماحقة. ولذلك نبه الله ـ تعالى ـ المؤمنين إلى خطر هذا الموقف وجسامته، وخسارة من يصل إليه، فقال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة المنافقون: ٩) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: يقول تعالى آمرًا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهيًا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبرًا لهم بأنه مَنْ تَلَهَّى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[١] .

وذكر القرطبي ـ رحمه الله ـ: أن المولى سبحانه في هذه الآية حذر المؤمنين أخلاق المنافقين، أي: لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا ـ للشح بأموالهم ـ: ﴿ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ (سورة المنافقون: ٧). وذكر أيضًا ـ رحمه الله ـ: الخلاف في المراد بـ «ذكر الله» في الآية : فقيل: لا تلهكم عن الحج والزكاة وقيل: عن قراءة القرآن، وقيل إدامة الذكر، وقيل عن الصلوات الخمس، قاله الضحاك، وقال الحسن: جميع الفرائض، كأنه قال عن طاعة الله[٢] . والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن ذكر الله أعم من ذلك كله فيدخل تحتها جميع ما تقدم، ما لم يرد النص الذي يخصص واحدًا منها.

وكما حذر ـ سبحانه وتعالى ـ من الالتهاء بالأموال عن ذكره، فكذلك كرر هذا التحذير مرة أخرى ـ في غير ما آية ـ وأخبر بأن المال فتنة. فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٧٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٨٤).

أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة التغابن: ١٥). والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قَدم المال على الولد وذلك: لشدة تعلق النفوس بالمال، فهو فتنتها أكثر من الولد، وذلك لقربه وسهولة مأخذه وتناوله، وسرعة نجدته، وسهولة استثماره وتنميته، وأن مردوده سريع، وربحه سريع.

وأما الولد فيحتاج إلى فترات زمنية قد تطول من حيث التنشئة والتربية، حتى يبلغ مرحلة السعي، وبعد ذلك قد يكون قريبًا، وقد يكون بعيدًا، وقد يكون مريضًا، وقد يكون بارًا، وقد يكون عاقًا.

إذًا فالمال أشد فتنة، والمشاهد المنظور في حياة الناس اليوم وقبل اليوم افتتانهم بالمال أكثر من افتتانهم بالولد، فخراب الذمم عند كثير من الناس، والرشوة والسرقة والغصب والربا، وأكل مال اليتيم وغيرها، كل ذلك بسبب فتنة المال ـ أعاذنا الله والمسلمين منها.

وقد فسر القرطبي ـ رحمه الله ـ الأجر العظيم في قوله: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٨). بالجنة وقال: فهي الغاية، ولا أجر أعظم منها في قول المفسرين[1].

ووصف ـ سبحانه وتعالى ـ الأجر عنده بأنه أجر عظيم، هذا يجعل المؤمنين يقدمون على هذا الأجر في مقابل التضحية لزينة المال والولد، فإن للمال زينة ورنة، وإن للولد حلاوة ونظارة في النفس، والناس قد يلتهون بأموالهم تنمية واستثمارًا وتجارة، ويظنون أنهم بذلك يعملون الصالح لأنفسهم وأبنائهم وهم مفتونون بذلك، فالمولى ـ تبارك وتعالى ـ العليم بخفايا النفس البشرية وضعفها لم يقل للمؤمنين: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٨). فحسب! ولكنه ـ جلَّ وعلا ـ أخبرهم بما عنده وأغراهم به لأن النفوس لكي تتجافى عن لهو المال والولد لابد لها في المقابل من شيء تحسُّ أنه أعظم وأبقى وأكثر مما بين يديها، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٨). في غاية المناسبة في هذا المقام. والله أعلم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨ : ٩٤).

وينبغي ألا يفهم من كلامنا السابق أن الإسلام يدعو أتباعه إلى التخلص من المال والولد بالكلية، والإقبال على ذكر الله فقط، وليس الأمر كذلك، بل إن الإسلام دين حياة وآخرة، والإسلام هو الدين الوحيد الذي واءم ووازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد في هذا الكائن البشري، فلم يطغ جانبًا على آخر، ولم يُهمل جانبًا على حساب آخر، ولعل الآية التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (سورة القصص: ٧٧). تعكس موقف الإسلام ونظرته إلى حقيقة التكوين البشري، فللروح أشواقها وطلباتها، وللجسد رغباته ومادته، ولكن الإسلام لا يجعل للدنيا مقامًا يعلو على الآخرة، ولعل ذلك يُشْعُر به لفظ ﴿وَابْتَغِ﴾ في الآية، الذي يطلق على الكثير والقليل في كل أحوال الإنسان ابتداء من التسبيحة والتحميدة والتهليلة الواحدة، وانتهاءً بالجهاد في ساحات الوغى، ومرورًا فيما بين ذلك مما يشمل سائر القربات والطاعات، مما هو معلوم. فإذاً حركة الابتغاء هذه لا تنتهي في حياة المؤمن إلا في حالة النوم أو العجز المطلق الذي يسقط معه التكليف.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل المال بلاغًا للصالحين إلى مرضاة رب العالمين، وجعله فتنةً وبلاءً للفسقة والمبذرين من إخوان الشياطين، نحمده سبحانه الذي أعطى ومنع وكل شيء عنده بمقدار، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه البررة الأطهار . . . أما بعد:

قال تعالى: ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. ولفظ النصيب يشعر بأنه محدود ومعلوم ومقدر، كمًا وكيفًا وزمانًا، وإضافة إلى كافة الخطاب مُشعر كذلك أنه ملازم لهذا الإنسان حتى لو ذهب واختفى تحت حجر أو شجر لتبعه نصيبه، قال له: قم فأنا نصيبك، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «يا أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب،

فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها..»[1]، والإسلام يدعو إلى كسب المال، واستثماره وتنميته بالطرق المشروعة، والقرآن ينص على أن المؤمنين الذين يعبدون الله ويقيمون الصلاة، ويتوكلون عليه، وتكون لهم أموال ينفقون منها، يصفهم بأنهم هم المؤمنون حقًا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٢-٤). والإسلام إنما فرض الزكاة ليلفت المؤمنين إلى أهمية العناية في ميدان المال واستثماره وتنميته في حياتهم، والزكاة دعوة إلى ذلك، لأن المؤمن إذا لم يُنَمِّ ماله ويستثمره في الحلال فإن الزكاة ستأكله، ولا يكلف الله تعالى بالزكاة أمة فقيرة تعيش عالة على الآخرين، وإنما كلفهم وفرض عليهم الزكاة لتكون لهم أموال ينفقون منها على أنفسهم وأهليهم وإخوانهم والمسلمين في كل مكان، نصرة لدين الله وجهاداً في سبيله، ورفعة لرايته وحربًا لأعدائه.

وعثمان بن عفان رضي الله عنه لم يظفر بقول الرسول ﷺ: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»[2]. لم يظفر بهذا القول بكثرة صيامه وقيامه، وإنما ظفر به نتيجة ما أنفقه من ماله على جيش العسرة و: «نعم المال الصالح مع الرجل الصالح»[3]، ولكن الإسلام مع هذا كله يجعل ميدان الدنيا بكل ما تشمله من مال وولد وغيرها، ميدانهما (اليدين والجوارح) ويجعل ميدان الآخرة بكل ما تشمله (القلب).

وهذه النظرة لم يفهمها أعداء الإسلام. والحمد لله على نعمة الإسلام.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «التجارات»، باب الاقتصاد في طلب المعيشة (٢/ ٧٢٥) رقم (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «المناقب» باب في مناقب عثمان (٥/ ٦٢٦) رقم (٣٧٠١)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩) وصححه الألباني في «غاية المرام» (٢٦١) رقم (٤٥٤).

واعلم - يا عبد الله - أن فتنة هذه الأمة وهلاكها المال، فعن كعب بن عياض ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن لكل امة فتنة، وفتنة امتي المال»[١]، شرح المباركفوري هذا الحديث بكلام وجيز، فقال: قوله: «إن لكل امة فتنة - أي: ضلالاً ومعصية - وفتنة امتى المال» أي: اللهو به لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة ويُنسي الآخرة[٢]، فالمال قد يهلك صاحبه لأنه مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك[٣].

ولذلك قال النبي ﷺ: **«والله لا الفقر اخشى عليكم، ولكن اخشى عليكم ان تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم؛ فتنافسُوها كما تنافسُوها، وتهلككم كما اهلكتهم»**[٤].

قال النبي ﷺ هذا الحديث حينما جاء أبو عبيدة بن الجراح بالجزية والأموال من البحرين، فاجتمع الصحابة عند النبي ﷺ لذلك، فقال لهم: **«ابشروا وأمِّلُوا ما يسرُّكم، فوالله لا الفقر اخشى عليكم...»** وذكر الحديث. فاستنبط الحافظ ابن حجر - رحمه الله - فائدة من ذلك فقال: «وفيه أن المنافسة في الدنيا قد تجر إلى الهلاك»[٥]، والمنافسة في هذا الحديث كانت في المال - أعاذنا الله من فتنته - ومعناه: أن لكل أمة من الأمم فتنة تختص بها وتكون سببًا لضلالها ومعصيتها، كما أخبر بأن غالب فتنة بني اسرائيل كانت في النساء، مع وجود غيرها من الفتن إلا أنها الغالبة عليها. **«وفتنة امتي المال»**.

أي: أن أكثر ضلال أمتي وسبب عصيانها هو بسبب المال، فإن الحرص على المال والانشغال بجمعه دون الأخذ بالاعتبار ما سيؤدى إليه جمع هذا المال، من كثرة الحساب

---

(١) رواه الترمذي في «الزهد» باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال: (٤/ ٥٦٩) رقم (٢٣٣٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٩٤).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٦٣٠).

(٣) «الصحيح المسند» (١٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في «الجزية» (٦/ ٢٩٧-٢٩٨، رقم ٣١٥٨) مع «الفتح».

(٥) «الفتح» (٦/ ٣٠٤).



عليه، وتعدد الحقوق فيه مثلاً للفقراء والمستحقين له، فإن صاحب هذا المال يعرض نفسه للهلاك والخسران بسببه، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : «**اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**»(١)، كذلك لا يخفى ما يؤدي إليه الحرص على طلب المال، من تضييع حق الله في العبادة، والانشغال عن الواجبات كالصلوات وحضور مجالس العلم وترك العناية بتربية الأولاد، وإصلاح الأهل حيث لا يجد الرجل وقتًا لتعليم أولاده وتربيتهم التربية الصالحة، ويتركهم عُرضة للانحراف والضياع، وهو المسئول عنهم أمام الله يوم القيامة(٢).

ومما يدل على أن فتنة هذه الأمة وهلاكها المال، ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، ولا أراهما إلا مهلكاكم**»(٣)، والمعنى أن هذين هما سبب هلاككم، كما كان سبب هلاك من قبلكم من الأمم وخسرانهم، وضلالهم، ومعصيتهم، فاستوجب عقابهم، على هذا.

والمراد: الحرص والجمع زيادة على الحاجة، والاشتغال بهما عن الواجبات والطاعات، وهذا الذي ذمه الشارع الحكيم، بقوله ﷺ : «**تعس عبد الدينار والدرهم**»(٤)، أي: الطالب لهما والحريص على جمعهما وحفظهما، فيكون كالعبد والخادم لهما، يرضى لزيادتهما، ويغضب لنقصانهما، لذا قال في آخر الحديث المذكور: «**إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرضَ**»(٥).

عِبَادَ اللَّهِ . . . وما أجمل ما قاله ﷺ في حق المال ووضعه في محله: «**من أخذه بحقه، ووضعه بحقه، فنعم المعونة هو، وإن أخذ بغير حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة**»(٦).

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨١٣).

(٢) «الفتن في الآثار والسنن» (ص٢١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٤٤٧) رقم (٢٢٤٥).

(٤) أخرجه البخاري في «الرقاق»، باب ما يتقي من فتنة المال (١١/ ٢٥٧) رقم (٦٤٣٥)، مع «الفتح».

(٥) «الفتن في الآثار والسنن» (ص٢٦).

(٦) رواه مسلم في «الزكاة» باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٢/ ٧٢٨ - ٧٢٩).

# الحكم بغير ما أنزل الله

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد ... فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله ... حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الحكم بغير ما أنزل الله وقد فرط المسلمون كثيرًا في الحكم بما أنزل الله، ويكاد يكون منعدمًا في مجتمعات المسلمين وإن وجد شيءٌ منه ففقدت منه أشياء كثيرة، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعيد المسلمين إلى الجادة والصواب ونبذ ما يخالف التنزيل الإلهي من كتاب وسنة إنه جواد كريم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (سورة النساء: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٩ - ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٧).

ومن الأحاديث الواردة في ذم الحكم بغير ما أنزل الله ما ثبت عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي: إطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (سورة التوبة: ٣١). قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»[1].

ومعنى (**الحكم بغير ما انزل الله**): هو تحكيم القوانين الوضعية الطاغوتية، وتنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ في الحكم بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين، قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٥٠).

قال: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكَم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في «غاية المرام» (٢٠)، وانظر: «جامع الأصول» حاشية (ص١٦١ مجلد ٢).

الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم ـ جنكيز خان ـ الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت هي شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير[1].

وعن طاووس وعطاء أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٥). كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[2].

وقال شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ في معنى قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (سورة التوبة:٣١): وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

**احدهما** ـ أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم، ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف للدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٤).

الثاني ـ أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعله المسلم من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»[1]، ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثبته على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، ولاسيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باليد واللسان، مع علمه أنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه[2].

## الخطبة الثانية:

الحمد ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والخسران والضياع للعصاة المارقين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (سورة النساء:٥٨): والعدل هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ لا الحكم بالرأي المجرد، فإن ذلك ليس من الحق في شيء إلا إذا لم يوجد دليل تلك الحكومة في كتاب الله ولا في سنة رسوله فلا بأس باجتهاد

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (١٤١، ١٤٢).

الرأي من الحاكم الذي يعلم بحكم الله سبحانه وبما هو أقرب إلى الحق عند عدم وجود النص، وأما الحاكم الذي لا يدري بحكم الله ورسوله، ولا بما هو أقرب إليهما فهو لا يدري ما هو العدل، لأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته، فضلاً عن أن يحكم بها بين عباد الله[١].

عباد الله . . . وفي حكم من يحكم بغير ما أنزل الله تفصيل، ومن ذلك ما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ في رسالته تحكيم القوانين يقول: من الممتنع أن يسمي الله ـ سبحانه ـ الحاكم بغيرِ ما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا، بل هو كافر مطلقًا، إما كفر عمل، وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر، إما كفر اعتقاد ناقلٍ عن الملَّة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة، أما القسم الأول ـ وهو كفر الاعتقاد ـ فهو أنواع:

احدها ـ أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير، أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم.

الثاني ـ أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقًا أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضًا لا ريب أنه كفر، لتفضيله أحكام المخلوقين على حكم الحكيم الحميد.

(١) «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٥٧١).

**الثالث** ـ أنه لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله وسوله، لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذيـن قبله، في كونه كـافرًا الكفر الناقل عن المـلة، لما يقتضـيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (سورة الشورى: ١١).

**الرابع** ـ أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله، فضـلاً عن أن يعتقـد كونه أحسن منه لكن اعـتقد جواز الحـكم بما يخالف حكم الله ورسوله، فـهذا كـالذي قبله يصـدق عليه مـا يصدق عليـه لاعتـقاده جواز مـا علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

**الخامس** ـ وهو أعظمهـا وأشملهـا وأظهرها مـعاندة للشرع ومكـابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله وتشكيلاً وتنويعًا وحكمًا وإلزامًا، ومراجع ومستندات، ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضًا ورغبة عن حكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

**وأما القسم الثاني من قسمي الحكم بغير ما أنزل الله:** فهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك في قـوله في الآية ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَـا أَنزَلَ اللَّهُ فَـأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِـرُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٤): «**كفر دون كفر**»، وقوله أيضًا: «**ليس بالكفر الذي تذهبون إليه**»، وذلك أن تحمله شـهوته وهواه على الحكم في القضـية بغيـرها ومجانبـة الهدى، وهذا وإن لم يخرجه كـفره عن الملة فإنه معـصية عظمى أكبـر من الكبائر كالزنا، وشـرب الخمر، والسرقة، واليمين الغموس وغيرها، فإنها معصية لم يسمها كفرًا[1].

---

(١) «تحكيم القوانين» للشيخ محمد بن إبراهيم (ص١، وما بعدها).




عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا أن الحكم بغير ما أنزل الله ينافي الإيمان بالله سبحانه وتعالى وقد ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في صفة الحكم بما أنزل الله فقال: إن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ينافي الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وهو كفر وظلم وفسق وبعد أن استشهد على ذلك بآيات سورة المائدة التي أسلفنا ذكرها في مقدمة الخطبة الأولى، وذكر أن المولى سبحانه قد بين أن الحكم بغير ما أنزله هو حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكمه - عزَّ وجلَّ - سبب في حلول عقابه وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] (سورة المائدة ٤٩-٥٠).

نسأل الله جلَّ وعلا أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه انقيادًا ورضاءً فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) «صفة الحكم بما أنزل الله»، (جـ٥، ص١٧٠٩ - ١٧١٤).

# الحيـــاء

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب: ٧٠-٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الحياء، جعلنا الله وإياكم من أهله إنه سميع مجيب.

أما تعريفه: فالحياء لغة كما قال ابن منظور: هو التوبة والحشمة.

واصطلاحًا: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به[1].

وأما أنواعه: فالحياء قسمان: غريزي ومكتسب.

---

(١) «الفتح» (١/ ٤٢).

**والحـيـاء المكتـسب:** هو الذي جـعله الشـارع من الإيمـان، وهو المكلف به دون الغريزي، وقد ينطبع الشخص بالمكتَسَب حتى يصير كالغريزي.

وقد كان رسول الله ﷺ قد جُمع له النوعـان، فكان ﷺ في الغريزي أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان في المكتسب في الذروة العليا.

وقال المناوي: الحياء نوعان ـ نفساني: وهو المخلوق في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس. وإيماني: وهو أن يمتنع المسلم من فعل المحرم خوفًا من الله[1].

ونقل صاحب الآداب الشرعية عن غير واحد قولهم: قد يكون الحياء تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، واستعماله على مقتضى الشرع يحتاج إلى كسب ونية وعلم[1].

عِبَادَ اللَّهِ . . . وأما الأدلة الواردة من كلام الله جلَّ وعلا في الحـياء فمنها ما ورد في قصة موسى ـ عليـه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة القصص:٢٣-٢٥).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ

---

(١) «التوقيف على مهمات التعاريف» (١٥٠).

(٢) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٢/ ٢٢٧).

يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٣).

عِبَادَ اللَّهِ . . . أما الأدلة على الحياء من السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ فمنها:

عن سعيد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كما تستحي رجلاً من صالحي قومك»[(١)].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء»[(٢)].

وعن أبي مسعود (وهو البدري) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»[(٥)].

---

(١) «الزهد» لأحمد (ص٤٦)، و«الشعب» للبيهقي (٢/ ٤٦٢)، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٣٧٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وقال الألباني (١/ ٢٧٩): صحيح.

(٣) رواه البخاري، «الفتح٦» (٣٤٠٤) واللفظ له، ومسلم (٣٣٩).

(٤) رواه البخاري، الفتح١» (٩) واللفظ له، ومسلم (٣٥)، ورواه أيضًا بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة».

(٥) رواه البخاري، «الفتح١٠» (٦١١٨)، ومسلم (٥٩).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الحياء الحقيقي لا يمنع من الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر: قال صاحب «فضل الله الصمد»: فإن قـيل: إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجـه بالحق، فيـترك الأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر، وقد يحـمله الحيـاء على الإخلال ببعض الحقوق، وغيـر ذلك مما هو معروف في العادة، فأقول: إن ذلك ليس بحياء حقيقية، بل هو عجز وخور ومهانة وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيهًا ومجازًا، وإنما يكون الحياء حقيقيًا حيث يكون قبح المستحيا منه حقيقيًا، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو في الحقيقة حسن، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيح ولكن الانقباض عنه يؤدي إلى ما هو أقبح منه.

مثال ذلك: ما يـقع من بعض خَرِعات النساء يعرض لها فـاجر في خلوة يحاول استكراهها، فتنقبض نفسها عن أن تستـغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجرًا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيـوع ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه، وعلى ذلك فالحياء في قوله ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**[1]، هو الحياء الحقيقي.

وقد ثبت أنه ﷺ أشـد حياء من العذراء في خـدرها وهو لنا في ذلك قدوة ـ لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله[2].

عباد الله . . . ومما ينبغي التنبيه عليـه أن الحيـاء أصـل لكل خـير؛ قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًـا، بل هو خاصة الإنسانيـة، فمن لا حياء فـيه ليس معه من الإنسـانية إلا اللحم

---

(١) رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

(٢) «فضل الله الصمد» (٢/ ٦٩١ - ٦٩٢).

والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤدَّ أمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا ولا بر له والدًا، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها. ثم قال ـ رحمه الله ـ: إن للإنسان آمرين وزاجرين، آمر وزاجر من جهة الحياء، فإذا أطاعه امتنع من فعل كل ما يشتهي، وله آمر وزاجر من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع آمر الحياء وزاجره أطاع آمر الهوى والشهوة ولابد»[1].

عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن المعاصي تذهب الحياء كما بين ذلك ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يقول: من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث الصحيح: «الحياء خيرٌ كله»[2]، والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى أنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع.

وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حَيَّا وقال: فديت من لا يفلح، ومن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثًا، ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته»[3].

---

(١) مختصر من كتاب «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢٧٧).

(٢) رواه البخاري، «الفتح» (٦١١٧/١٠)، واللفظ له، ومسلم (٣٧).

(٣) «الداء والدواء» (١٣١-١٣٣).

ومن آثار السلف في الحيـاء ما قاله أبو بكر الصـديق رضي الله عنه وهو يخطب الناس: «يا معشر المسلمين: استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياء من ربي عزَّوجلَّ»[١].

وقال عمر رضي الله عنه: «من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه»[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله»[٣].

وقال إياس بن قرة: كنـت عند عمر بن عبد العـزيز فذكر عنده الحيـاء، فقالوا: الحياء من الدين، فقال عمر: «بل هو الدين كله»[٤].

وقال مجاهد: «لا يتعلم العلم مستحيي ولا مستكبر»[٥].

وقال الفـضيل بن عيـاض: «خمس من علامـات الشِقوة: القـسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل»[٦].

وقال ابن جرير الطبري[٧]:

حـيـائي حـافظٌ لي مـاء وجـهي ... ورفــقي في مـكالمتي رفـيــقي

ولو اني ســمــحت ببــذل وجـهي ... لـكنت إلى الغنى ســهل الطريق

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٢٠).
(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٣٠).
(٣) أحمد «رواية البغوي» (٧٦).
(٤) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (١٩).
(٥) رواه البخاري، «الفتح» (١/ ٢٧٦).
(٦) «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٢٧١).
(٧) «سير أعلام النبلاء للذهبي» (١٤/ ٢٧٦). وفيه: «إلى العلى» مكان «إلى الغنى».

# الـزنـــا

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . موضوعنا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن ظاهرة سيئة ومشينة وفيها اعتداء على محارم الله ألا وهي ظاهرة الزنا، أجارنا الله وإياكم من كل خصلة مردية إنه جواد كريم.

قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (سورة الإسراء: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة النور: ٢-٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٨-٧٠).

أما الأحاديث الواردة في ذم الزنا، فمنها مـا ثبت في الصحيحين عن أنس ﷺ أنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا**»[1].

وعن أبي موسى ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، لا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[3].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله: فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرًا لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه؛ وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعْدَل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم، فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي؛ ورجل كان في سرية فلقي العدو فهزموا وأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له. والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظّلوم**»[4].

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١» (٨٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) رواه النسائي، واللفظ له (٨/ ١٥٣)، ذكره الألباني في «حجاب المرأة المسلمة» (٦٤).

(٣) رواه مسلم (١٠٧).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٦٨)، واللفظ له، وهو في «المشكاة»، حديث (١٩٢٢).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول لأصحابه: «هل راى احد منكم من رؤيا؟»، قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع»، . . . الحديث وفيه: «وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني. وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا. وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم. وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام. وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة»، قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، تجاوز الله عنهم»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة. فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا. والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق، ذلك الفرج ويكذبه»[2].

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٧٠٤٧)، واللفظ له، ومسلم (٢٢٧٥) مختصراً.

(٢) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، واللفظ له.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين والمبعوث رحمة للعالمين. صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»[١].

وأما حد الزنا فثبت في صحيح مسلم من حديث عبادة بن الصامت ـ ﷺ ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**»[٢].

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: ورد في الذبور مكتوبًا:ـ إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح، وتمرح ولا تراقب الله تعالى، ولا تستحي منه»[٣].

وأما خبث الزنا واللواطة، فقد أوضح ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ قال: «وَسَمَ الله سبحانه الشرك والزنا واللِّوَاطة بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب، وإن كانت جميعاً تشتمل على ذلك،لكن الله عزَّ وجلَّ خص هذه الذنوب لغلظها فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (سورة التوبة: ٢٨).

وقال في حق اللواطة: ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٤).

---

(١) رواه البخاري، «الفتح»١٢ (٦٨٧٨)، واللفظ له. ومسلم (١٦٧٦).

(٢) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٣) «الكبائر» (٥١).

كما ذكر عن اللوطية أنفسهم أنهم نفوا عن أنفسهم الطهارة فقال: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٨٢).

وأما الزناة فجاء وصفهم صريحًا فقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ (سورة النور: ٢٦).

والمقصود الآن بيان ما في الزنا واللواطة من نجاسة وخبث أكثر وأغلظ من سائر الذنوب ما دون الشرك، وذلك لأنها تفسد القلب وتضعف توحيده جدًا، ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركًا، فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان العبد أعظم إخلاصًا كان منها أبعد، فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصية في إبعاد القلب من الله، فإذا انطبع القلب بهما بعد من الله الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب[1].

وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ: النظرة بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المُردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم. وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد. وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياسًا على المرأة، لأن النبي ﷺ قال: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما».

وفي المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء، ويُتَسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى، وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر، وجاء رجل إلى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ومعه صبي حسن،

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (٧٨-٨٢) بتصرف.

فقـال الإمام: ما هذا منك؟ قـال: ابن أختي، قال: «لا تجئ به إلينا مـرة أخرى، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءًا»[١].

قال الإمام ابن حـجر ـ رحمه الله ـ: «عـد الزنا من الكبائر هو ما أجمـعوا عليه واختلف في أيهمـا أشنع وأقبح، هل القتل أم الزنا؟ والصحـيح أن الذي يلي الشرك في الكبـائر هو القتل ـ أي قـتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ـ ثم الزنـا، وأفحش أنواعه الزنا بحـليلة الجار، والزنا أكبـر إثمًا من اللواط، لأن الشـهوة داعيـة إليه من الجانبين فيكثر وقـوعه ويعظم الضرر بكثرته، ولما يترتب عليـه من اختلاط الأنساب، وبعض الزنا أغلظ من بعض، فالزنا بحليلة الجار أو بذات الرحم أو بأجنبيـة في شهر رمضان أو في البلد الحـرام فاحشة مشينـة، وأما مـا دون الزنا الموجب للحد فإنه من الصغائر إلا إذا انضـاف إليه ما يجعله كبيـرة كأن يكون مع امرأة الأب أو حليلة الابن أو مع أجنبية على سبيل القهر والإكراه»[٢].

---

(١) «الكبائر» (٥٨-٥٩)، بتصرف يسير.

(٢) «الزواجر» (٥٤١-٥٥٤)، بتصرف واختصار.

# السعادة المنشودة (١)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**أيها المسلمون** . . . لا يعرف مفقود تواطأ الناس على البحث عنه، والإعياء في طلبه، وهم مع ذلك يسيرون في غير مساره، ويلتمسونه في غير مظانه، مثل السعادة والطمأنينة والبال الرضي، فلله ما أقل عارفيها، وما أقل في أولئك العارفين من يقدرها ويغالي بها ويعيش لها.

بل لو غلغل النظر في بعض عارفيها لما وجد إلا حق قليل يكتنفه باطل كثيف، حق يُعرف في خفوت، كأنه نجمة توشك أن تنطفئ في أعماء الليل، وما أكثر العواصف التي تهب علينا وتملأ آفاقنا بالغيوم المرعدة، ولم يواجه المرء منا بما يكره، ويحرم ما يشتهي، وهنا يجئ دور السعادة التي تطارد الجزع، والرضا الذي ينفي السخط.

السعادة التي تسير مع الإنسان حيث استقلت ركائبه، وتنزل إن ينزل وتدفن في قبره، السعادة التي يعبر عنها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في أوج إحساسه بها: «ما يفعل بي أعدائي! إن سجني خلوة، وإن قتلي شهادة، وإن تشريدي سياحة في سبيل الله».

عباد الله . . . إن الله سبحانه وتعالى عندما خلقنا ما أراد لنا أن نشقى جميعًا وقد قال لنبيه ﷺ: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ (سورة طه:١-٢)، ويقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (سورة طه:١٢٣).

السعادة - يا عباد الله - ينشدها كل البشر بلا استثناء ولا نحسب أحدًا منهم يبحث عمدًا عن الشقاء لنفسه أو يرضى بتعاستها.

أيها المسلمون . . . إن العبد بغير إيمان مخلوق ضعيف، وإن من ضعفه أنه إذا أصابه شر جزع، وإذا أصابه خير منع، وهو في كلتا الحالين قلق هلع: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (سورة المعارج:١٩-٢٢).

إن فقدان السعادة من قلب المرء يعني بداهة حلول القلق والاضطراب النفسي في شخصه، فتجتمع عليه السباع الأربعة التي تهد البدن وتوهنه، فضلاً عن كونها تحلق سعادته وتقصر اطمئنانه، ألا وهي الهم والحزن والأرق والسهر.

ولا أشد - عباد الله - من وقوع الهم في حياة العبد، إذ هو جند من جنود الله عزَّ وجلَّ سلطه على من يشاء من عباده ممن كان ضعيف الصلة بالله خوي الروح، موقعًا للمعاصي والذنوب: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (سورة الفتح:٧).

ولقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أشد جند الله؟، قال: **«الجبال، والجبال يقطعها الحديد، فالحديد أقوى، والنار تذيب الحديد، فالنار أقوى، والماء يطفئ النار، فالماء أقوى، والسحاب يحمل الماء، فالسحاب أقوى، والريح تعبث بالسحاب، فالريح أقوى، والإنسان**

**يتكفأ الريح بيده فالإنسان أقوى، والنوم يغلب الإنسان، فالنوم أقوى، والهم يغلب النوم، فأقوى جند الله هو الهم يسلطه الله على من يشاء من عباده».**

المفهوم إذًا ـ عباد الله ـ أن السعادة والطمأنينة عطاء من الله ورحمة، كما أن الهم والقلق والضيق غضب من الله ومحنة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن السعادة عبارة يتوهم معظم الناس في تفسيرها ولا يتفقون عليها، بجلبون بخيلهم ورجلهم على ما يتوهمونه، ثم يعودون بخفي حنين، وكأنهم خَرِف يكلم الأشباح، أو يطعن في الرياح، فصاروا كطالب اللؤلؤ في الفلاة، مجهود البدن كسير النفس خائب الرجاء. فظن الغني منهم أن سعادته كامنة في صحته وعمارة قصره، وتوهمها الفقير في الثروة والملبس الحسن، وأكد السياسي أنها في تحقق الأهداف والمهارة في جعل الجور عدلاً والقوة شرًا، وجزم العاشق أنها في الوصال واليتم بمعشوقه وعند فلان كذا وعند علان هي كذا . . . !

فالسعادة إذًا ـ رعاكم الله ـ ليست في وفرة المال ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا حسن السياسة، السعادة أمر لا يقاس بالكم ولا يشترى بالدنانير، لا يملك بشر أن يعطيها، كما أنه لا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها.

السعادة دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على تحمل المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر والشدائد بالجلد، والسعيد من آثر الباقي على الفاني: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (سورة مريم: ٩٦)، ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (سورة الحج: ٣٢).

السعادة الحقة قد تمثلت في مثل شخص الفاروق رضي الله عنه في حين أن البردة تكسوه مرقعة، والزيت أدم له، والكوخ مأواه، ومع ذلك يهتز كسرى على كرسيه فرقًا من خوفه، وملوك الروم تخشاه.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، ﷺ وعلى آله وصحبه وإخوانه. أما بعد:

فإن السعادة ـ أيها المسلمون ـ هي الرضا والقناعة بالمقسوم، والثقة بالله واستمداد المعونة منه، ومن ذاق طعم الإيمان ذاق طعم السعادة، قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»**[1].

ولذا فإن من أضاع نعمة الرضا، أصابه سعار الحرص والجشع، فهو يطمع ولا يقنع ويجمع ولا يدفع، يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب الهيم. ولقد كتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقول له: **«أما بعد، فإن الخير كله الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر»**.

إذًا ـ يا عبد الله ـ لا تخش غمًا ولا تشك همًا، ولا يصبك قلق مادام أمرك متعلقًا بقول الله جلَّ وعلا في الحديث القدسي: **«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»**[2].

بهذا الحديث وأمثاله بدت السعادة في وجوه السعداء، والتي يعبر عنها من أحس بنشوتها من أئمة الإسلام فيقول: (إننا نحس بسعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بحد سيوفهم). السعادة التي يمثلها من يغدو في خمائلها ويقول: (إنه لتمر عليَّ ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذًا في عيش طيب).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

عِبَادَ اللهِ . . . إذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية فإن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هو ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (سورة الرعد:٢٨-٢٩) .

عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا أن العلم الذي يبصر ويهدي ، والهمة التي تحفز وترقي، إنه هما في الحقيقة مفتاح مراتب السعادة والفلاح، وإنما تفوت هذه المراتب العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما، فإما ألا يكون له علم بها فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالمًا بها ولا تنهض همته إليها ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران:١٥٩). ألا فاعلموا ـ عباد الله ـ أن لفقدان السعادة أبوابًا ينبغي إحكام إغلاقها وكشف عوراتها، فمن ذلك الغناء مزمار الشيطان، ورقية الزنا، الذي ينبت النفاق والقلق كما ينبت الماء الكلأ، يقول الله فيه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (سورة لقمان:٦) . ولقد أقسم ابن مسعود رضي الله عنه ثلاثًا على أنه الغناء.

كما أن من مهلكات السعادة جعل البيت المسلم محلاً لمردة الجن وبعد الملائكة، وذلك بنشر الصور التي حرمها الشارع على جدرانه وفي فنائه، ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب او صورة**، فما بال الكثيرين يغلقون أبوابهم في وجوه الملائكة ويستدعون أسباب الشقاء والقلق ثم هم ينشدون السعادة بعد ذلك.

ومن أبواب الشقاء: الذنوب والمعاصي التي قال عنها المصطفى ﷺ : «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1]، وقد قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في مسنده: «وجد في خزائن بني أمية حنطة، الحبة بقدر نواة التمر وهي في صرة مكتوب عليها: هذا كان ينبت في زمان العدل».

(١) رواه أحمد.

ولذا ـ عباد الله ـ فإن سعادة القلب المثمرة بركة الرزق منوطة بالطاعة والتقوى، ولقد جاء عند مسلم في «صحيحه» في وصف المهدي المنتظر الحديث وفيه: **«ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله، وتخرج الأرض بركتها وتعود كما كانت، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها** ـ أي قشرها ـ **ويكون العنقود من العنب حمل بعير»**.

ومن أسباب القلق ـ أيها المسلمون ـ التهاون بشأن الصلاة أو التقليل منها ورسول الله ﷺ يقول: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[(١)]، وكان إذا حزبه أمر واشتد عليه لجأ إلى الصلاة[(٢)].

ثم إن ترك الذكر والدعاء والاستغفار محل للشقاء والهم والحزن، ولذا كان لزامًا على من ينشد السعادة ألا يغفل هذا الأمر المهم، بل عليه أن يمسك بزمامه، ويعض عليه بالنواخذ، ويستحضر قول النبي ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»**[(٣)]، ولقد دخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة فقال: **«يا ابا امامة، ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟»، قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: «افلا اعلمك كلامًا إذا قلته اذهب الله همك وقضى عنك دينك»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال أبو امامة: ففعلت ذلك، فأذهب الله همي وقضى عني ديني»**[(٤)].

---

(١) رواه أحمد، والنسائي.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي.

(٤) رواه أبو داود.

# السعادة المنشودة (٢)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**أيها الأحبة في الله** . . . الحديث عن السعادة المنشودة وعن الحياة الطيبة هو الحديث الذي ينبغي أن يعيشه كل واحد منا، فالحياة إما للإنسان وإما عليه، تمر ساعاتها ولحظاتها وأيامها وأعوامها، تمر على الإنسان فتقوده إلى المحبة والرضوان حتى يكون من أهل الفوز والجنان، أو تمر عليه فتقوده إلى النيران وإلى غضب الواحد الديان، الحياة إما أن تضحكك ساعة لتبكيك دهرًا، وإما أن تبكيك ساعةً لتضحكك دهرًا.

الحياة إما نعمة للإنسان أو نقمة عليه.

هذه الحياة التي عاشها الأولون وعاشها الآباء والأجداد، وعاشها السابقون فصاروا إلى الله عزَّ وجلَّ بما كانوا يفعلون.

الحياة معناها كل لحظة تعيشها وكل ساعة تقضيها. ونحن في هذه اللحظة نعيش حياة إما لنا وإما علينا. فالرجل الموفق السعيد من نظر في هذه الحياة وعرف حقها وقدرها فهي والله حياة طالما أبكت أناسًا فما جفت دموعهم، وطالما أضحكت أناسًا فما ردت عليهم ضحكاتهم ولا سرورهم.

الحياة ـ أيها الأحبة في الله ـ جعلها الله ابتلاء واختبارًا وامتحانًا تظهر فيه حقائق العباد ففائز برحمة الله سعيد، ومحروم من رضوان الله شقي طريد. كل ساعة تعيشها إما أن يكون الله عزو جل راضٍ عنك في هذه الساعة التي عشتها وإما والعكس والعياذ بالله، فإما أن تقربك من الله وإما أن تبعدك من الله، فهذه الحياة فيها داعيان:

**الداعي الأول:** داع إلى رحمة الله ورضوانه.

**والداعي الثاني:** فهو داع إلى ضد ذلك، شهوة أمارة بالسوء أو نزوة داعية إلى خاتمة السوء.

والإنسان قد يعيش لحظة من حياته يبكي فيها بكاء الندم على التفريط في جنب ربه، يبدل الله بذلك البكاء سيئاته حسنات، وكم من أناس أذنبوا وأساءوا وابتعدوا وطالما اقتربوا عن ربهم جاءتهم تلك الساعة واللحظة التي نعنيها بالحياة الطيبة لكي تراق منهم دمعة الندم، ولكي يلتهب في القلب داعي الألم فيحس الإنسان أنه قد طالت عن الله غربته، لكن يقول: إني تائب إلى الله منيب إلى رحمته ورضوانه.

روى الترمذي من حديث أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو اتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»، أي رحمة وأي حنان من الله يتقلب فيه الإنسان؟!.

أحبتي في الله... كل واحدٍ منا نريده أن يسأل سؤالاً أن يسأل نفسه عن الليل والنهار، كم يسهر من الليل وكم يقضي من الساعات، كم ضحك في هذه الحياة، وهل

هذه الضحكات ترضي الله عزَّ وجلَّ عنه، وكم تمتع في هذه الحياة، وهل هذه المتعة ترضي الله عزَّ وجلَّ، وكم سهر وهل هذا السهر يرضي الله عنه، وكم وكم وكم..؟! سؤالاً يسأل فيه نفسه، وقد يبادر الإنسان لماذا أسأل هذا السؤال؛ نعم تسأل هذا السؤال لأنه ما من طرفة عين ولا لحظة تعيشها إلا وأنت تتقلب في نعمة الله فمن الحياء والخجل مع الله أن يستشعر الإنسان عظيم نعمة الله عليه فما الذي نقدمه في جنبه.

عِبَادَ اللهِ ... من ثمرات الحياة الطيبة أنك إذا أقبلت على الله هناك خصلة عجيبة وخصلة كريمة وهي أنك ما ترفع يديك وتقول: يا رب، إلا أجاب الله دعوتك، ولا قلت: أسألك، إلا أجاب الله سؤالك، ولذلك ورد في الحديث أن العبد إذا كان صالحًا وأفعاله وأقواله طيبة أصبح معروفًا في السماء لأن العمل الصالح يصعد إلى الله عزَّ وجلَّ.

فإذا صعدت منك الكلمات الطيبة تقول: لا إله إلا الله: أستغفر الله: تذكر الله وتحسن إلى الناس فبكثرة الأعمال الصالحة تحبك الملائكة، فإذا جاءك كرب من الكروب، جاءتك مشكلة، جاءك شيء تخافه فقلت: يا رب، قالت الملائكة: صوت معروف من عبد معروف، فما الذي ينقصك وفي أي مقام أصبحت فهذه هي الحياة الطيبة؟!

عِبَادَ اللهِ ... ليسأل الإنسان نفسه عن رحمة الله به، إذا أصبح الإنسان وسمعه معه وبصره معه وقوته معه فمن الذي حفظ له سمعه، ومن الذي حفظ له بصره، ومن الذي حفظ له عقله، ومن الذي حفظ له روحه، يسأل الإنسان نفسه من الذي يمتع بالصحة والعافية؟! الناس المرضى على الأسرة البيضاء يتأوهون ويتألمون والله يتحبب إلينا بهذه النعم لكي نعيش هذه الحياة الطيبة فالله عزَّ وجلَّ يريد من عبده أمرين:

الأمر الأول ـ فعل فرائضه

والأمر الثاني ـ ترك نواهيه وزواجره.

فاعلموا ـ يا عباد الله ـ أنه لا أفضل ولا أطيب من متعة العبودية لله جل وعلا، وذلك بفعل فرائضه وترك محارمه. ولذلك تجد الإنسان البعيد عن الله في قلق دائم وفي ضيق وتعب مهما أوتي من متع الحياة وزخارفها، وإن بحث عن السعادة في كل شيء فإنه لا ولن يجدها إلا فيما يقربه إلى الله، فالصلاة الواحدة يصليها الواحد بخشوعها فبمجرد ما ينتهي منها يحس براحة نفسية لو بذل لها أموال الدنيا ما وجدها في غير طاعة الله والقرب منه، والناس عند الموت يخافون إلا صاحب الحياة الطيبة إذا جاء الموت يحس بأنه في شوق للقاء الله عزَّ وجلَّ تجده في حالة انشراح وطمأنينة وراحة بال فبعضهم تفيض روحه وهم يبتسم ممن يقال فيهم: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٤٩).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله أحل لعباده الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وجعلها من المنهيات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى وآله وصحبه . . أما بعد:

عباد الله . . . اتقوا الله واعلموا أنه إذا ما طابت الحياة بالقرب من الله عزَّ وجلَّ فلا ولن تطيب بشيء سواه. وهناك ثلاثة عوائق تمنعك من القرب من الله:

**أولها ـ الشهوة التي تحول بينك وبين القرب من الله:** فهي لذة ساعة وألم دهر، الشهوة شهوة اللعب واللهو الذي وصف الله عزَّ وجلَّ هذه الحياة الدنيا بأنها لهو ولعب، ولكن كم من أجساد لهت ولعبت ترى الآن الضنك في ضيق القبور، وكم من أناس الآن تضيق عليهم اللحود يتمنون لحظة واحدة من ذكر الله وطاعة الله!! فما تعرف ـ يا عبد الله ـ قيمة هذه الحياة ولا تعرف قيمة هذه الشهوة التي دعتك إلى معصية الله إلا إذا فارقت هذه الحياة ولن تجد ندمًا أصدق من ندم الإنسان إذا ودع هذه الحياة.

قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة الزمر: ٥٦-٥٨).

**اما الأمر الثاني من العوائق:** فهو سوء الظن بالله قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ (سورة الانشقاق: ١٠-١٥).

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ أي بشماله من وراء ظهره، ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾، من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها، ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾، أي: تحيط به السعير من كل جانب ويقلب على عذابها، وذلك ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ لا يخطر البعث على باله ـ وقد أساء ـ ولا ظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه، ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾، فلا يحسن أن يتركه سدى لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب.

**اما الأمر الثالث من العوائق: الشيطان:** يعيق الإنسان عن طاعة الله، ومحبة الله، وهذا الشيطان على نوعين: شياطين الإنس، وشياطين الجن، وشياطين الإنس والجن قد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة به من شرورهم فقال في سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الناس).

ففي هذه السورة بيان أن الشيطان هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أن يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر ويريهم إياه في صورة حسنة وينشط إرادتهم لفعله، ويثبطهم عن الخير، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال، يوسوس ثم يخنس، أي يتأخر عن الوسوسة إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه؛ فينبغي له أن يستعين ويستعيذ

ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم، وأن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها؛ وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم الذي يريد أن يقتطعهم عنها، ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير؛ والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. ومن تلبيسات الشيطان ـ عليه من الله ما يستحق ـ على الإنسان مطالبته بالكفر وبعد الكفر يتبرأ منه كما قال تعالى في سورة الحشر: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الحشر:١٦-١٧).

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ أي: زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه بل تبرأ منه. ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك ولست بمغن عنك مثقال ذرة. ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ أي: الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ﴾، أجارنا الله وإياكم من النار ومن عذابها إنه جواد كريم.

عِبَادَ اللهِ . . . قال تعالى في نهاية هذه الآيات: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الذين اشتركوا في الظلم والكفر، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته. وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه فإنه يدعوهم ويدليهم بغرور إلى ما يضرهم، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاق بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم، وتخلى عنهم، واللوم كل اللوم على من أطاعه فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالمقدم على طاعته عاصٍ على بصيرة لا عذر له.

عِبَادَ اللهِ . . . الحديث عن الحياة الطيبة يطول، وهنا يقول ابن القيم في شأنها: قد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (سورة النحل:٩٧).

وهي حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، وهذه الحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث، والمعيشة الضنك أيضًا تكون في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، فالأبرار في النعيم هنا وهناك والفجار في الجحيم هنا وهناك، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة النحل: ٣٠).

---

# السرقة

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن ظاهرة سوء عمت في البلاد والعباد إلا ما شاء الله ألا وهي السرقة، نسأل الله لنا ولكم العافية.

السرقة لُغة: أخذ الشيء الذي ليس للسارق أخذه في خفاء، والسارق عند العرب: من جاء مستترًا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، واصطلاحًا: تناول المرء الشيء (الذي ليس له خفية)، من موضع مخصوص وقدرٍ مخصوصٍ.

ومن الآيات التي وردت في كلام الله جل وعلا بشأن السرقة قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة المائدة: ٣٨-٣٩).

يقول ابن سعدي في (تيسير الكريم الرحمن): السارق: هو آخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه. وهو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة، وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة. وحد اليد عند الإطلاق: من الكوع. فإذا سرق قطعت يده من الكوع، وحسمت في زيت، لتنسد العروق فيقف الدم. ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية، من عدة أوجه: منها: الحرز، فإنه لابد أن تكون السرقة من حرزٍ، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة: فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه. ومنها أنه لابد أن يكون المسروق نصاباً، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دارهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه.

والحكمة في قطع اليد في السرقة أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط لها، وليقطع العضو الذي صدرت منه الجناية. فإن عاد السارق قطعت رجله اليسرى، فإن عاد فقيل: تقطع يده اليسرى، ثم رجله اليمنى، وقيل: يحبس حتى يموت. وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ أي: ذلك القطع، جزاء للسارق بما سرقه من أموال الناس. ﴿نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: تنكيلاً وترهيبًا للسارق ولغيره ليرتدع السُّراق ـ إذا علموا ـ أنهم سيقطعون إذا سرقوا. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزَّ وحكم فقطع السارق.

وأما ما ورد من الأحاديث في ذم السرقة فمنها ما ورد من حديث جابر الطويل كما في مسلم قال رسول الله ﷺ : **«يايها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا يكسفان لموت أحدٍ من الناس، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا حتى تنجلي. ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه. لقد جئ بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به»**[1] . . . الخ الحديث، وهذا هو الشاهد من الحديث.

(١) رواه مسلم (٩٠٤).

وعن صفوان بن أمية رضي الله عنه أنه قال: «إن رجلاً سرق بردة له، فرفعه إلى النبي ﷺ فأمر بقطعه، فقال: يا رسول الله قد تجاوزت عنه، فقال: «أبا وهبٍ أفلا كان قبل أن تأتينا!، فقطعه رسول الله ﷺ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية. قال: اللهم لك الحمد، على زانية، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني، قال: اللهم لك الحمد، على غني، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية وعلى غني وعلى سارق. فأتي فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، وأما الزانية فلعلَّها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعلَّ السارق يستعف بها عن سرقته»[2].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وخاتم النبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله . . . اعلموا أن أمر السرقة أمر عظيم وحتى في أدق الأمور وأبسطها فلا يستهان بالقليل المسروق فقد ثبت في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»[3].

---

(١) رواه النسائي (٨/٦٨)، وقال الألباني: صحيح (٣/١٠٧) رقم (٤٥٣٢).

(٢) رواه البخاري، «الفتح٣» (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

كما أن الإيمان ـ يا عباد الله ـ ينزع حال أن يسرق السارق، والشاهد في ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهْبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**»[1].

ومن الآثار وأقوال العلماء الواردة في ذم السرقة ما ورد في مسائل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ حيث قال: «إذا اشترى الرجل من رجل شيئًا وهو يعلم أنه سرقة فقد شاركه»[2].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «كان قطع يد السارق معمولاً به في الجاهلية فقرر في الإسلام وزيدت شروط أخر؛ وقيل: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية قريش، فقطعوا رجلاً كان سرق كنز الكعبة»[3].

وقال المعري معترضًا على قطع يد السارق لفساد في فهمه وتصوره، وتطاولة على أحكام الله عزَّ وجلَّ:

**يَدٌ بَخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ☆ مَا بَالهَا قُطِعتْ في ربع دينارِ**

فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي: لما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت.

وهناك بيت شعر منسوب إلى علم الدين السخاوي في الرد على أبي العلاء وهو:

**عز الأمانة أغلاها وأرخصها ☆ ذل الخيانة، فافهم حكمة الباري**[4]

**وأما حكم السرقة:** فهي من الكبائر التي يجب فيها الحد. وقد عدها الذهبي: «الكبيرة الثالثة والعشرين، ونقل عن ابن شهاب قوله: نكَّل الله بالقطع في سرقة أموال الناس، والله عزيز في انتقامه من السارق حكيم فيما أوجبه من قطع يده، ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلسًا تحلل من صاحب المال»[5].

---

(١) رواه البخاري «الفتح١٢» (٦٧٧٢)، واللفظ له. ومسلم (٥٧).
(٢) «مسائل الإمام أحمد»، رواه البغوي(٦٨١).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٦٥٥).
(٤) أنظر: «التحرير والتنوير»(٦/ ١٩٣).
(٥) «الكبائر» (٩٨).

وقال ابن حجر: عَدُّ السرقة من الكبائر هو ما اتفق عليه العلماء، وهو ما صرحت به الأحاديث، والظاهر أنه لا فرق في كونها كبيرة بين الموجبة للقطع وعدم الموجبة له لشبهة لا تقتضي حل الأخذ، كأن سرق حصر مسجد، أو سرق مالاً غير محرز، وقال الحليمي: وسرقة الشيء التافه صغيرة، فإن كان المسروق منه مسكينًا لا غنى به عما أخذ منه صارت كبيرة وإن لم توجب الحد.. قال: وأخذ أموال الناس بغير حق كبيرة، فإن كان المأخوذ ماله فقيرًا أو أصلاً للأخذ أو أخذ قهرًا، أو كرهًا، أو على سبيل القمار فهو فاحشة، فإن كان المأخوذ شيئًا تافهًا والمأخوذ منه غنيًا لا يتبين عليه من ذلك ضرر فذلك صغيرة[1].

**وللسرقة مضار كثيرة، منها:** أنها تنافي كمال الإيمان كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كما أنها إحدى الكبائر العظام وهي الكبيرة الثالثة والعشرون، كما في كتاب (الكبائر) للذهبي.

**ومن مضارها:** أنها دليل على دناءة نفس صاحبها وحقارة شأنه. ومن مضارها النكال عليها بقطع يد السارق لضمان حفظ أموال الناس، كما أنها توجب النار في الآخرة والعار في الدنيا، كما في حديث صاحب المحجن الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار، وأما العار في الدنيا فاشتهار أمره بين الناس والتحذير منه، كما أن الناس لا يأمنون السارق على شيء ولو كان تافهًا.

ومن أكبر مضار السرقة أن السارق يحرم من إجابة الدعاء، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر: **«الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب له!»**.

---

(١) «الزواجر» (٥٦٤).

# سوء الظن

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن سوء الظن ـ أجارنا الله وإياكم من ذلك ـ.

**وسوء الظن:** هو اعتقاد جانب الشر وترجيحه على جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معًا.

وأما الأدلة على سوء الظن فكثيرة في الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١١٦).

وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة يونس: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

**وأما الأحاديث في سوء الظن فإن كتب السنة زاخرة بذلك:**

ومنها ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»**[(١)].

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء، أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبنا عند اللقاء! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ! فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، قال زيد: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فنظرت إليه متعلقًا، بحقب ناقة

(١) رواه البخاري، «الفتح ١٠» (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣)، واللفظ له.

رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، يقول: «إنما كنا نخوض ونلعب»!، فيقول له النبي ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (سورة التوبة: ٦٥)[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياءً! فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٧٩)[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة. قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته. فقال: **«فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى: فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»**[3].

ومن الآثار الدالة على ذم سوء الظن ما ورد عن سعيد بن المسيب قال: «كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: **«أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، وما كافيت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه»**[4].

---

(١) الحقب: هو حبل يشد به الحمل في بطن البعير، «تفسير الطبري» (٦/ ٤٠٩).
(٢) رواه البخاري، «الفتح٨» (٤٦٦٨)، واللفظ له، ومسلم (١٠١٨).
(٣) رواه البخاري، «الفتح٦» (٣١٥٠)، واللفظ له، ومسلم (١٠٦٢).
(٤) «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ١٥٠).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعقبة للمتقين، والذلة والصغار للعاصين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة، وقد ذهب إلى ذلك الإمام ابن حجر. وذكر أنه (الكبيرة الحادية والثلاثون)، وقال: وهذه الكبائر مما يجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها لأن من كان في قلبه مرض منها لم يلق الله ـ والعياذ بالله ـ بقلب سليم، وهذه الكبائر يذم العبد عليها أعظم مما يذم على الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن، وذلك لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه، إذ أن آثار هذه الكبائر تدوم بحيث تصير حالاً وهيئة راسخة في القلب، بخلاف آثار معاصي الجوارح فإنها سريعة الزوال، تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ونقل عن ابن النجار قوله: «من أساء بأخيه فقد أساء بربه».

إن الله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).[١]

وقد قسم سوء الظن إلى قسمين كلاهما من الكبائر وهما:

**القسم الأول ـ سوء الظن بالله:** قال: وهو أبلغ في الذنب من اليأس والقنوط (وكلاهما كبيرة)، وذلك لأنه يأس وقنوط وزيادة، لتجويزه على الله تعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده»[٢].

---

(١) «الزواجر» (١٠٦).

(٢) «الزواجر» (١١٤).

**والقسم الثاني ـ سوء الظن بالمسلمين:** هو أيضًا من الكبائر وذلك أن من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذه مهلكات.! وكل من رأيته سيء الظن بالناس طالبًا لإظهار معايبهم فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه[1].

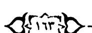
قال ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ: «فليس لك أن تظن بالمسلم شرًا، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل، فإن أخبرك بذلك عدل فمال قلبك إلى تصديقه كنت معذورًا، لأنك لو كذبته كنت قد أسأت الظن بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحدٍ وتسيئن بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذ بسبب ذلك. ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه في السر. واعلم أن من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهي عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم»[2].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: أكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم فقلَّ من يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وهو موجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله تعالى

---

(١) «الزواجر» (١٠٩).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» (١٧٢).




ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر، وملامة له، يقول: إنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

**فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ☆ وإلا فإني لا أخالك ناجيًا**[1]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ** ﴾ (سورة الفتح:٦): فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر إنَّ ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، وأنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة[2]، ﴿ **ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** ﴾ (سورة ص:٢٧).

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (٦٧٥ - ٦٧٦).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (٦٧٥).

# الشكر

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**أما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الشكر نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا واياكم من الشاكرين إنه جواد كريم. أما بعد:

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة النحل: ١٨).

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ عددًا مجردًا عن الشكر ﴿ لا تُحْصُوهَا ﴾ فضلاً عن كونكم تشكرونها؛ فإن نعمة الله الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم، مما يعرف العباد ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تُحصى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يرضى لكم باليسير من الشكر، مع إنعامه الكثير، وكما أن رحمته واسعة وجوده عميم، ومغفرته شاملة للعباد، فعلمه محيط بهم، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢).

في هذه الآية أمر الله المؤمنين بأكل الطيبات من الرزق والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوِّي بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١). فالشكر في هذه الآية هو العمل الصالح. وهنا لم يقل «حلالاً»، لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق، خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له، وقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون ﴾ أي: فاشكروه. فدل على أن من لم يشكر الله لم يعبده وحده، كما أن من شكره فقد عبده وأتى بما أمر به، ويدل أيضًا على أن أكل الطيب سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر عقيب النعم لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة، كما أن الكفر ينفر النعم المفقودة، ويزيل النعم الموجودة.

وقد عبر بعض الشعراء عن هذا المعنى بقوله:

إذا كنت في نعمة فارعها ☆ فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله ☆ فإن الإله شديد النقم

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧).

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: أعلم ووعد، ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ من نعمي، ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ومن ذلك أنه يزيل عنهم النعمة، التي أنعم بها عليهم.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٨).

يقول تعالى مبينًا حال المكذبين لرسوله، من كفار قريش، وما آل إليه أمرهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ ونعمة الله هي إرسال محمد ﷺ إليهم يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة، وإلى النجاة من شرور الدنيا والآخرة. فبدلوا هذه النعمة بردِّها والكفر بها، والصد عنها بأنفسهم﴿ و ﴾ صدهم غيرهم حتى ﴿ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ وهي: النار، حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالاً على قومهم من حيث يظن نفعهم.

**وحقيقة الشكر:** هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرفها في مرضات الله تعالى، وكفر النعم ضد ذلك. وشكر العبد لربه يدور على ثلاثة أركان: لا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها: أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه في قرارة قلبه بأن يتعرف بأن هذه النعم واصلة إليه من الله سبحانه تفضلاً منه وإحسانًا، لا بحوله ولا بقوته.

**الثاني: من أركان الشكر:** هو التحدث بهذه النعم ظاهرًا، فيثني على الله ويحمده ويشكره فلا ينسب النعم إلى غير الله، كما قال قارون لما نصحه قومه وقالوا له: ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص:٧٦-٧٧). فكان جوابه إنكار فضل الله عليه وأن هذه الكنوز وهذه الأموال التي بيده إنما حصلت له بسبب علمه وخبرته أو استحقاقه لها: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (سورة القصص:٧٨). فماذا كانت النتيجة. كانت أسوأ النتائج حيث خسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

**والركن الثالث من أركان الشكر:** هو شكر النعمة وهو الاستعانة بها على مرضات الله فيستعملها في طاعة الله، أما إذا استعمل نعمة الله في معصيته فقد كفر نعمة الله عليه ـ فالذي يستعمل قوى جسمه وصحته وينفق أمواله في معصية الله فقد كفر نعمة الله عليه واستحق عقوبته.

وأما قواعد الشكر فهي خمسة كما ذكرها ابن القيم في مدارج السالكين[1] وملخصها:

١ ـ خضوعك للمنعم.	٢ ـ حبك له.

٣ ـ اعترافك بأن النعمة منه وحده؛ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (سورة النحل:٥٣).

٤ ـ ثناؤك عليه بها؛ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (سورة الضحى:١١).

٥ ـ أن تستعمل النعمة وتسخرها في طاعته، وألا تعصيه بها، قال بعض السلف: «الشكر ترك المعاصي»، وقال غيره: «الشكر هو ألا تستعين بشيء من نعم الله على معاصيه».

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٥٨).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين: أما بعد:

**والشكر شكران: شكر واجب من لم يقم به يأثم:** وهو القيام بالواجبات القولية والفعلية والمالية والقلبية، وترك المحرمات: القولية والفعلية والمالية والقلبية.

والثاني من أنواع الشكر: **شكر مستحب:** وهو مطلوب أيضًا، وهو فعل النوافل والمستحبات، وترك المكروهات.

**عباد الله** . . . لقد قص الله علينا في القرآن الكريم ما حل بالأمم التي كفرت بأنعم الله من قصم الأعمار وخراب الديار ما تقشعر منه الجلود، من ذلك ما قصه عن بني إسرائيل في مواضع من كتابه الكريم: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (سورة البقرة: ١٢٢).

ومن ذلك ما قصه عن قبيلة سبأ التي أنعم عليها بالجنتين. وقال لهم: ﴿ **كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** ﴾ (سورة سبأ: ١٥). فأعرضوا عن الشكر وكذبوا الأنبياء فأرسل الله عليهم سيل العرم وهو الوادي الممتلئ بالماء الغزير الذي أغرق ديارهم وأهلك حروثهم وأشجارهم، فَبُدِّلوا بالغنى فقرًا وبالنعمة نقمة وبالاجتماع تفرقًا وتشتتًا في البلاد، قال تعالى: ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ (سورة سبأ: ١٩). حتى صار يُضرب بهم المثل بتفرقهم وتشتتهم، فيقال للقوم إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبأ أي كما تفرقت سبأ. ومما ضرب الله لنا مثل القرية، قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ (سورة النحل: ١١٢). أي جعل الله هذه القرية مثلاً لمن أنعم عليه فكفر بالنعمة، فأنزل الله عليه النقمة، حيث وفر الله لأهل هذه القرية الأمان والاطمئنان والرزق الرغد الذي يجلب إليها من جميع النواحي - فلما لم يشكروا هذه النعم تحولت إلى أضدادها، فبدلوا بالرزق الرغد جوعًا وبالأمن والاطمئنان خوفًا وقلقًا.

وأما الأحاديث الدالة على الشكر فكثيرة نكتفي بذكر شيء منها؛ فقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «إني لأحبك يا معاذ»، فقلت: وأنا أحبك يا رسول الله، فقال ﷺ: «فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة: رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[(١)].

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه: «أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: «اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك»[(٢)]، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها».

ولقد أوصى ﷺ بشكر هذه النعم واستغلالها في الطاعة والخير حيث قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[(٣)].

ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، قام على قدميه في الصلاة حتى تفطرتا من طول القيام، فقالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله لم تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!، فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً»، «وكان ﷺ إذا جاءه أمر يَسُرُّهُ خرَّ ساجداً شكراً لله»[(٤)].

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن أنبياء الله هم القدوة الأخيار فاقتدوا بهم واشكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وأعمالكم ـ فإنه لا يكفي أن تتلفظ بالحمد والشكر بلسانك وقلبك غافل معرض أو جاحد مستكبر، وأفعالك بخلاف ما يرضي الله؛ فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح ـ فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة الشكور ـ وكفها عن معاصيه.

---

(١) «صحيح سنن النسائي» (١٢٣٦).

(٢) «صحيح الجامع» (٨١).

(٣) رواه أحمد والحاكم والبيهقي، انظر «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٤) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني، «صحيح ابن ماجه» (١١٤٣).

واعلم - يا عبد الله - أن الشكر نصف الإيمان، فالإيمان صبر وشكر - والعبد يتقلب بينهما، كما في صحيح مسلم قال ﷺ : **«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**[1] .

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني محمود الوراق:

| | |
|---|---|
| **إذا كان شكري نعمة الله نعمة** | **عليَّ له في مثلها يجب الشكر** |
| **فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله** | **وإن طالت الأيام واتصل العمر** |
| **إذا مس بالسراء عم سرورها** | **وإن مس بالضراء أعقبها الأجر** |
| **وما منهما إلا له فيه منة** | **تضيق لها الأوهام والبر والبحر** |

عِبَادَ الله . . . رب قائل ها نحن نرى العصاة الفسقة - يتمادون في الذنوب والمعاصي والدنيا تنهال عليهم من كل جانب. . والخيرات تصب عليهم صبًا.

وجواب ذلك عن سيد الشاكرين وإمام الصابرين محمد بن عبد الله ﷺ إذ يقول: **«إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب. وهو مقيم على معاصيه. فإنما ذلك منه استدراج»**[2] .

عِبَادَ الله . . . اعلموا - رحمكم الله - أن لزوال النعم أسباب عدة فلتحذرها، منها المعاصي والذنوب ومقابلة النعمة بما يغضب الله جلَّ وعلا، وتزول النعم إذا نسبناها لغير الله المنعم المتفضل بها وحده، وتزول النعم كذلك إذا حصل من العبد غرور أو كبر وتعالٍ على الخلق بما يملك من مال أو عقار أو علم أو جاه. . .ونحوه وتزول النعم إذا لم نؤد حق الله فيها.

---

(١) «مختصر صحيح مسلم» (٢٠٩٢).

(٢) «صحيح الجامع» (٥٦١)، ورواه أحمد، والبيهقي.

# شرب الخمر

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن شرب الخمر، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٩).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٩٠-٩١).

وأما الأحاديث في ذم شرب الخمر فكثيرة ومنها: عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما نزل تحريم الخمر، قال عمر: «اللهم بَيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً»، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٩). قال: فدُعي عمر فقرئت عليه، قال: «اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً»، فنزلت الآية التي في النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ (سورة النساء: ٤٣).

فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: «اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً»، فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٩١). قال عمر: «انتهينا»[1].

وعن وائل الحضرمي: أن طارق بن سويد الجعفي ـ رضي الله عنه ـ سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر، فنهاه أو كره أن يصنعها. فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء لكنه داء»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر اربعين»[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: إن رجلاً قدم من جيشان ـ وجيشان من اليمن ـ فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المِزْر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أومسكر هو؟»، قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله عزَّ وجلَّ عهداً، لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال»، قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟، قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٧٠)، واللفظ له، وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (٢/ ٦٩٩)، صحيح.
(٢) رواه مسلم (١٩٨٤).
(٣) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٧٧٣)، واللفظ له، ومسلم (١٧٠٦).
(٤) رواه مسلم (٢٠٠٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا يحدثكم به غيري، قال: **«من أشراط الساعة أن يظهر الجهل، ويقل العلم، ويظهر الزنا، وتشرب الخمر، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيمهن رجل واحد»**[(١)].

وعن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم ـ يعني الفقير ـ لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»**[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»**، قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: **«نهر من صديد أهل النار»**[(٣)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»**[(٤)].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والفوز والنجاح لأهل الاستقامة في عليين، والخسران والذل والمهانة لأهل العصيان المخالفين. وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .. أما بعد:

---

(١) رواه البخاري، «الفتح ١٠» (٥٥٧٧)، واللفظ له، ومسلم(٢٦٧١).

(٢) رواه البخاري، «الفتح ١٠» (٥٥٩٠).

(٣) رواه الترمذي (١٨٦٢)، واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن، وقال محقق «جامع الأصول»: هو حديث حسن له شواهد (٥/١٠١).

(٤) رواه البخاري، «الفتح ١٠» (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

عِبَادَ اللهِ . . . قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم». يعني في السُّكر[١] .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «نزل تحريم الخمر وإن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها شراب العنب»[٢] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[٣] .

وقال عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: «من مات مدمنًا للخمر مات كعابد اللات والعزى»، قيل: أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها؟، قال: «لا، ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين»[٤] .

وقال ابن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ لقومه حين نُهُوا عن الخمر:

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة ❊ فلا تقربوا منها فلست بفاعلِ
فإني رأيت الخمرَ شيئًا ولم يزل ❊ أخو الخمر دخالاً لشر المنازل[٥]

وقال عروة بن الزبير، لما أرادوا قطع رجله، لما دخلتها الآكلة وقالوا له: لابد أن تشرب شيئًا يغيب عقلك حتى لا تحس بالألم ونتمكن من قطعها، فقال: «ما ظننت ان احداً يؤمن بالله ويشرب شيئًا يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عزَّ وجلَّ»[٦] .

---

(١) «فتح الباري ١٠» (٨١).
(٢) رواه البخاري، «الفتح ٨» (٤٦١٦).
(٣) «الفتح» (١٢/ ٦١).
(٤) «الكبائر» للذهبي (٨٢).
(٥) «المستطرف» للأشبيهي (٤٧٠).
(٦) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٧).

رفع إلى عمر بن عبد العزيز قوم يشربون الخمر، فأمر بضربهم، فقيل له: إن فيهم صائمًا. فقال: ابدؤوا به، ثم قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (سورة النساء: ١٤٠)[(١)].

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «إذا كان الرجل كفء المرأة في المال والحسب إلا أنه يشرب الخمر المسكر لا تزوج منه، ليس بكفء لها»[(٢)].

و ال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لا تعودوا شُرَّاب الخمر إذا مرضوا»[(٣)].

وقال أيضًا: «لا تُسلِّموا على شَرَبة الخمر»[(٤)].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تَعبَّد فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذه الخمر كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا، فسقته كأسًا، قال: زيديني، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس. اجتنبوا الخمر؛ فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه»[(٥)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لما حُرِّمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض وقالوا: حُرِّمت الخمر، وجُعلت عِدلاً للشرك»[(٦)].

---

(١) «فتاوى الخمر والمخدرات» لابن تيمية (٦٦).

(٢) «الدلائل الواضحات على تحريم المسكرات» (١٤٣)، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري.

(٣) «الكبائر» للذهبي (٨١٤).

(٤) رواه البخاري «الفتح» (١١/ ٤٢).

(٥) رواه النسائي (٨/ ٣١٥)، قال محقق «جامع الأصول»: إسناده صحيح(٥/ ١٠٣).

(٦) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٣/ ٢٦٠).




وأما أقوال الفقهاء في حكم شرب الخمر: فقد عَدَّ الذهبي وابن حجر شرب الخمر من الكبائر. وألحق الذهبي بذلك شرب الحشيشة، وهي ما صنع من ورق القِنَّب، وذلك من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصد عن الصلاة وعن ذكر الله[1].

وجعل ابن حجر الهيثمي شرب الخمر مطلقًا والمسكر من غيرها ولو قطرة، وكذلك عصر المسكر، وحمله، وطلب حمله، وطلب سقيه وبيعه وشراؤه وطلب أحدهما، وأكل ثمنه، كل ذلك من الكبائر، وذكر عددًا كبيرًا من الآيات والأحاديث والآثار الدالة على ذلك، ثم حكى الإجماع على شرب الخمر ولو قطرة وكذلك المسكر من غيرها[2].

---

(١) «الكبائر» للذهبي (٨٠-٨٦).

(٢) «الزواجر» (٥٦٨-٥٨٠).

# الصـــلاة

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصـدق الحديث كتـاب الله، وخير الهـدي محمـد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الصلاة وأهميتـها وأدائها في جماعة في بيوت الله.

أيها المسلمون . . . اعلموا أن للصلاة في الإسلام منزلة عـالية لا تعدلها منزلة أية عبادة أخرى فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، يقول الرسول ﷺ: «راس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[1].

---

(١) «صحيح الجامع» (٢/ ٩١٣) رقم (٥١٣٦).

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عزَّ وجلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل منها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر أعماله على هذا»**[(١)].

فالصلاة إذًا هي أساس فلاح العبد ونجاحه، فبصلاحها يفلح وبفسادها يقع في الخسران والعياذ بالله، ولأهمية الصلاة أمر الله عزَّ وجلَّ بالمحافظة عليها في السفر والحضر والسلم والحرب، وفي حال الصحة والمرض، حسب الاستطاعة، ولم يرخص بتركها في حال من الأحوال.

وقد جعل الله التهاون بالصلاة والتكاسل عنها من صفات المنافقين، قال تعالى: **﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾** (سورة النساء: ١٤٢).

وقال تعالى: **﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾** (سورة التوبة: ٥٤).

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: **«ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء»**[(٢)].

والصلاة في الحقيقة هي منحة منحها الله - تبارك وتعالى - خليله ﷺ ليلة المعراج، فكانت بذلك من أول ما أوجبه الله من العبادات، تولى إيجابها بنفسه، وهي أيضًا منحة لهذه الأمة لتكون صلتها بالله قوية ومستمرة.

---

(١) «صحيح الجامع» (١/ ٤٠٥)، رقم (٢٠٢٠).

(٢) متفق عليه.

وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر يفزع إلى الصلاة يناجي فيها ربه ويطمئن بذكره ويشكو إليه ما أهمه فيستجيب الله له، ومعنى حَزَبه: أي نزل به هَمٌّ أو أصابه غَمٌّ.

وكانت قرة عينه ﷺ في الصلاة فكان يقول: «**ارحنا بالصلاة يا بلال**»، ولما كان ﷺ يودع الدنيا إلى الآخرة كانت الصلاة آخر وصية وصى بها أمته، جعل يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: «**الصلاة الصلاة، وما ملكت ايمانكم**».

والصلاة خير الأعمال، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سددوا وقاربوا، واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة**»(١).

وهي الفوز بالجنة لمن أحسن وضوءها وصلاها لوقتها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خمس صلوات افترضهن الله عزو جل من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن واتم ركوعهن وخشوعهن، كان له على الله عهداً أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهدٌ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»(٢).

ولأهمية الصلاة فقد صرحت النصوص بكفر تاركها، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(٣)، وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(٤)، هذه منزلة الصلاة، تلك الصلة بين العبد العارف لعبوديته وبين ربه الذي رباه وربى جميع العالمين بنعمه وفضله، وهي علامة محبة العبد لربه وتقديره لنعمه وشكره لفضله وإحسانه، فالإعراض عن الصلاة بالتكاسل عنها والتباطؤ في أدائها والحرص على سرعة الفراغ منها علامة على ضعف أو فراغ القلب من حب الله بل وانشغاله بحب غيره من متاع الدنيا الزائل.

---

(١) «الصحيحة» (١/ ١٨١) برقم (١١٥).

(٢) «صحيح أبي داود» (٤٥١)، «صحيح الجامع» (٣٢٤٢).

(٣) رواه مسلم.

(٤) «الجامع الصحيح» (٤١٤٣).

عِبَادَ اللَّهِ . . . وأما المحافظة على الصلاة فيكون في بيوت الله حيث ينادى لها، ومن صلاها في بيته بدون عذر فقد ارتكب محرمًا، لأنه يُعد منافقًا بنص حديث رسول الله ﷺ كما بيناه في الحديث المتفق عليه، ومن استقرأ علامات النفاق في السنة وجدها إما ترك فريضة أو فعل محرم، روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **«من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو أنكم تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»**.

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أنه لا يجوز لمن يسمع النداء أن يصلي في بيته بدون عذر لقول النبي ﷺ : **«من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»**، قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما هو العذر؟، قال: **«خوف أو مرض»**[1].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الصلاة عمود الدين، وجعلها قرة نبيه الأمين، ومن تبعه وسار على دربه إلى يوم الدين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أنه يحرم تأخير الصلاة عن وقتها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (سورة النساء:١٠٣). والصلاة في وقتها من أفضل الأعمال.

---

(١) «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٨٠)، رقم (٦٣٠).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : **أي الأعمال أفضل؟**، قال: **«الصلاة على وقتها»**[(١)].

وقد توعد الله المضيعين لأوقات الصلاة بوعيد شديد، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (سورة مريم:٥٩). يقول ابن سعدي - رحمة الله - في تفسير هذه الآية: «لما ذكر تعالى الأنبياء قبل هذه الآية وهم المخلصون المتبعون لمراضي ربهم، المنيبون إليه. ذكر من أتى بعدهم، وبدلوا ما أمروا به، وأنه خلف من بعدهم خلف رجعوا إلى الخلف والوراء، فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهاونوا بها وضيعوها. وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي أكبر الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم أضيع وله أرفض. والسبب الداعي لذلك أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإرادتها فصارت هممهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم حصلوها، وعلى أي وجه اتفقت تناولوها. ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ أي: عذابًا مضاعفاً شديداً»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (سورة الماعون:٤-٥). والويل: هو شدة العذاب، وقيل: واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره.

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: قلت لأبي: «أرأيت قول الله عز وجلّ: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾، أهو ما يحدث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا، ولكن في تأخيرها عن وقتها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٢١٠).

عِبَادَ اللهِ . . . ونستعرض معكم فضائل صلاة الفجر لأهمية ذلك، فلصلاة الفجر مع الجماعة أجر عظيم، وثواب جزيل، وفضائل جمة، وهذا الأجر لو اطلع عليه الناس وعلموه يقينًا لما تخلف عن الفجر أحد ولأتوها ولو زحفًا على الركب، وهذا ما أخبرنا به الرسول ﷺ بقوله: **«اثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا»**(١) .

وتبدأ هذه الفضائل لصلاة الفجر منذ أن يضع المسلم أقدامه في خطواته إلى المسجد، ففي الحديث عن بريدة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**(٢) . فهنيئًا لمن حصل له هذا النور التام.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ (سورة الحديد:١٢). ثم إذا مشى إلى المسجد فيؤجر على مشيه، فكل خطوة يخطوها ترفعه درجة والأخرى تحط عنه خطيئة، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»**(٣) .

وإذا دخل المؤمن المسجد وأدى سنة ركعتي الفجر حظي بأجر جزيل خير من الدنيا وما فيها، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»**(٤) ، فإذا كان هذا فضل النافلة فما بالك بفضل الفريضة؟! فأي تفريط فرطه المتخلفون عن صلاة الفجر، ومن فضائل صلاة الفجر مع الجماعة أن يكتب للمصلي أجر قيام الليل كله، يدل على ذلك ما رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال:

---

(١) متفق عليه.

(٢) «صحيح الجامع» (١/ ٥٤٥)، رقم (٢٨٢٣).

(٣) «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٩٣)، برقم (٦٣٩٧)، «المشكاة» (٦٩٨)

(٤) «صحيح مسلم» (٨٢٥).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله**». وفي رواية: «**من صلى العشاء والصبح في جماعة فكأنما قام اليل كله**».

فيا أخي المسلم... إنها نعمة عظيمة أن يكتب لك أجر قيام الليل وأنت نائم في فراشك إذا استيقظت للفجر وأديتها مع الجماعة، ومن فضائلها أن الرسول ﷺ وعد من حافظ عليها بدخول الجنة والنجاة من النار، فعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى البردين دخل الجنة**»[1]، والبردان: هما الصبح والعصر، سُميا بذلك لأنهما في بردي النهار، أي طرفيه حيث يطيب الهواء، وقيل: هما العشاء والفجر.

وعن أبي زهير عمارة بن رويبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**»[2]، يعني: الفجر والعصر.

ومن فضائل صلاة الفجر أن من صلى الفجر فهو في حفظ الله وأمانه وضمانه، عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشيء**»[3]، وفي رواية «**فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم**».

فانظر كيف يحفظ الله المؤمن المصلي للفجر مع جماعة وكيف توعد من يتعدى عليه.

ومن فضائلها أنها صلاة مشهودة تشهدها ملائكة الليل والنهار، والملائكة إذا حضرت تستغفر للمؤمنين وتؤمن على دعائهم وتدعو لهم، قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ (سورة الإسراء: ٧٨).

---

(١) «مختصر مسلم» (ص٦٣) رقم (٢٠٩).
(٢) «مختصر مسلم (٢٠٨)، «صحيح الجامع» (٩٢٨/٢١).
(٣) «صحيح الجامع» (١٠٨٥/٢) رقم (٦٣٣٩).

قال المفسرون: المراد بقرآن الفجر: صلاة الفجر، ومشهوداً: أي تشهده ملائكة الليل والنهار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»**[1].

عباد الله . . . من الأسباب المعينة على الاستيقاظ لصلاة الفجر مع الجماعة في المسجد النوم المبكر وعدم السهر على المعازف والأفلام وغير ذلك، لأن في ذلك إثم السهر المحرم وإثم ترك أداء الفجر مع الجماعة، وكذلك من الأسباب المعينة على صلاة الفجر في المسجد الساعة المنبهة ما اجتناب مع فيها جرس أو الاستعانة بأحد الأقارب أو الأصدقاء لإيقاظك.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٠٣)، ومسلم (١/ ٤٣٩).

# صلة الأرحام والتحذير من قطيعتها

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن صلة الأرحام والتحذير من قطيعتها، جعلنا الله وإياكم من أهل الصلة وجنبنا وإياكم القطيعة، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١).

وقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (سورة النساء: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ (سورة الرعد: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (سورة الاسراء: ٢٦).

وأما ما ورد من الأحاديث في كتب السنة فكثيرة، منها ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»** [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾** [(٢)] (سورة محمد: ٢٢-٢٣).

في هذه الآية قَرَنَ الله الإفساد في الأرض بقطيعة الرحم، وبيَّن أن من فعل ذلك ملعون بنص كلام الله جل وعلا، فلنحذر ـ يا عباد الله ـ من ذلك وهو كثير في هذا الزمان بين المسلمين، واللعن هو الطرد من رحمته عزَّ وجلَّ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث: فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»** [(٣)].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«قال الله عزَّ وجلَّ: أنا الله أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»، أو قال: «بتَتُّه»** [(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٦٧).
(٢) رواه البخاري (٤٨٣٢)، ومسلم (٢٥٥٤).
(٣) «صحيح أبي داود» (٢٠٠٢).
(٤) رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في السلسلة (٢/ ٣٦).

عباد الله . . . سئل الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ من هم الأرحام؟

فقال: الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، هم المعنيون بقوله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال والأحزاب: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (سورة الأنفال: ٧٥). وأقربهم الآباء والأمهات والأجداد والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم والأخوال والخالات وأولادهم، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لما سأله سائل قائلاً: **من أبرُّ يا رسول الله؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟، قال: «أمك»، قال: ثم من؟، قال: «أباك، ثم الأقرب فالأقرب»**[1]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

وأما أقارب الزوجة فليسوا أرحامًا لزوجها إذا لم يكونوا من قرابته، ولكنهم أرحام لأولاده منها، وبالله التوفيق.

وتكون صلة الرحم بأشياء متعددة، فتكون بزيارتهم والإهداء إليهم والسؤال عنهم، وتفقد أحوالهم والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم، واحترام كبيرهم، وتكون كذلك باستضافتهم وحسن استقبالهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أحزانهم، كما تكون بالدعاء لهم، وسلامة الصدر نحوهم، وإجابة دعوتهم، وعيادة مرضاهم، كما تكون بدعوتهم إلى الهُدى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

يقول أبو حمزة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء.

أيها المسلمون . . . قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٨).

وصلة الرحم واجبة وإن قطعوك، فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال النبي ﷺ: **«إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُمُ الملَّ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»**(١).

وقوله **«كأنما تُسِفُّهُمُ الملَّ»**: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، ولايزال معك من الله عون ما دمت على ذلك.

ولصلة الرحم ثمرات، منها أنها سبب لمغفرة الذنوب: فعن ابن عمر ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟ فقال النبي ﷺ: **«هل لك من أم؟»**، قال: لا، قال: **«فهل لك من خالة؟»**، قال: نعم، قال: **«فبرَّها»**(٢).

ومن ثمرات صلة الرحم أنها سبب لزيادة الرزق وطول العمر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سره أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسَأ له في أثره فليصل رحمه»**(٣).

وصلة الرحم - يا عباد الله - من أحب الأعمال إلى الله تعالى: فعن رجل من خثعم قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله: إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله: الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم»**(٤).

عن ابن مسعود - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»**(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) رواه الترمذي، وأحمد (٤٦٢٤)، «المشكاة» (٤٩٣٥)، والحاكم (٤/ ١٥٥)، قال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه البخاري (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) «الترغيب» (٣/ ٢٢٣)، «المجمع» (٨/ ١٥١).

(٥) «صحيح»، رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، عن ابن مسعود، «الإرواء» (١١٩٨).



الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . . أما بعد:

عباد الله . . . ومن ثمرات صلة الأرحام أنها سبب لدخول الجنة والنجاة من النار.

فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن أعرابيًا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: **يا رسول الله - أو يا محمد - أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: فكَفَّ النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وفِّقَ أو لقد هُدِيَ»، قال: كيف قلت؟، قال: فأعادها، فقال النبي ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم. دع الناقة»**، وفي رواية: **«وتصل ذا رحمك»**، فلما أدبر، قال رسول الله ﷺ: **«إن تَمَسَّكَ بما أَمَرْتُهُ به دخل الجنة»**[1].

وصلة الرحم ليست من باب المكافأة، فمن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه، وهذا في الحقيقة ليس بواصل، وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله، وهو حاصل للقريب وغيره، فإن المكافأة لا تختص بالقريب وحده، والواصل حقيقة هو الذي يصل قرابته لله سواء وصلوه أو قطعوه، ولهذا قال ﷺ: **«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»**[2].

عباد الله . . . ولقطيعة الرحم عقوبات كثيرة، فمنها أنه لا يدخل الجنة، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنة قاطع»**، قال سفيان: يعني قاطع رحم[3].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٨٣).

(٢) رواه البخاري (٥٥٩١).

(٣) رواه البخاري (٩٥٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

وعن أبي جرير عـن أبي بردة عن أبي موسى الأشعـري ﷺ قال: قـال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم»[(١)].

ومن عقوبة قاطع الرحم أن الله يصل من وصلها ويقطع من قـطعها، فعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[(٢)].

أخي المسلم . . . تذكر أن قرابتك قطعة منك، إن أحـسنت إليهم فإنما تحسن إلى نفسك، وإن أسأت إليهـم فإنما تسيء إلى شخصك؛ فإذا أقبلت إليك الدنيـا خاضعة ووقفت بين يديك صـاغرة طائعة فلا تنـس الأهل والأقرباء من خيرك، وتقـدم إليهم بعطائك وفضلك وبرك.

وكن لهم كما كـان يوسف لأبويه وأخوته . . لم يُنْسه ملكه العظيم واجـبه نحو الأقربين. . ولم تمنعه إسـاءة إخوته إليه في الصغر عن البـر بهم في الكبر. . بل قال لهم: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة يوسف: ٩٣).

واحذر ـ يا عبـد الله ـ أن تجعل خيرك وفضلك للأباعد وتحـرم منه الأقارب فإن ذلك موغـر لصدورهم ومشعل العـداوة في نفوسهم. . قـال تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (سورة الأنفال: ٧٥).

عباد الله . . . لقطيـعة الرحـم أسبـاب، منهـا السعي بين الأرحـام بالنمـيمـة والتحريش وقد أمـر الله سبحانه وتعالى بعدم طاعة أهل النميـمة فقال: ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (سورة القلم: ١٠-١١). أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣٨١)، وأحمد (٤/ ٣٩٩)، انظر: «السلسلة الصحيحة» (٦٧٨).
(٢) رواه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).

كذلك إلا وهو كـذاب. ولا يكون كذابًا إلا وهو مهين، أي: خـسيس النفس ناقص الحكمة، ليس له رغـبة في الخير بل إرادته في شـهوات نفسه الخسيسة. وهـو مشاء بنميم أي: يمشي بين الناس بالنميمة وهو نقل كلام بعض الناس لبعض لقصد الإفساد بينهم وإيقاع العـداوة والبغضاء، والنمـام يفرق بين المسلمين وربما سَبَّبَ القطيـعة بين المسلمين فلا يتـواصلون إلى الموت، وربما يفرق بين عامة الناس ويجـعل المجتمع كله شرًا، وكله بغضاء بسبب هذا النمام، وقد بين النبي ﷺ أنه: «**لا يدخل الجنة نمام**»[1].

فعن حذيـفة رضي الله عنه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قـتات**»[2]، ورواه مسلم بلفظ: «**لا يدخل الجنة نمام**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة**»[3].

ولعظم إثم النميـمة وخطرها قال فيـها رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم ما العَضْهُ؟** (يعني السمر) **هو النميمة القالة بين الناس**»[4].

والنمام يعتـبر فاسقًا؛ لأنه فاعل كبـيرة من كبائر الذنوب يجب عليه الاسـتغفار والتوبة منها.

---

(١) رواه مسلم (١٠٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦).

(٣) رواه البخاري (٢١١)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) رواه مسلم (٤٧١٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

# العلم

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٢٢).

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ أي: جميعًا لقتال عدوهم. فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، ويفوت به الكثير من المصالح الأخرى.

﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ «طائفة» تحصل بها الكفاية والمقصود، لكان أولى. ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح، لو خرجوا لفاتتهم.

فقال: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: القاعدون، ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصًا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور. وأن من تعلم علمًا فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي ينمى.

وأما اقتصاد العالم على نفسه وعدم دعوته إلى سبيل الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علمًا، ومنحه فهمًا.

وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف لفائدة مهمة. وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون، قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق، وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد. وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور..»[1].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٣).

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾. أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، لأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن الناصر السعدي (٢/ ٢٩٦).

﴿وَ﴾ لكن، ﴿ما يَعْقِلُهَا﴾ بفهمها وتدبرها وتطبيقـها على ما ضربت له وعقلها في القلب، ﴿إلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ أي: إلا أهل العلم الحقـيقي، الـذين وصل العلم إلى قلوبهم. وهذا مدح للأمـثال التي يضربهـا، وحثٌّ على تدبرها وتعقلهـا، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فَعُلِمَ أن من لم يعقلها ليس من العالمين. والسـبب في ذلك أن الأمثـال التي يضربـها الله في القـرآن إنما هي للأمور الكبـار، والمطالب العالية، والمسـائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غـيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهودهم في معرفتها.

وأما من لم يعقلها ـ مع أهميـتها ـ فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمـة، فعدم معرفته غـيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين، ونحوها[1].

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران:١٨).

قال الإمام المحقق ابن القيم ـ رحمه الله ـ[2]:

أشهـد سبحانه وتعـالى بأولي العلم على أجل مشهـود عليه وهو توحيده فـقال سبحانه وتعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران:١٨).

وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

**أحدها:** استشهادهم دون غيرهم من البشر.

**الثاني:** اقتران شهادتهم بشهادته.

**الثالث:** اقترانهما بشهادة الملائكة.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لابن سعدي (٤/ ٦٢).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٨).

**الرابع:** أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، ومنه الأثر المعروف عن النبي ﷺ : «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[(1)].

**الخامس:** أن وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

**السادس:** أنه ـ سبحانه ـ استشهد بنفسه، وهو أجلُّ مشهودٍ به وأعظمُه وأكبرُه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

**السابع:** أنه ـ سبحانه ـ جعل شهادتهم حجة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته وآياته، وبراهينه الدالة على توحيده.

وقد أطال ـ رحمه الله ـ بذكر الأوجه الدالة على فضيلة العلم مستنبطًا لها من الآية العظيمة. . . .»[(2)].

عِبَادَ اللَّهِ . . . أما ما ورد من السنة في فضل طلب العلم والعمل به فأحاديث كثيرة، منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطأ به عملُه لم يسرع به نسبُه**»[(3)].

---

(1) حديث حسن.

(2) «إرشاد طالب العلم والعمل والآداب» (ص٥١-٥٢)، للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع المتوفى سنة (١٣٨٥هـ)، رحمه الله. تحقيق وتعليق عليّ بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري.

(3) رواه مسلم في «الذكر» (٢٦٩٩).

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: اعلم أن هذا الحديث له شرائط، منها العمل بما يعلمه، وقال أنس رضي الله عنه: العلماء همتهم الرعاية، والسفهاء همتهم الرواية، قال الشاعر:

**مواعظ الواعظ لن تقبلا ❊ حتى يعيها قلبه أولا**
**يا قوم ما أظلم من واعظ ❊ خالف ما قد قاله في الملا؟**
**أظهر بين الخلق إحسانه ❊ وخالف الرحمن لما خلا**

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من ابتغى العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو تقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن علمًا لا يُنتفع به ككنز لا يُنفق منه في سبيل الله»**[2].

عباد الله . . . ومن تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل العلم الترحيب بطلبة العلم وفتح القلوب لهم بالترغيب في الطلب والطالب، كما ثبت عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا بوصية رسول الله وافتوهم»**[3].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وإمامًا للموحدين وقدوة للمقتدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين . . أما بعد:

---

(١) (حسن) انظر: «المشكاة» (٢٢٥).

(٢) (حسن)، رواه ابن عساكر (٢١١٢)، وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته».

(٣) (حسن)، «الصحيحة» (٢٨٠٢).

عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن طلب العلم سبيل إلى الجنة، فعن كثير ابن قيس قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني عنك أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، ما جئتك لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»**[1].

وفي قوله: إن الملائكة لتضع أجنحتها: قيل: معناها أنها تتواضع لطالب العلم توقيرًا لعلمه، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (سورة الإسراء: ٢٤). وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٥). أي: تواضع لهم، وقيل معنى وضع الجناح: هو الكف عن الطيران والنزول للذكر.

أما قوله: إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، قيل: أن الله تعالى ألهم الحيتان وغيرها من أنواع الحيوان الاستغفار للعلماء، فإنهم هم الذين بينوا الحكم فيما يحل منها ويحرم للناس.

وفضل العلم على العبادة من حيث أن نفع العلم يتعدى إلى كافة الخلق، وفيه إحياء الدين هو تلو النبوة.

قوله: **«من أخذه أخذ بحظ وافر»**: يعني من ميراث النبوة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: **«تدارس العلم ساعة من الليل خيرٌ من إحيائها»**. وقال الإمام النووي ـ في شرح هذا الحديث ـ: اعلم أن هذا الحديث له شرائط، منها العمل بما يعلمه. وقال أنس رضي الله عنه: العلماء همتهم الرعاية والسفهاء همتهم الرواية.

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود (٣٦٤١)، وغيرهما، وانظر: «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

قال ابن وهب: كنت عند مالك قاعدًا أسأله، فرآني أجمع كتبي لأقوم، قال لي: مالك أين تريد؟ قال: قلت: أبادر إلى الصلاة. قال: ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صحت فيه النية، أو ما أشبه ذلك.

قال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.[1].

أما مكانة أهل العلم عند السلف فيقول فيها الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نَبُلَ قدره، ومن عرف الحديث قويت حُجَّتُهُ، ومن نظر في النحو رَقَّ طبعه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه»[2].

وأما فضيلة كتب العلم وبيان الاستغناء بها عن مجالسة أكثر الناس فحقيق بمن رزقه الله علمًا وفهمًا أن لا يضيع أوقاته سُدَىً وهملاً بغير طاعة، وأن لا يشغل نفسه باللهو والبطالة، فهذه حالة لا يرضاها لنفسه اللبيب، ومنزلة يتعوذ منها الأديب.

وقد ذكر الإمام ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» عن بعض السلف أنه قال: إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علمًا يقربني إلى الله، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم. قال: وفي مثله قال القائل:

**فإن مر بي يوم ولم أستفد هدى ۞ ولم أكتسب علماً فما ذاك من عمري**

الحزم كل الحزم أن يعرف الإنسان قيمة عمره، ولا يفنيه إلا بطاعة الله تعالى، أما يرضيه أن يجعل الكتاب له أنيسًا، ولا يستبدل به من الناس جليسًا؟! ففي ذلك من الفوارق الجليلة ما عرفه أرباب القلوب الواعية والنفوس الزكية.

---

(١) مختصرًا من «شرح السنة»، م/ «أصول الإيمان» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

(٢) «إرشاد طالب العلم والعمل والآداب»، ص٧٤، للشيخ محمد بن عبد العزيز المانع.

ولهذا قال الإمام ابن عبد القوي ـ رحمه الله ـ:[١]

وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه ... ويسلم دين المرء عند التوحد
ويسلم من قال وقيل ومن أذى ... جليس ومن واشٍ بغيض وحُسد
فكن جلس بيت فهو ستر لعورة ... وحرز الفتى عن كل غاوٍ ومفسد
وخير جليس المرء كتب تفيده ... علومًا وآدابًا كعقل مؤيد
وخالط إذا خالطت كل موفق ... من العلماء أهل التقى والتعبد
يفيدك من علم وينهاك عن هوى ... فصاحبه تهدى من هداه وترشد

فالعاقل إنما يخالط الأفاضل الأماثل من أهل التعبد والعلم والرزانة والحلم، فإذا لم يجد من هذه صفته فليعكف على العلم ومطالعة كتبه كما قيل:

العلم آنسُ صاحبٍ ... أخلو به في وحدتي
فإذا اهتممت فسلوتي ... وإذا خلوت فلذتي

عبادَ الله . . . وللعلم حلاوة لا يعرفها إلا من طلبه في مراكزه وخاصة بيوت الله جلَّ وعلا فما أحوج الناس إلى طلبه في تلك الأماكن المباركة الدانية قطوفها لمن أخلص في الطلب وصبر وصابر.

يقول ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: «ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم. . وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا

---

(١) «منظومة الآداب».

يدرى إلا بالعلم، حتى أنني أذكر في زمن الصبوة ووقت الغلمة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، لم يمنعني منها إلا ما أثمر عندي العلم من خوف الله عزَّ وجلَّ»[١].

أيها الأحبة في الله... والعمل بالعلم بإخلاص، وصدق ورغبة في رضى الله عزَّ وجلَّ من أفضل المطالب التي تكتسب بها الحكمة بتوفيق الله وتسديده وفضله وإحسانه.

والعلم ما قام عليه الدليل، وهو النقل المُصدَّق والبحث المحقق، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ: علم الكتاب والسنة، والمطلوب من الإنسان هو فهم معانيهما والعمل بما فيهما، فإن لم تكن هذه همة حافظ القرآن وطالب السنة لم يكن من أهل العلم والدين. ولهذا كانت الحكمة عند العرب هي العلم النافع والعمل الصالح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «قال غير واحد من السلف: الحكمة معرفة الدين والعمل به».

والعلم بلا عمل حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف:٢). ومثل من يتعلم العلم ويزداد منه ولا يعمل به مثل رجل احتطب حطبًا فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فعجز عنها، فضم إليها أخرى والداعية لا يكون حكيمًا في دعوته ما لم يعمل بعلمه، ولهذا ينفر الناس عنه، وتزل موعظته من القلوب كما يزل القطر من الصفاء لأن الكلام ـ في الغالب ـ إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان وقع في الآذان.

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢٣٥)، الإمام ابن الجوزي.

# العــدل والمســاواة

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثـنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن العـدل والمساواة. وتعريـف العدل لغة: هو ما قام في النفوس أنه مستقيم، واصطلاحًا: هو بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم. والعدالة في الشـريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور دينًا، والمســاواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقـيقها، وهي الغاية المرجـوة منها، والعادل في مـجال الحكم هو الحاكم بـالسوية لأنه يخلف صاحب الشـريعة في حفظ المساواة، ومن هنا فـقد جاء في تعريف العـدل أنه القسط اللازم للاستـواء أي لتحـقيق المســاواة بين الطرفين دون زيادة أو نقصــان، وإذا كانت العدالة خلقًا فإن المساواة قيمة وهدف، ولما كانت الـعدالة خلقًا أو هيئة نفسانية تصدر

عنها المساواة فقد اقترن الأمران وارتبطا ارتباطًا وثيقًا لأن العادل من شأنه أن يساوي بين الأشياء التي هي غير متساوية، لما كان الأمر كذلك فإن كليهما قد يستعمل استعمال الآخر تسامحًا. ولكنهما غالبًا ما يستعملان معًا.

والآيات الواردة في العدل والمساواة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠).

وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٣٥).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة النساء: ٥٨).

وأما الأحاديث الواردة في العدل فمنها: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله عزّ وجلّ محسن يحب المحسنين**»[١].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٥/١٩٧)، رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٩٤)، و«الصحيحة» (٤٦٩).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن. عزَّ وجلَّ. وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[1].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلي اليمن قاضيًا، فقلت: يا رسول الله! ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء؟، فقال: «إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»، قال: فما زلت قاضيًا، أو ما شككت في قضاءٍ بعد[3].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»[4].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والخسران للعاصين المفرطين. أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . وأما الأحاديث في المساواة، فمنها ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول

(١) رواه مسلم (١٨٢٧)، واللفظ له. وقال الألباني في صحيحه: صحيح، (٤٩٧٢).

(٢) رواه النسائي (٧/ ١٣٩)، واللفظ له، و«صحيح النسائي» للألباني (٣٨٧٢).

(٣) رواه أبو داود (٣٥٨٢)، واللفظ له، وقال الألباني : صحيح، «إرواء الغليل» (٨/ ٢٢٦)، رقم (٢٥٠٠).

(٤) رواه البخاري «الفتح١٣» (٧١٥٨)، واللفظ له، ومسلم (١٧١٧).



الله ﷺ ومن يجتري عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم رسول الله ﷺ، فقال: «اتشفع في حد من حدود الله»، ثم قام فخطب، فقال: «ياأيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[1] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما اقطع له به قطعة من النار»[2]، وعن النعمان بن بشير، قال: انطلق به أبوه يحمله إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أني قد نحلت النعمان من مالي كذا وكذا. قال: «فكل بنيك نحلت مثل الذي نحلت لنعمان؟»، قال: لا، قال: «فاشهد على هذا غيري»، قال: «اليس يسرك ان يكونوا لك في البر سواء؟»، قال: بلى، قال: «فلا إذًا»[3] .

وأما آثار السلف في العدل والمساواة فمنها ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول لتحيا القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئًا فلينفع به، إن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة. وقد جعل الله لكل أمر بابًا، ويسر لكل باب مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء...»[4] .

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٧٨٨)، واللفظ له. ومسلم (١٦٨٨).
(٢) رواه البخاري، «الفتح٥» (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري، «الفتح٥» (٢٦٥٠)، والنسائي (٤٤١١).
(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٣٧).

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد . . فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرمها به فعل. فكتب إليه عمر: «أما بعد، فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم، فإنه مرمتها، والسلام»[1].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: يجب على كل ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل، وإن كان فيه كذب وظلم، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، والواجب إنما هو فعل المقدور[2].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: من عرض له قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فليقض بما قضى به النبي ﷺ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولم يقض به نبيه ﷺ فليقض بما قاله الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ﷺ ولم يقض به الصالحون فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقر، ولا يستحي[3].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: جميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ، ولهذا قال ـ سبحانه ـ بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا منبهًا على تساويهم في البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[4] (سورة الحجرات: ١٣). .

---

(١) «حلية الأولياء»، للأصبهاني (٥/ ٣٠٥).

(٢) «الحسبة» (٢٣).

(٣) رواه النسائي (٨/ ٢٣٠)، وقال الألباني في صحيحه: صحيح الإسناد موقوف (٣/ ١٠٩٢ - ١٠٩٣).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٧).

# العناية بالمساجد

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن العناية بالمساجد، جعلنا الله وإياكم من عمارها إنه سميع مجيب.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة التوبة: ١٨).

يقول ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ ﴾ أي: الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن. ﴿ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ لأهلها ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ أي قصر خشيته على ربه،

فكف عنه ما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة. فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها، الذين هم أهلها ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ و ﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة. وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها، الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه.

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة النور: ٣٦-٣٨).

لما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد ذكرها منوّهًا بها فقال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: يتعبد لله ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي: المساجد. ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾ أي: أمر ووصى ﴿أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ هذان مجموع أحكام المساجد. فيدخل في رفعها بناؤها وكنسها وتنظيفها من النجاسات والأذى وصونها عن المجانين والصبيان، الذين لا يتحرزون عن النجاسات، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله. ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها ونفلها وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه والمذاكرة فيه، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات، التي تفعل في المساجد.

ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين. ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد وجوبًا عند أكثر العلماء، واستحبابًا عند آخرين. ثم مدح الله تعالى عُمارَها بالعبادة فقال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ إخلاصًا ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ أول النهار

﴿ وَالآصَالِ ﴾ آخره ﴿ رِجَالٌ ﴾ خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى الله، وسهولته. ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء، وأورادهما عند الصباح والمساء. أي: يسبح فيها الله رجال، وأي رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب مشغلة عنه.

﴿ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ﴾ وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿ وَلا بَيْعٌ ﴾ من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره. فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا واشتروا، فإن ذلك لا محذور فيه. لكن لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ بل جعلوا طاعة الله، وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم. فما حال بينهم وبينها رفضوه.

ولما كان ترك الدنيا شديدًا على أكثر النفوس، وحب المكاسب بأنواع التجارات محبوبًا لها، ويشق عليه تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم حق الله على ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلك ترغيبًا وترهيبًا فقال: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ من شدة هوله وازعاجه القلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه.

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ والمراد بأحسن ما عملوا: أعمالهم الحسنة الصالحة، لأنها أحسن ما عملوا، لأنهم يعملون المباحات وغيرها.

فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن كقوله تعالى: ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(سورة الزمر: ٣٥).

﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ زيادة كثيرة عن الجزاء المقابل لأعمالهم. ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بل يعطيه من الأجر، ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته. ويعطيه من الأجر بلا عَدٍ، ولا كيل وهذا كناية عن كثرته جدًا[١].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لابن سعدي.

عباد الله . . . ولقد اعتبر النبي ﷺ المسجد أمارة تدل على إسلام أهل البلد. أخرج البخاري ـ رحمه الله ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغر حتى يصبح؛ فإن سمع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار بعد ما يصبح»**[1].

عباد الله . . . إن المسجد له دور عظيم، فهو الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم وتكوين خلقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المؤمنين، فالمسجد يعتبر مركزَ إشعاع وتوجيه وتربية، وقد قال النبي ﷺ: **«أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»**[2].

ومن المسجد تصعد الأعمال الصالحة، وفيه تتنزل الرحمة وتتهذب الأخلاق وتصفو النفوس.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا. أما بعد:

إن عمارة المساجد من أبرز أعمال البر، قال ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...»**، وذكر الحديث إلى أن قال: **«ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد»**[3].

وعمارة المسجد بالتردد عليه يعتبر كالمرآة الصافية التي تعكس أحوال الناس ومدى رغبتهم في الخير وبذلك يتضح المؤمن من المنافق، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، أو مريض»**[4].

---

(١) رواه البخاري (٦١٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه مسلم في كتاب «المساجد» (٦٧١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٤) رواه مسلم (٦٥٤).

عباد الله . . . من الآثار الاجتماعية للمؤمنين رواد المساجد هو حصول التكافل فيما بينهم، فالمسجد هو وسيلة التعارف بينهم، ومع مرور الأيام يألف بعضهم بعضًا وتتكون بينهم المحبة في الله، فيزور بعضهم بعضًا ويتعرفون فيما بينهم على أمور دينهم ودنياهم.

أيها المسلمون . . . إن للمسجد آدابًا ينبغي مراعاتها. من ذلك أنه يسن لمن أراد الدخول إلى المسجد أن يقدم رجله اليمنى ويقول: **«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم»**[(١)]، **«بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله»**[(٢)]. **«اللهم افتح لي أبواب رحمتك»**[(٣)] وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى ويقول: **«بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم»**[(٤)].

ويُسن إذا دخل المسجد أن يصلي ركعتين قبل أن يجلس، وإذا كانت الصلاة قد أقيمت فيدخل معهم على أي حال كان الإمام. ولا يجوز رفع الصوت في قراءة القرآن بحيث يشوش على المصلين أو التالين الآخرين. لحديث رسول الله ﷺ: **«أيها الناس كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة»**[(٥)].

أيها المسلمون . . . **ومن مظاهر الاهتمام بالمسجد: الاهتمام بنظافته ونظافة ملاحقه** مثل دورات المياه، ومن سوء الأخلاق والتصرفات السيئة أن من الناس من إذا قضى حاجته في دورة المياه في المساجد لا يسكب الماء في دورة المياه ليزيل ما خرج منه من

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٦)، «السلسلة الصحيحة» (٤٨٥).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٦)، وحسنه الألباني في «الكلم الطيب» (٦٣).

(٣) رواه مسلم (٧١٣).

(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٦)، وحسنه الألباني في «الكلم الطيب» (٦٣)، انظر «حصن المسلم» (ص١٥)، وانظر صحيح ابن ماجه (١/ ١٢٩).

(٥) رواه أحمد (٤٩٢٩)، و(٥٣٤٩)، (٦١٢٧)، من طرق بألفاظ متقاربة وهو صحيح كما قال شعيب الارناؤوط في «تحقيق المسند» (٨/ ٥٢٤)، وانظر «صحيح الجامع» (١٩٤٧).

غائط ومنهم من يغتسل في دورة المياه ويرمي علب الصابون والشامبو وأكياسه في دورة المياه فيحدث ذلك انسداد في مصارف المياه وتفوح بسبب ذلك الروائح الكريهة في دورات المياه وتصل إلى الضاحي، وفي هذا مشقة على منظفي دورات المياه إذ أن أكثرهم ينظفونها احتساب الأجر من الله، والله المستعان.

وإن من عمارة المساجد والاهتمام بها صونها عما لا يليق بها مثل التصوير والصور الذي عمت بها البلوى إلا ما شاء الله، وحكم الإسلام في ذلك معلوم وواضح ولا يقبل جدل المتجادلين ولا تأويل المتأولين الذين يكثرون من التناقضات، وكذلك من عمارة المساجد صونها عن النجاسات والروائح الكريهة، قال ﷺ: «من أكل البصل والثوم والكراتُ فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه بنو آدم»[1].

وكذا كل ما يتأذى من رائحته كالدخان، وما ينبعث من البدن من الروائح الكريهة، فيجب على المسلم أن يأتي إلى المسجد نظيفًا طيب الرائحة قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (سورة الأعراف: ٣١).

فلا ينبغي للإنسان أن يتساهل ويأتي بثياب العمل المتسخة أو ثياب النوم، بينما لو أراد زيارة أحد من الناس لوجدته يلبس أحسن ثيابه، فالله أولى بالتزين ظاهرًا وباطنًا.

أيها المسلمون . . . من الظواهر التي يجب اختفاؤها وذهابها من المساجد ظاهرة التحجيد وحجز المكان في أي جزء من المسجد لأنه مشاع لكل مصل وعابد، فحجز المكان قبل الصلاة بمدة إلى حين وقتها لم يكن معهودًا عند السلف الصالح عليهم رحمة الله، وإنما كانوا يتقدمون ويقومون حيث ينتهي بهم الصف، ولم يعرف عن الصحابة ولا التابعين أنهم كانوا يحجزون الأماكن لهم قبل الوقت.

---

(١) رواه مسلم (٥٦٤).

أيها المسلمون . . . إن غالب من يفعل ذلك يدعي الحرص على الصف الأول، لما فيه من الأجر والثواب، والواجب لمن أراد ذلك هو البقاء في المكان نفسه دون أن يضع غترة أو كتابًا أو شيئًا آخر ليربط المكان، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عمن يحجز موضعًا في المسجد بسجادة أو بساط أو غير ذلك هل هو حرام؟ وإذا صلى إنسان على شيء من ذلك بغير إذن مالكه هل يكره أم لا؟

فأجاب قائلاً: ليس لأحد أن يحتجز من المسجد شيئًا، لا سجادة يفرشها قبل حضوره ولا بساطًا ولا غير ذلك، وليس لغيره أن يصلي عليها بغير إذنه، لكن يرفعها ويصلي مكانها في أصح قولي العلماء ـ والله أعلم ـ والمشروع في المسجد أن الناس يجلسون في الصف الأول فالأول، وقد يقول قائل: إذا كان الإنسان يريد الوضوء أو الشرب أو عارضًا يسيرًا وخشي أن يجلس في مكانه إنسان، فهل له أن يضع شيئًا يحتجز له مكانه لهذه الفترة الوجيزة؟

**والجواب:** ليس له أن يضع شيئًا كما في الحديث الذي رواه مسلم: **«إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به»**[(١)] .

ولم يذكر أنه يضع شيئًا، لذا على الجالس الثاني مفارقة المجلس إذا رجع صاحبه إليه، وينبغي لصاحب المجلس إذا رجع إليه وقد شغل مكانه أن يكون في طلبه لمجلسه لينًا رفيقًا، وإذا خشي أن يترتب على هذا الطلب مفسدة فالأولى ترك ذلك وهو على أجره إن شاء الله تعالى.

فتحجير المكان قد يسبب تنافسًا وتزاحمًا، وقد يسبب تخطي الرقاب. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العمل بالسنة والمسارعة في الخيرات والمسابقة إلى مغفرة الله والجنة.

اللَّهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللَّهم وَلِّ أمورنا خيارنا ولا توليها شرارنا، اللَّهم أصلح الراعي والرعية، إنك على كل شيء قدير.

---

(١) رواه مسلم (٢١٧٩).

# العمل بالقرآن

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن خير الكلام، وجعله نوراً وحياة للقلوب، وشفاءً لما في الصدور، أخرج به من الظلمات إلى النور، فبصر به من العمى، وهدى به من الضلالة، أحمده تعالى على جزيل إنعامه، وأشكره على جزيل إحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيراً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ -٧١)

**اما بعد. فيقول الحق سبحانه:** ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ (سورة الإسراء: ٩).

هذا القرآن يهدي لأقوم الطرق وأيسر السبل، من أخذ به سعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكًا.

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد كانت البشرية قبل أن ينزل عليها كتاب الله تعيش في ظلام دامس، وليل بهيم، لعبت بعقولها الخرافات والأساطير، ففي كل جانب من جوانب

الحياة وكل ناحية من نواحـيها جاهلية وتخبط، فأكرم الله تعـالى البشرية وأنزل عليها القرآن ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الخضوع للأصنام والأوثان والأشخاص إلى الخضـوع للواحد الديان، فلما تمسكت به الأمـة وجعلته منهـجًا لها لا تحـيد عنه صارت خير أمـةٍ أخرجت للناس،وأصبح مجدها يطاول السـحاب، وقادوا الأمم إلى الهدى والخير.

إخواني . . . كتاب الله بين أيدينا محفوظ بحفظ الله له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر:٩). ولقد أنزل ليكون كتابًا للبشـرية إلى قيام الساعة يقودها إلى الخير في حـربها وفي سلمها، وفي شئون الدنيـا والآخرة، وإن هذا القرآن الذي رفع الأمة الإسلامية فـي أول عهدها قادر على رفعها إلى سمـاء المجد ثانية؟ ولكن متى؟ يوم أن نأخذ ونتلقى هذا القرآن كما تلقوه بشعـور التلقي للتنفيذ مهما عارض أهواءنا وشهواتنا وقـد بين الله ذلك في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (سورة محمد:٧). ونصر الله هو بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وقال تعـالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فاتبعوه وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الأنعام:١٥٥).

﴿ وَهَذَا ﴾ القرآن العظيم، والذكر الحكيم.

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾. أي: فيه الخير الكثيـر، والعلم الغزير.وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتسـتخرج منه البـركات. فمـا من خير إلا وقد دعـا إليه، ورغب فيه،وذكـر الحكم والمصالح، التي تحث عليه، وما من شـر إلا وقد نهى عنه، وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله، وعواقبها الوخيمة.

﴿ فاتبعوه ﴾ فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه.

﴿ وَاتَّقُوا ﴾ الله تعالى أن تخالفوا له أمرًا ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾. إن اتبعتموه ﴿ تُرْحَمُونَ ﴾ فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علمًا وعملاً.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٠).

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾. أي: يتمسكون به علمًا وعملاً، فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي علمها أشرف العلوم، ويعلمون ما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون، وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة. ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات، ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ إقامة الصلاة ظاهرًا وباطنًا، ولهذا خصها بالذكر لفضلها وشرفها وكونها ميزان الأعمال، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات.

ولما كان عملهم كله إصلاحًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ في أقوالهم وأعمالهم، ونياتهم، مصلحين لأنفسهم، ولغيرهم.

عباد الله ... عندما نقرأ آيات الله هل نقف عندها ونتأمل ما فيها ونعلم أنها رسائل من ربنا إلينا، هل وقفنا عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم:٦). هل وقفنا عند هذه الآية وحاسبنا أنفسنا؟ هل أطعنا الله في اتقاء النار؟ هل أخرجنا ما في بيوتنا من منكرات تدعو إلى الرذيلة؟ هل أمرنا أهلنا وأولادنا بإقامة الصلاة في وقتها؟، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (سورة طه: ١٣٢).

**وقال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**[1].

هل كنا عونًا لأبنائنا وبناتنا إلى الخير وإبعادهم عن الشر وأسبابه؟.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

هل أعنّاهم على غض أبصارهم وحفظ فروجهم بالزواج المبكر، وإبعاد الأسباب التي تدعو إلى الرذيلة من صورة فاتنة أو أغنية ماجنة؟ وهل في الغناء إلا المجون والدعوة إلى التحلل من القيم والأخلاق الفاضلة؟ ماذا استفدنا من تلاوتنا لهذه الآية: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النور: ٣٠). إذا كان الأب القارئ لهذه الآية لا يغض طرفه عن الحرام بل ويعين أبناءه وبناته على النظر إلى الحرام.

عِبَادَ اللهِ . . . إننا نقرأ قول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة البقرة:٢٧٨). ونشاهد في واقعنا بعض المسلمين يمارس هذه الجريمة ـ جريمة الربا ـ وكأن الله لم يحرمها، فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن هذا القرآن لم ينزل للتلاوة وحدها، إنما أنزل لجميع ذلك، فهو منهج حياة في الاقتصاد والإعلام والتعليم والعلاقات الدولية والأسرية والفردية، وليس لنا الخيار في ذلك: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب:٣٦). والقرآن يحفظ الفرد المسلم من الشياطين، فعليك أخي المسلم بالمواظبة على وردك اليومي حتى يكون عليك من الله حافظ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقال: دعني إني محتاج وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال:**

«أما إنه قد كذبك سيعود»، فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذه آخر ثلاث مرات: إنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥)، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك؟»، قلت: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، قال: «أما إنه صدقك وهو كذوب وتعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال؟»، قلت: لا، قال: «ذاك الشيطان»[(١)].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل القرآن للمؤمنين في الدنيا قرينًا، وفي القبر مؤنسًا، وفي القيامة شفيعًا، وجعله إلى الخيرات كلها إمامًا ودليلاً، نحمده حمداً يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة وشفيع الأمة ﷺ .. أما بعد:

عباد الله ... اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن تلاوة القرآن مستحبة في كل وقت ولكنها في شهر رمضان أفضل وآكد لاختصاصه بمضاعفة الحسنات، كما أن الله سبحانه وتعالى ذكر فضل تلاوة القرآن في زمن السَّحَر فقال: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (سورة الإسراء: ٧٨).

---

(١) رواه البخاري، معلقًا بصيغة الجزم (٢٣١١)، (٣٢٧٥)، (٥٠١٠).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن من يطلع على أحوال السلف يرى عجبًا من العجب أقوامًا يقبلون على القرآن إقبال الظمآن على الماء البارد، يتلون آياته ويتدبرونها وينفذون أحكامه ويؤمنون بمتشابهه ويعملون بمحكمه ويتأثرون بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب فيخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا، وكان الواحد منهم إذا قرأ كتاب الله لا يشغله عنه شاغل، ولا يجذبه عنه جاذب وقد روي في ذلك عنهم الأعاجيب.

أما تطبيقهم لآيات القرآن وسرعة استجابتهم لله وتغلغلها في قلوبهم، فيشهد لذلك كثير من الحوادث التي جرت لهم، لما رمى المنافقون عائشة رضي الله عنها بالإفك اغتر بقولهم نفر من المسلمين منهم مسطح بن أثاثة رضي الله عنه وكان فقيرًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه فحلف أبو بكر أن يقطع عنه ما يصله به، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (سورة النور: ٢٢). قال أبو بكر: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم أرجع إلى مسطح صلته وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا.

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الحديد: ١١).

قال أبو الدحداح الأنصاري: **يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟**، قال: **«نعم يا أبا الدحداح»، قال: أرني يدك يا رسول الله، فناوله يده، قال: إني قد أقرضت ربي حائطي. وله حائط فيه ستمائة نخلة. وأم الدحداح فيه وعيالها، فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي عزَّ وجلَّ، قالت: ربح بيعك يا أبا الدحداح، ونقلت منه متاعها وصبيانها**، وأن رسول الله قال: **«كم عِذقٍ رَدَّاح في الجنة لأبي الدحداح»**[1].

---

(١) رواه مسلم (٩٦٥)، ورواه أحمد (٢٠٨٧٧).

وقرأ أبو طلحة سورة براءة فأتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة التوبة:٤١). فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخًا وشبانًا جهزوني يا بني، فقال بنوه: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، ونحن نغزو عنك فأبى فركب البحر غازيًا فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير، فدفنوه فيها.

وحتى النساء في تلك القرون المفضلة كن سريعات الاستجابة لأوامر الله، قالت أم سلمة ﵂: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب:٥٩). خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها[١].

أما نحن فواقعنا مشين، ووضعنا مهين، قلوبنا قاسية فليست تلين، وأبصارنا تعامت عن الحق المبين، ليت شعري كيف سنقدم على الله يوم يبعث من في القبور، ويحصل ما في الصدور، ويكشف كل مستور، نقرأ آيات الله بكرة ونخالفها عشيًا، ونسمع وعدها ووعيدها ثم نطرح ذلك خلف ظهورنا نسيًا منسيًا.

عِبَادَ اللَّهِ . . . أما ما ورد من الأدلة في السنة عن العمل بالقرآن فمن ذلك ما ثبت في رواية لمسلم أن النبي ﷺ قال: «**كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل**»[٢].

وعن عبد الرحمن بن شبل ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به**»[٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم، وهو صحيح، وجاء أيضًا عن عائشة ﵂.
(٢) رواه مسلم (٤٤٢٥).
(٣) رواه أحمد (١٤٩٨١).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا؟»، قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتهدهد الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ ثم أجابه الملكان بعد ذلك، فقالا للنبي ﷺ: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»[1]. وفي رواية: «والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة».

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن. أو تملأ ما بين السماوات والأرض. والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[2].

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ابشروا ابشروا الستم تشهدون أن لا إله إلا الله واني رسول الله؟»، قالوا: نعم، قال: «فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله عزَّ وجلَّ وطرفه بأيديكم؛ فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً»[3].

عِبَادَ اللَّهِ . . . ولنا أسوة حسنة في حال السلف الصالح ومدى تعظيمهم لكلام الله جل وعلا وهم في ساحات المعارك وعلى الثغور والسهام تتطاير في أجسادهم ودماؤهم تنزف وهم كالجبال الرواسي.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٥)، والرواية بعده في كتاب «الجنائز» (١٢٩٧).

(٢) رواه مسلم(٣٢٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١/ ٤٨١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤).

نزل رسول الله ﷺ في سفر له مكانًا قريبًا من العدو حينما أدركه الليل، فقال: «من يكلؤنا ليلتنا هذه؟» - أي يحرسنا -، فقام عمار بن ياسر وعباد بن بشر فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا في فم الشِّعب»، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال عباد لعمار: أي الليل تحب أن أكفيكه، أوله أم آخره؟، قال: بل اكفني أوله: فاضطجع عمار فنام، وقام عباد يصلي، فأتى رجل من العدو فلما رأى شخص عباد عرف أنه يحرس القوم فرماه بسهم فأثبته في جسمه، فانتزعه عباد فرماه، وظل في صلاته فرماه بسهم آخر فأثبته في جسمه فانتزعه عباد ورماه ثم عاد بالثالث فأثبته في جسم عباد، فانتزعه عباد وألقاه وركع وسجد، وأتم صلاته ثم أيقظ عماراً وقال: اثبت مكاني فقد أصبت، فوثب عمار فلما رآهما الرجل عرف أنهم قد علموا به فهرب، فلما رأى عمار ما أصاب عباداً وما به من الدم قال: سبحان الله، أفلا أيقظتني أول ما رماك؟ قال عباد: كنت في سورة أقرأها فلم أُحبب أن أقطعها حتى أنهيها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فأيقظتك، ووالله لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نَفَسي قبل أن أقطعها»[1].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٣ - ٣٤٤)، «سنن أبو داود» (١٩٨)، وغيرهما من حديث جابر وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود».

# خطبة عيد الفطر المبارك

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الله أكبر ما أهل على المسلمين هلال رمضان، فصاموا نهاره، وقاموا لياليه، يرجون رحمة الله ومغفرته، ويخافون حسابه وعذابه.

الله أكبر ما تفيأ المسلمون رحمة الله في رمضان، فتعرضوا لنفحاتها بإقبالهم على الخير، وإقصارهم عن الشر.

الله أكبر ما دخل المسلمون مدرسة رمضان، فاتقنوا فيها دروس الصبر وقوة الإرادة، والتعالي على الشهوات، وتمرنوا فيها على الصيام والقيام وتلاوة القرآن، ليكونوا أهلاً للجهاد في سبيل الله، الذي هو ذروة سنام الإسلام كما قال نبينا ﷺ .

الله أكبر ما أشـرقت شمس العيد على المسلمين، فاحـتفلوا بإتمام ركن من أركان دينهم العظيم، وعاهدوا ربهم على الاستمرار في طاعته، ومـجانبة معاصيه،إذ علموا أن الله سبحـانه إله في رمضان وفي غير رمضـان. قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٩٨).

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ (سورة الحجر:٤٩-٥٠).

الله أكبـر لو اجتمـعت قلوب المسلمين ـ كلُّ المسلمين ـ على تعظيم شـعائر الله، وائتلفت أفئدتهم عـلى اتباع سنة رسول الله ﷺ، لعزوا في الدنيا وسـادوا، ولسعدوا في الآخرة وفازوا.

الله أكبر لو فطن أغنياء المسلمين لإخوانهم الفـقراء، فواسوهم بشيء من مال الله الذي آتاهم، لعاشـوا جميـعًا فـرحة العيـد، إخوانًا متـحابين، مثـلهم كمثل الجـسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

الله أكبر لو وافقت قلوب المسلمين معنى هذا الهتـاف «الله أكبر» لاستعانوا بربهم وحده على تحـرير الأقصى الأسـير، واستـرداد فلسطينهم المغتـصبة وبقـية أراضـيهم المسلوبة من قبل اليهـود أشد الناس عداوة للذين آمنوا، عليهم ما يسـتحقون من الله، وكفى بالله وليًا، وكفى بالله نصيراً.

أيها المسلمون . . . قد خرجنا من رمضان، بعد أن صـمنا أيامه، وقمنا في لياليه وما ندري ماذا صنع بصيامنا وقيامنا؛ فإن كان قبل منا الصيام والقيام ـ وهو ما نرجوه من ربنا الكريم ـ فقد فزنا بالمغفرة لما مضى والعتق من النار. فينبغي أن نستقبل ما بقي من أعمـارنا بعزم وتصميـم على أن لا نعود إلي العصـيان، وأن لا نسوِّد صـحائف الأعمال بالذنوب والآثام، بعد أن بيضها الله لنا في رمضان.

وإن كان رد علينا صيامنا وقيامنا ـ ونعوذ بمعافاة الله وكرمه من ذلك فقد خبنا وخسرنا، وكنا فمن قال فيه رسول الله ﷺ : **«رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر»**[1] .

أيها الأحبة في الله . . . إن رمضان دورة تدريبية لرفع كفاءة المسلمين في أدائهم العبادات، فمن ارتفع مستوى أدائه العبادات بعد رمضان فقد نجح في هذه الدورة وغفرت ذنوبه الماضية، ودرجة نجاحه تقاس بمقدار تحسن أدائه العبادات.

ومن عاد بعد رمضان إلى ما كان عليه من قبل من لهو وغفلة وتقصير في الواجبات الشرعية، ومقارفة للذنوب والسيئات، ولم يستفد من دورة رمضان شيئًا، وكان فيها من الراسبين، وهو ممن قال فيهم جبريل عليه السلام: **«من ادرك رمضان فلم يُغفر له فدخل النار، فأبعده الله. قل آمين، فقال رسول الله: آمين»**[2] ، فهل تحبون أن تكونوا من الفائزين في دورة رمضان؟ إذاً فاستمروا في طاعتكم لله تعالى ولا تنزلوا بمستوى اجتهادكم.

ولا تنزلوا بمستوى اجتهادكم في العبادة بعد رمضان عما كان عليه حالكم في رمضان.

أيها المسلمون . . . إن العيد مناسبة كريمة لزيادة قوة الأواصر بين المسلمين، وفرصة لتقوية الروابط الاجتماعية: بالتزاور، وتبادل التهاني والدعوات بطول العمر مع التوفيق للطاعات. وابدءوا بالأرحام فصلوا أرحامكم وأحسنوا إليهم واجتهدوا في البر بهم، فإن صلة الرحم سبب في طول العمر وطريق إلى سعة الرزق، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه»**[3] .

---

(١) رواه أحمد (٨٦٣٩)، «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، وابن خزيمة، إسناده حسن، قاله شعيب الأرناؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان (٩٠٧)، وصححه ابن خزيمة (١٨٨٨)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦).

(٣) رواه البخاري(٥٥٢٦)، ومسلم (٤٦٣٨).

واحذروا أن تقطعوا أرحامكم فتعرضوا أنفسكم لغضب الله تعالى وعذابه، وتقيموا بذلك حاجزًا بينكم وبين الجنة، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**»، قال سفيان: «**يعني قاطع رحم**»[1].

وبعد أن تصلوا أرحامكم زوروا إخوانكم المسلمين، فإن زيارة الأخ المسلم في الله تعالى طريق مفتوحة إلى محبة الله تعالى والتقرب منه، لما يترتب عليها من زيادة المحبة والألفة فيما بين المسلمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟، قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[2].

أيها المسلمون... إن أيام العيد أيام بشر وسرور، وفرحة وحبور، فاستديموا نعمة الله عليكم بشكرها ولا تتعرضوا لزوال النعم بالذنوب والمعاصي. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧).

وقال جل وعلا: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل: ١١٢).

فاحذروا ـ يا عباد الله ـ من المعاصي في أيام العيد وغيرها، واجتنبوا الاختلاط بالنساء غير المحارم ومصافحتهن، والنظر إلى زينتهن، ولا ترتادوا أماكن اللهو ومواقع الفساد، واذكروا إخوانًا لكم من المسلمين في ديار كثيرة، حرموا نعمة الأمن، وآخرين حرموا نعمة الرخاء وسعة الرزق.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٢٥)، ومسلم (٤٦٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٧).

واعلموا أن الله يبتلي عباده بالفقر والغنى، والأمن والخوف، فمن شكر الله على نعمه، وصبر على بلائه كان من الفائزين.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن لكم إخوة يتعرضون للقتل والتشريد والتعذيب وهتك الحرمات وانتهاك الأعراض في أماكن شتى من بقاع الدنيا وهم بحاجة ماسة إلى نصرتكم بما تستطيعون وما أفاء الله عليكم من الخيرات فإياكم من الخذلان، واحذروا من الشح والبخل والتكالب على الدنيا فإنها سبب من أسباب الهلاك، قال ﷺ: **«ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»**[(١)].

وعليكم بالصدقة لإخوانكم من الزكوات المفروضة ومن صدقة التطوع، فإن ذلك واجب عليكم ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره، حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد»**[(٢)].

ومن حديث جابر بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ..»**[(٣)].

عِبَادَ اللهِ . . . اجتهدوا بعد صيام شهر رمضان في صيام الست من شوال لتكون لكم مع رمضان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها. فصيام رمضان بصيام عشرة أشهر، وصيام ست من شوال بصيام شهرين، فمن داوم عليها كان كمن صام الدهر.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»**[(٤)].

---

(١) حسن، رواه أحمد، وأبو داود، وأبي طلحة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٦٠).
(٢) صحيح، رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: «صحيح الترغيب» (٨٤٩).
(٣) «الصحيحة» (٧٧٠).
(٤) رواه مسلم (١١٦٤).

# الغيبة

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

**أما بعد** ... فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** ... حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن عادة سيئة وخلق ذميم انتشرت بين قطاع عريض من الناس إلا من رحم الله ألا وهي (الغيبة) وهي من كبائر الذنوب، أجارنا الله وإياكم من ذلك.

**تعريفها:** قال الجرجاني: الغيبة ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه. وقال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خلقه، أو ماله.

وللغيبة بواعث كما بينها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فقال: إن الإنسان قد يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه مع علمه أن المغتاب برئ مما يقولون أو فيه بعض ما يقولون، لكن يرى أنه لو أنكر عليهم لقطع المجلس واستثقله أهل المجلس، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب ديانة وصلاح ويقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدًا إلا بخير، ولا أحب الغيبة والكذب وإنما أخبركم بأحواله، والله إنه مسكين ورجل جيد، ولكن فيه كذا وكذا، وربما يقول دعونا منه، الله يغفر لنا وله وقصده من ذلك استنقاصه، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب سخرية ولعب ليضحك غيره بمحاكاته واستصغار المستهزأ به، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تعجب فيقول: تعجبت من فلان كيف لا يفعل كيت وكيت؟!، ومن فلان كيف فعل كيت وكيت؟!، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب الاغتمام، فيقول: مسكين فلان غمني ما جرى له وما تم له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف، وقلبه منطوٍ على التشفي به، ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر وقصده غير ما أظهر».

**وأما حكم الغيبة:** فقد عدها الإمام ابن حجر من الكبائر وقال: الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة: لكنها تختلف عظمًا وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النفس بقوله ﷺ : **«كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»**، والغصب والقتل كبيرتان إجماعًا، فكذا ثَلْمُ العرض[1].

وأما علاج هذا المرض الخطير والداء الفتاك، فلا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنه تعرض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرض لهجرم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفق للعلاج.

(١) «الزواجر»(٣٧١).

***وأما الأدلة من كلام الله عزَّ وجلَّ على تحريم الغيبة، فمنها:***

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات:١٢) .

وقوله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (سورة النساء:١٤٨) .

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (سورة يوسف:٧٧) .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة يوسف: ٣٠) .

***وأما الأدلة من السنة على تحريم الغيبة:*** فمنها ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها، قالت: **قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»، قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا»**[1] .

## الخطبة الثانية:

الحمد لله جعل اللسان للذكر، وجعل لمن حفظه الفوز بالرضوان، وجعل ذكر الله خفيف على اللسان ثقيل في الميزان؛ نحمده سبحانه الذي أرسل رسوله بأفضل البيان وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته الذين عاشوا في خير زمان ومكان . . أما بعد:

---

(١) رواه أحمد (٢٥٠٣٢)، وأبو داود (٤٨٧٥)، واللفظ له، «صحيح الجامع» (٥١٤٠).

عبادَ الله . . . عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلاً فقالوا: لا يأكل حتى يُطعَم[١]، ولا يرحل حتى يُرْحل له، قال النبي ﷺ «اغتبتموه»، فقالوا: يا رسول الله إنما حدثنا بما فيه، قال: «حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه»[٢]، والمعنى: أي كافيك بتعداد أوصاف ثابتة فيه، ولكن يكره ذكرها ويجب سترها، ففيه الترهيب عن ذكر أخيك بما يكره مطلقًا.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟، قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[٤]، أي: قلت فيه البهتان وهو الباطل.

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عِرْض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٥].

وعن أبي بكرة ﷺ قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فيعذب في البول، وأما الآخر فيعذب في الغيبة»[٦].

وأما ما ورد من آثار السلف في الغيبة وعظم خطورتها، فمنه ما قاله عمر بن الخطاب ﷺ: «عليكم بذكر الله تعالى؛ فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء»[٧].

---

(١) أي: أنه ضعيف إلى درجة احتياجه إلى مساعد يطعمه، وخادم يوكله، وساق يسقيه، ولا يسافر إلا إذا حمله آخر أو ركب على دابة.

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٠٦): رواه الأصبهاني بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٨)، «صحيح الجامع» (٥٢١٣).

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٥) رواه الترمذي (١٩٣١)، واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن، «صحيح الجامع» (٦٢٦٢).

(٦) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥ - ٣٦)، وابن ماجه (١/ ٣٤٩)، واللفظ له، «صحيح الجامع» (٢٤٤١).

(٧) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٥٢)

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد»[(١)]، وقال أيضًا ـ رحمه الله ـ: «يا ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك؛ وأحب العباد إلى الله من كان هكذا»[(٢)].

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: «اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر»[(٣)].

وعن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ قال: «قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت»[(٤)].

عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن هناك غيبة مباحة لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب سنوردها ـ بإذن الله ـ مختصرة وهي مبسوطة بأدلتها الشرعية الصحيحة في رياض الصالحين باب (بيان ما يباح من الغيبة): ومنها: التظلم كأن يقول للسلطان والقاضي: ظلمني فلان بكذا، ومنها: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب كأن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

---

(١) «الإحياء» (٣/ ١٥٢).

(٢) «الإحياء» (٣/ ١٥٢).

(٣) «الأذكار» للنووي (٣٠٤).

(٤) انظر «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٤١).

وتباح الغيبة في الاستفتاء فيقول للمفتي: ظلمني فلان كأن يسميه باسمه والأحوط أن يقول: ما تقول في رجل أو زوج أو شخص كان من أمره كذا، والتعيين جائز كما في حديث هند المتفق عليه ـ ومما يجوز جرح المجروحين من الرواة والشهود وهو واجب للحاجة، ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه أو معاملته، أو مجاورته، ويجب على المشاوَر أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا، أو مغفلاً، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به، وتجوز غيبة المجاهر بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

وتجوز الغيبة في التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى، ومنها إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه.

وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك».

اللهم احفظ ألسنتنا من قول الزور وشهادة الزور، واجعلنا ممن يقول خيرًا أو يصمت. اللهم اجعلنا ممن يحسن الظن بعبادك إنك جواد كريم، اللهم احفظ لنا جوارحنا وسخرها في طاعتك وما يقرب إليك .

# فضل الصحابة (١)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار، تذكرة لأولي القلوب والأبصار، وتبصرة لذوي الألباب والاعتبار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاهم فزهدهم في هذه الدار، وفقههم للدأب في طاعته والتأهب لدار القرار، والحذر مما يسخطه ويوجب دار البوار. أحمده أبلغ حمدٍ وأزكاه وأشمله وأنماه.

وأشهد أن لا إله إلا الله البر الكريم، الرؤوف الرحيم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، الهادي إلى صراط مستقيم، والداعي إلى دين قويم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين وصحابته أجمعين. أما بعد:

عباد الله . . . حديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن فضل الصحابة - رضوان الله عليهم - نسأل الله جلَّ وعلا أن يبعثنا وإياكم وإياهم مع الصديقين والشهداء والنبيين والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اعلموا - رحمكم الله تعالى - أن أفضل الخلق هو نبينا محمد ﷺ ثم بقية أولي العزم ثم الرسل ثم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ثم بعد الأنبياء أفضل البشر صحابة رسول الله ﷺ، وإنما فضلوا على غيرهم لحق صحبتهم للرسول ﷺ، ولما أظهروه - رضوان الله عليهم - من الأمورالعظيمة والتي كانت سببًا رئيسًا - بعد توفيق الله - لنصرة هذا الدين ونشره في سائر المعمورة - فقد بذلوا ﷺ - النفس والنفيس والمهج والأرواح والأموال لنشر هذا الدين والدفاع عن رسالة محمد ﷺ.

فيجب على كل مسلم أن يعرف قدرهم والمنزلة التي بوأهم الله إياها مما دلت عليه نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ويجب على كل مسلم أن يكون سليم القلب واللسان لأصحاب الرسول ﷺ سليم القلب من الحقد والبغض والاحتقار والعداوة والحسد والكراهية.

سلم اللسان من الطعن والسب واللعن والشتم والوقيعة فيهم، يعتقد فضلهم، ويعرف سابقتهم ومحاسنهم، ويترحم عليهم ويستغفر لهم.

قال الله تعالى واصفًا لهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٠).

وقال عنهم أيضًا: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح: ٢٩).

وأخبر سبحانه وتعالى، عن رضاه عنهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (سورة الفتح: ١٨).

والأحاديث الدالة على فضل الصحابة وعلو منزلتهم كثيرة جدًا منها ما رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**، ومعناه: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعامه أو نصيفه. وفي حديث عمران بن الحصين ﷺ قال: **قال رسول الله ﷺ: «خيرًا أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا ـ ثم إن بعدكم قومًا يَشهدون ولا يُستشهدون، ويَخونون ولا يُؤتمنون، ويَنذرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِمن»**[1].

(١) رواه البخاري، ومسلم.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على نبي الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته الطيبين، الذين جعلهم الله أئمة يقتدى بهم إلى يوم الدين . . أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما استحقوا هذه الفضيلة بكونهم خير الناس إلا لأنهم أقرب الناس من رسول الله ﷺ وألصقهم به، لتمسكهم بشريعته وبمكارم أخلاقهم التي كانت تصونهم عن الرذائل وتجنبهم النقائص والدنايا.

والصحابة ﷺ جمعوا الصفات الشريفة والسجايا الكريمة. جادوا بالنفس والنفيس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر غير خائفين ولا وجلين، كيف لا وقد اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وتحمل شرائعه؛ فهم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، فجاهدوا في الله حق جهاده، ونشروا على ربوع العالم رايات الإسلام الخفاقة فكانوا سباقين للناس في كل خير، في ميدان الجهاد وميدان الدعوة، وفي ميدان البذل والعطاء للإسلام وكثرة النوافل والعبادة، فرضي الله عنهم. وخذ من أخبارهم ليكون لك اقتداء بهم:

**فأما الجهاد:** فقد نصروا رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه، وبايعوه على بذل أنفسهم في سبيل الله، أخرج البخاري عن أنس ﷺ قال: **خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم. يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من التعب والجوع قال ﷺ: «اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فقالوا ـ رضي الله عنهم ـ مجيبين له:**

**نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً**

وفي غزوة بدرٍ الكبرى لما علم الرسول ﷺ عن مسيرة قريش ليمنعوا غيرهم، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو

**فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول كما قال بنوا إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونها حتى نبلغه. فقال له الرسول ﷺ خيراً ودعا له. ثم قال الرسول ﷺ: «أشيروا عليَّ أيها الناس»، فوقف سعد بن معاذ وقال: والله لكأنك تعنينا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، فقال سعد: آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تَقرُّ به عينُك فَسِر بِنا على بركة الله.**

هكذا كانوا ـ رضوان الله عليهم ـ أصحاب عزائم تحفزهم إلى المعالي لطلب الأمور العوالي نصر أو شهادة، لا يهابون ولا يخافون، يقدمون إلى الجهاد في سبيل الله والذبِّ عن حياض الدين بكل ما أوتوا من قوة فيرخصون الحياة للموت شهداء ويسعون له حثيثًا تصديقًا لعهدهم الذي عاهدوا عليه الله.

كما قال تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣).

يقول ابن سعدي في تفسير هذه الآية: أنهم وَفُّوا بعهدهم مع الله وأتموه وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبلوا نفوسهم في طاعته، وأنهم لم يبدلوا كما بدل غيرهم ولم يتغيروا؛ فهؤلاء هم الرجال على الحقيقة وهم الموصوفون بالصدق واستواء ظاهرهم بباطنهم.

# فضل الصحابة (٢)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عِبَادَ اللَّهِ . . . موضوعنا في هذا اليوم - بإذن الله - فيما تبقى لنا من الحديث عن فضل الصحابة رضي الله عنهم، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال في غزوة بدر لما دنا المشركون من المسلمين: **«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، فقال عمير بن الحمام: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟!، قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولة بخ بخ؟»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءَ أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل**

**منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه**[1].

إنه أنموذج حيٌّ وصادقٌ لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من البلاء الحسن في الذود عن الإسلام والتصديق لخبر الله ورسوله ﷺ والطمع فيما عند الله من الثواب للمجاهدين وإن لنا فيهم أسوة وهم لنا قدوة.

أما بذلهم الأموال لخدمة دين الله واستغلالها في مرضاة الله للجهاد في سبيل الله والتصدق على إخوانهم، وجعل أموالهم مسخرة لأهداف الخير والإصلاح فأشهر من أن يذكر إذ هم أهل اليد الطولى في ذلك، ولم ولن يسبقهم أحد إلى ذلك!!

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مالُ أبي بكر»**، فبكى أبو بكر، وقال: **هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.**

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: «جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال: فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول: **«ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»، يردد ذلك مراراً**[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أصاب عمر بخيبر أرضًا فأتى النبي ﷺ فقال: **أصبت أرضًا لم أصب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟، قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»، فتصدَّق عمر رضي الله عنه، أنه لا تُباع أصلها، ولا تُوهب ولا تُورث، في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منه بالمعروف أو يطعم صديقًا غير متمولٍ فيه**[3].

---

(١) رواه مسلم (١٩٠١).

(٢) رواه أحمد (٢٠١٠٧)، والترمذي (٣٧٠١)، «المشكاة» (٦٦٤).

(٣) رواه البخاري (٢٧٧٢)، ومسلم (١٦٣٣).

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه، قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (سورة آل عمران:٩٢). قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: **يا رسول الله: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله،** قال: فقال رسول الله ﷺ: **«بخ ذلك مالٌ رابح»،** وزاد البخاري قوله: **«وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»،** فقال أبو طلحة: **افعل يا رسول الله،** فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[1].

هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم باذلين أموالهم في أوجه الخير والنفع، من الجهاد في سبيل الله والتصدق على الفقراء والمساكين والعطف على المحتاجين والأقارب.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، وجعل الصحابة من أفضل عباده بعد النبيين، فهم الأمناء على حمل الرسالة وهم من خير القرون أجمعين، وهم الأدلاء على التجارة الرابحة إلى يوم الدين .. أما بعد:

عباد الله ... وإن سألتم عن سبقهم في المسابقة إلى الطاعات، وحرصهم على الإكثار من العبادة فهم كما أخبر الله عنهم. يقول الله تعالى: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (سورة الفتح:٢٩).

فقد وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عزّ وجلّ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب وهي الجنة المشتملة على فضل

(١) رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

الله، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال السدي: «الصلاة تحسن وجوههم ولذا فالحسنة نور في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس. فهم رهبان بالليل يحيونه بالطاعة والصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن، أُسودٌ بالنهار وسيوف على أعداء الله تعالى».

فها هم الصحابة رضي الله عنهم أهل الخير والفضل والصحبة، خير الأمة بعد نبيها ﷺ، يجب علينا أن نترضى عنهم ونعرف قدرهم ونذكرهم بخير ونحبهم، فإن حبهم دليل على إيمان القلب ،وهو دليل خير، فإن الإنسان يحشر مع من أحب، ولذلك حبهم دين، يحشر مُحبُّهم معهم، وحسبك أن تحشر في زمرة صحابة رسول الله ﷺ. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«المرء مع من أحب»**[1]، وفي رواية قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟، قال: **«المرء مع من أحب»**.

عِبَادَ اللَّهِ . . . ليكن في الصحابة رضي الله عنهم أسوة وقدوة لنا في تدبير شئوننا وجميع أمورنا في العبادة والجهاد والسلوك والأخلاق، فإن ذلك فلاح وصلاح، وخير لنا في الدنيا والآخرة.

ومما يُؤسف له، بل مما يُدمي القلوب كمدًا ما ظهر في الأزمنة المتأخرة من نيل من صحابة رسول الله ﷺ، وهذه طائفة من أقوال العلماء فيمن يتعرض للصحابة رضي الله عنهم بسوء.

قال أبو زعة الرازي ـ رحمه الله ـ: «إذا رأيت الرجل ينتقص من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة، أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤١).

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحدٍ منهم بعيبٍ، ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع»[1].

وقال الإمام أبو نعيم ـ رحمه الله ـ: «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم، ويحفظ عليهم ما يكون في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه»، ويقول أيضًا: «ولا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين».

وانظر إلى وصف الصحابة إذ يصفهم أحد الشعراء بقوله:

يا باغي الإحسان يطلب ربه ... ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدي الصحابة والذي ... كانوا عليه في الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا ... خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
درجوا على نهج الرسول وهديه ... وبه اقتدوا في سائر الأحوال

اللَّهم ارزقنا حب نبيك وحب صحابته، وارزقنا اتباع سيرتهم، ونهج طريقتهم، واحشرنا في زمرتهم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

---

(١) «اعتقاد أهل السنة في الصحابة» لمحمد الوهيبي، (ص٤٩)، نقلاً عن «الصواعق المحرقة»، (ص٣٨٧).

# الفتنة

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . موضوعنا في هذا اليوم ـ بإذن الله تعالى ـ عن الفتنة، أجارنا الله وإياكم منها إنه سميع مجيب.

وأول ما نبدأ به ـ بإذن الله ـ تعريف ذلك عند أهل اللغة، فالفتنة كما قال ابن منظور: قال الأزهري وغيره: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديئ من الجيد، وقال ابن الأعرابي: الفتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال، والفتنة:

الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء، والفتنة: الإحراق بالنار، وقيل أيضًا: الفتنة: الظلم، وقولهم: فلان مفتون في طلب الدنيا أي غلا في طلبها، واصطلاحًا كما قال الجرجاني: الفتنة: هي ما يبين به حال الإنسان من الخير والشر.

والفتنة كما قال الراغب تكون من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان ذلك من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان كما في قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (سورة البقرة:١٩١). وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة البروج:١٠). وقوله تعالى: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (سورة الصافات:١٦٢). أي بمضلّين[1].

والفتن - يا عباد الله - أنواع، ولكل نوع علاج، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - الفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ (سورة النجم:٢٣).

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال. وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة.

(١) «المفردات» (٣٧٢).

ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في دِقِّ الدين وجلِّه ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام.

أما النوع الثاني من الفتنة ففتنة الشهوات؛ وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ ﴾ (سورة التوبة:٦٩). أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق: هو النصيب المقدر، ثم قال: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ (سورة التوبة:٦٩). فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات. فأشار ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني: فسق العمل. فالأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون: «احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه»، وكانوا يقولون: «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون».

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والخسران للعصاة المخالفين لنهج سيد المرسلين . . أما بعد:

عباد الله . . . اعلموا أن أصل كل فتنة إنما هو تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل. فالأول أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة، ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (سورة السجدة:٢٤). فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وبكمال العـقل والصبر تدفع فـتنة الشهوة، وبكمال البـصيرة واليـقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان[1].

والأدلة على الفتنة كثيرة في كـتاب الله، فمنها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٧-٢٨).

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الصافات: ٦٢-٦٣).

وقوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٤٧-٤٨).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤-٢٥).

عباد الله . . . وأمـا ما ورد من السنـة في مسـألة الفـتنة، فمنـها مـا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشرَّف لها تستشرفه؛ فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به»**[2]. وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«اثنان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب»**[3].

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢/ ١٦٠ - ١٦٢).
(٢) رواه البخاري، «الفتح١٣» (٧٠٨١)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٦).
(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٢٧ - ٤٢٨)، أورده الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٤٧١، ٣١٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع. يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٣].

قال النووي في معنى هذا الحديث: فيه الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب[٤].

وعن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة وقوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرتد على فُوْقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يَدْعُون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم**»، فقالوا: **يا رسول الله ما سيماهم؟**، قال: «**التحليق**»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢)، واللفظ له، والترمذي (٢١٩١).
(٢) رواه البخاري، «الفتح١٣» (٧١٢٩)، ومسلم (٥٨٨).
(٣) رواه مسلم (١١٨)، واللفظ له، والترمذي (٢١٩٥).
(٤) «شرح النووي» على «صحيح مسلم» (١/ ٤١٠).
(٥) رواه أبو داود (٤٧٦٥)، وأصل الحديث في البخاري، «الفتح١٠» (٧٥٦٢)، وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٨٩): وهو حديث صحيح.

## الخطبة الأولى:

الحمد لله المنان الذي أكرمنا بالقرآن، المعجزة المستمرة مع تعاقب الأزمان، وجعله ربيعًا لقلوب أهل البصائر والعرفان، لا يخلق على كثرة الرد وتغاير الأيام، ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان، وضمن حفظه فهو محفوظ بحفظ الله من الزيادة والتبديل والنقصان. أحمده على ذلك وعلى غيره من نعمه التي لا تحصى وخصوصًا نعمة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ننال بها الغفران، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخير الأنام، صلى الله وسلم على رسوله وخليله وخيرته من خلقه نبينا محمد الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وهداهم به إلى صراط مستقيم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده.

كان أتقى الناس وأخشاهم لله، يقرأ القرآن حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تبعوه واقتدوا به فكانوا لا يفترون عن قراءة كتاب الله، ولا يملون من مطالعته، ويتدارسونه بينهم، ويوصي بعضهم بعضًا بالتزود من الأعمال الصالحة ﷺ، فقد كانت حياتهم قدوة للمقتدين وسراجًا للسائرين. أما بعد:

عباد الله . . . أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن الكريم على محمد ﷺ رحمة للعالمين. وقد اقتضت حكمته سبحانه أن يكون نزوله في أعظم الأزمان وأشرف الشهور: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥). وكان نزوله في أعظم ليلة من هذا الشهر المبارك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (سورة القدر: ١-٣).

▪ بعث به رسوله للبلاغ ونشر الدين، فقال: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٩).

▪ وتحدى الثقلين أن يأتوا بمثل هذا القرآن: ﴿ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (سورة الإسراء: ٨٨).

▪ وأنزل فيه من الوعيد الشديد ما يهز القلوب: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (سورة طه: ١١٣).

▪ وبين عظيم شأنه وجلالة قدره حتى أنه لو نزل على الجبال الصم لتصدعت: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (سورة الحشر: ٢١).

▪ وضرب به من كل مثل: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٢٧).

▪ وقص به على الناس قصص السابقين: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (سورة يوسف: ٣).

▪ وجعله ميسرًا للحفظ والفهم: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (سورة القمر: ١٧).

▪ وأمر رسوله أن يذكِّر به المؤمنين: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (سورة ق: ٤٥).

▪ وأن يخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام: ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سورة إبراهيم: ١).

▪ وقد فضل الله القرآن على غيره من الكتب وجعله ناسخًا لها ومهيمنًا عليها فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (سورة المائدة: ٤٨).

▪ وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الأجر العظيم المترتب على قراءته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**[(١)].

▪ والفرق بين البيت الذي يتلى فيه كتاب الله والبيت الذي لا يتلى فيه كالفرق بين الحي والميت[(٢)].

أما قارىء القرآن والقائم به المتعاهد له فهو في المقام الرفيع والمنازل العالية، فقد قال رسول الله ﷺ: **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران»**[(٣)]. وقارئ القرآن يرتقي في درج الجنة بقدر اهتمامه بكتاب الله. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»**[(٤)].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن القرآن شفيع لأصحابه يحل عليهم رضوان الله ويأخذ بأيديهم إلى جناته. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**[(٥)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«القرآن شافع مُشفَّع وماحِلُ مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»**[(٦)].

---

(١) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٤٦٩).
(٢) رواه مسلم (٧٧٩).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني، «صحيح الجامع» (٨١٢٢).
(٥) رواه مسلم (٩٩٧).
(٥) رواه ابن حبان، والبيهقي، انظر «صحيح الجامع» (٤٤٤٣).

بل إن السورة من القرآن لتشفع لحاملها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾»[١].

ويُحاجُّ القرآن عن حامله ويتقدم بين يديه يوم القيامة، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تَقدُمه سورة البقرة وآل عمران تحاجَّان عن صاحبهما»[٢].

ولايزال القرآن الكريم يطلب المزيد لصاحبه من نعم الله حتى يلبس حلة الكرامة وتاجها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يجئ القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة»[٣].

عباد الله . . . إن حملة القرآن القائمين عليه التالين له هم أهل الله وخاصته فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تعالى أهلين من الناس»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[٤]. ما أعظمها من منزلة وما أكرمه من جوار، وما أرفعه من مكان: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (سورة الذاريات: ١٥-١٨).

كانوا يترنمون بآيات الله والناس نائمون، وتنحدر دموعهم والناس يضحكون، ويعملون أفكارهم والناس في شهواتهم غافلون وفي لذاتهم غادقون: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٦).

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن، وانظر: «صحيح الجامع» (٢٠٩١).
(٢) «صحيح مسلم» (٩٩٨).
(٣) رواه الترمذي (٢٩١٥)، «صحيح الجامع» (٨٠٣٠).
(٤) «صحيح الجامع» (٢١٦٥).

أما معلِّم القرآن ومتعلِّمه فإنهما أفضل الناس وأرفعهما مكانة، فعن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

فشارك - يا عبد الله - في تعلم القرآن وتعليمه، ورغب أولادك وجيرانك وأقاربك من ذكور وإناث في المشاركة في حلقات تحفيظ القرآن، واعلم أنه ينبغي لقارئ القرآن أن يخلص في قراءته ويبتغي بذلك وجه الله تعالى، ويحفظ عمله عن المراءات أو أن يقصد به عرضًا من أعراض الدنيا الفانية فتكون قراءته وبالاً عليه. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأوا القرآن، وابتغوا به الله تعالى؛ من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة رجل استشهد، فأتى به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، لكنك قاتلت لأن يُقال: فلان جرئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليُقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ...**»(٣).

فالحذر الحذر - يا عباد الله - من الرياء.. ولتكن القراءة خالصة لوجه الله تعالى رغبة فيما عنده من الثواب وخوفًا من العقاب، ولابد من القراءة بتدبر وقد حث على ذلك رب العزة والجلال فقال: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد: ٢٤). وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: ٢٩).

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، وحسنه الألباني، «صحيح الجامع» (١١٦٧).

(٣) رواه مسلم (١٩٠٥).

# قيام الليل

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي يمحو الزلل ويصفح، ويغفر الخطأ ويسمح، كل من لاذ به أفلح، وكل من عامله يربح، أغنى وأفقر، وربما كان الفقر أصلح، فكم من غني طرحه الأشر، والبطر أقبح مطرح، وأشهد أن لا إله إلا الله الغني الجواد مَنّ بالعطاء الواسع وأفسح، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي جاد بنفسه وماله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد: عباد الله حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن قيام الليل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (سورة المزمل:١-٨).

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: وقوله: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: قم الليل يا محمد كله إلا قليلاً منه، ﴿ نِّصْفَهُ ﴾يقول: قم نصف الليل، ﴿ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾يقول أو زد عليه، خيّره الله ـ تعالى ذكره ـ حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان، حتى خفف ذلك عنهم. قال المروزي:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لما نزلت أول المزمل، كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة».

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم، حتى نزلت ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (سورة المزمل:١٩). حتى بلغ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (سورة المزمل: ٢٠).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله عزَّوجلَّ إلى سماء الدنيا كل ليلة حتى يمضي ثلث الليل الأول فيقول: انا الملك انا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر»[1]. وهذا يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: أي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مهلٍ وبيانٍ مع تدبر المعاني.

قال مجاهد: أحب الناس في القراءة إلى الله أعقلهم عنه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تهذُّوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة». والدقل: ردئ التمر ويابسه.

وأما قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال الحسن رضي الله عنه: العمل به، وفي رواية قال: ثقيلاً في الميزان يوم القيامة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن قيام الليل وطول التهجد فضل من الله يمن به على من يشاء من عباده وقد مَنَّ الله به على عبد الله بن عمر فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فعن سالم عن أبيه عبد الله رضي الله عنه قال: «كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت ان ارى رؤيا فاقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاماً شاباً وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرايت في النوم كان ملكين اخذاني فذهبا بي

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار قال: فلقينا ملك آخر فقال: لَمْ تُرَعْ، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»، فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً»[(١)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»[(٢)].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن في الجنة غرفًا تُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام»[(٣)].

## الخطبة الثانية:

الحمد لله المطلع على ظاهر الأمر ومكنونه، العلام بسر العبد وجهره وظنونه أحسن كل شيء خلقه وخلق الإنسان من علق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وأتباعه وسلم تسليمًا كثيراً . . أما بعد:

عِبَادَ اللَّهِ . . . عن عبد الله بن قيس أنه سمع عائشة رضي الله عنها وذُكِر عندها قوم يزعمون أنهم إذا أدوا الفرائض لا يبالون أن ينزووا. فقالت: «لعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ولكنهم قوم يخطئون بالنهار. وإنما أنتم من نبيكم، ونبيكم منكم، فما رأيت النبي ﷺ ترك قيام الليل إلا أن يمرض فيصلي وهو جالس ثم نزعت (أي جاءت) بكل آية في القرآن يذكر فيها قيام الليل»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري «فتح الباري» (جـ٣، ص٦).

(٢) رواه مسلم (٧٥٧).

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٤)، وابن حبان (١٩٨٤)، «صحيح الجامع» (٢١٢٣).

(٤) رواه أحمد (٢٦١٧٤)، والمروزي في «قيام الليل»، وانظر «صحيح أبي داود» (١٣٠٧).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك فلما رأيته خاليًا قلت: يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ قال: «بخ بخ لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتلقى الله لا تشرك به شيئًا، أوَلا أدلك على أبواب الجنة: الصوم جنة، والصدقة برهان، وقيام الرجل في جوف الليل يكفر الخطيئة». وتلا هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(١)] (سورة السجدة: ١٦).

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأةً قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ـ أو صلى ـ ركعتين جميعًا، كتبا من الذاكرين والذاكرات»[(٣)].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[(٤)].

عِبَادَ الله . . . اعلموا أن الصالحين قد حرصوا على وقتهم أشد من حرصنا على أموالنا فهم لا يشغلونه إلا بطاعة أو ما يعين على الطاعة، ومن ذلك النوم المبكر حتى يستطيعوا قيام الليل، فعن أبي برزة قال: «كان النبي ﷺ يكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها»[(٥)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٣/٣٠٣).

(٢) رواه أبو داود (١٦١٠)، والنسائي وحسنه الألباني، «صحيح الجامع» (٣٤٩٤).

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني، «صحيح أبي داود» (١١١١).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٩)، وحسنه الألباني. «صحيح الجامع» (٤٠٧٩).

(٥) رواه البخاري (٥٤٧)، ومسلم (٦٤٧).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قيلوا فإن الشيطان لا يقيل»[1].

وعن مجاهد قال: «بلغ عمر رضي الله عنه أن عاملاً له لا يقيل، فكتب إليه: اما بعد: فَقِلْ، فإن الشيطان لا يقيل».

عِبَادَ اللهِ . . . إن الدين يسر، وما جعل الله عليكم في الدين من حرج، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»[2].

وفي (الزهد) لابن حنبل عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «يا أيها الناس إني لكم ناصح وإني عليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير، يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق».

وكانت امرأة مسروق بن عبد الرحمن ـ رحمهما الله تعالى ـ تقول: «والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له، وكان ـ رحمه الله ـ إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسًا ولا يترك الصلاة وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف».

وعن داود الطائي أنه قال: «إنما الليل والنهار مراحل ينزل الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر قريب والأمر أعجل من ذلك فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاضٍ من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك».

---

(١) حسن، انظر: «الصحيحة» (١٦٤٧).

(٢) رواه البخاري، «فتح الباري» (١/ ٨٧).

# القتـــل

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد ... فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله ... حديثنا اليوم بإذن الله عن إحدى كبائر الذنوب ألا وهي القتل أجارنا الله وإياكم من ذلك. ومعنى القتل لغة: إزهاق الروح واصطلاحًا: كما قال الجرجاني: «القتل: فعل يحصل به زهوق الروح»[1].، وقال الراغب: «أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك، يقال: قَتْلٌ، وإذا اعتبر بفوت الحياة قيل: موت وفوت»[2].

---

(١) «لسان العرب» (٥/٣٥٢٧-٣٥٣٠).

(٢) «المفردات» (٢٩٣)، وعنه أخذ ابن المناوي، انظر: «التوقيف» (٢٦٨).

وأما حكم القتل فقال عنه ابن حجر: قتل المسلم أو الذمي المعصوم عمدًا أو شبه عمد من الكبائر... وللقتل أحكام كالقود والدية، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة:١٧٨). وعد من الكبائر أيضًا قتل الإنسان لنفسه، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (سورة النساء:٢٩)[١]، قال: وعد ذلك كبيرة هو صريح الآية، ويدخل فيه وما يترتب عليه من الوعيد قتل المهدر لنفسه كالزاني المحصن، وقاطع الطريق المتحتم قتله[٢]، أما الإمام الذهبي فقد ذكر القتل باعتباره الكبيرة الثانية بعد الشرك، وقد أدخل في ذلك قتل الذمي المعاهد[٣].

والأدلة الواردة من كلام الله عزَّ وجلَّ في القتل كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٩٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ٩٢-٩٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣).

---

(١) «الزواجر» (٤٨٢).

(٢) «الزواجر» (٤٩٢).

(٣) «الكبائر» (١٣، ١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٨).

وأما الأدلة من السنة الواردة في القتل فمنها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور - أو قال - وشهادة الزور»[1].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «إني لمن النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله، ولا ننهب، ولا نعصي، فالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئًا كان قضاء ذلك إلى الله»[2].

وعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما يحدث قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى قوم من جهينة، قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»، قلت: يا رسول الله إنه إنما كان متعوذًا، قال: قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟، قال: فما زال يكررها علي حتى تمنيت اني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[3].

وعن الأخنف بن قيس قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني ابو بكرة فقال: أين تريد؟، قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل. فما بال المقتول؟! قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»[4].

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٧١)، واللفظ له، ومسلم (٨٨).
(٢) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٧٣)، واللفظ له، ومسلم (١٧٠٩).
(٣) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).
(٤) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٧٥)، واللفظ له، ومسلم (١٨٨٨).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله جعل في إقامة الحدود أمانًا للخائفين، وجعل تنفيذها من سمات الموحدين الصادقين، سبحان من حكم فعدل، وسلم دماء عباده فضرب على ذلك أروع مثل، بعث الغراب يواري سوأة أخيه من الوحل، فأين ـ يا عباد الله ـ سفاكي الدماء بغير حق من الخوف من الله عزً وجلً. أما بعد:

عباد الله . . . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار»، فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل: يا رسول الله، الذي قلت: «إنه من أهل النار»، فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات، فقال النبي ﷺ: «إلى النار»، فكاد بعض الناس أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك... ، الحديث**[1] .

وعن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بَدَرَني عَبْدِي بِنَفْسِه، حَرَّمتُ عليه الجنةَ»**[2] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها»**[3] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«لزوال الدنيا أهون عن الله من قتل رجل مسلم»**[4] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«من قتل نفساً معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»**[5] ، المعاهد: من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم.

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١١» (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١)، واللفظ له.
(٢) رواه البخاري، «الفتح٣» (١٣٦٤)، واللفظ له، ومسلم (١١٣).
(٣) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٦٧)، واللفظ له، ومسلم (١٦٧٧).
(٤) رواه النسائي (٧/ ٨٢)، وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٢٠٨): حديث حسن.
(٥) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٩١٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تثغبُ دماً يقول: يارب قتلني هذا، حتى يدنيه من العرش»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحَرَمِ ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِبُ دم امرئ بغير حق لِيُهرِيق دمه»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبةٍ، أو يدعو إلى عصبةٍ، أو ينصر عصبةٍ، فَقتِل، فَقِتْلَةٌ جاهلية، ومن خرج على امتي، يضرب بَرَّها وفاجرَها ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني، ولست منه»[(٤)].

ومن آثار السلف الواردة في ذم القتل ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم،ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»، قال:ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك! وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[(٥)].

وعن سعيد بن جبير قال: «اختلف أهل الكوفة في هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٩٣). فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: لقد أنزلت آخر ما أنزل. ثم ما نسخها شيء»[(٦)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٤، ١٥)، والترمذي (٣٠٢٩)، وقال: حديث حسن، وقال محقق «جامع الأصول»: إسناده قوي (٢/ ٩٨).
(٢) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٨٢).
(٣) رواه البخاري، «الفتح١٢» (٦٨٦٢).
(٤) رواه مسلم (١٨٤٨).
(٥) رواه الترمذي (٢٠٣٢).
(٦) رواه مسلم (٣٠٢٣).

# الكذب

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الكذب، أجارنا الله وإياكم من ذلك وهذه الظاهرة من علامات الساعة التي بينها رسول الله ﷺ وهي: أنه في آخر الزمان يكذب الصادق ويصدق الكاذب، نسأل الله جلَّ وعلا أن يجعلنا وإياكم من الصادقين.

والكذب لغة: كما قال الراغب: «يقال في المقال والفعال، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة النحل: ١٠٥) . (فهذا في القول)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (سورة المنافقون: ١) . وكذبهم في اعتقادهم لا في مقالهم، ومقالهم كان صدقًا،

أي قـولهم: ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾. وقـوله تعـالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ (سورة النبأ:٢٨). والكذب اصطلاحًا: كما قال ابن حجر: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أم خطأ»[١].

والكذب قد يكون بالأفعال: يقول الشيخ الميداني: «وكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفـعال. فقد يفـعل الإنسان فعـلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجـود شيء غير موجود، وذلك على سبـيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكـون الكذب في الأفعال أشد خطرًا وأقوى تأثيرًا من الكذب في الأقـوال. ومن أمثلة ذلك مـا حكاه الله لنا من أقـوال وأفعـال إخوة يوسف ـ عليـه السلام ـ إذ جاءوا أبـاهم عشاءً يبكـون بكاءً كاذبا، وقالـوا ـ كذبًا ـ: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (سورة يوسف:١٧). وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب. فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل»[٢].

وأما الرخـصة في الكذب فـقد قـال النووي: اعلم أن الكذب يجـوز ـ وإن كان أصله محرمًـا ـ يجوز في بعض الأحوال بشروط، مختـصرها: أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقـصود محمود يمكن تحصيله بغيـر الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحـصيله إلا بالكذب، ثم إن كـان تحـصيل ذلك المقـصـود مبـاحًا كـان الكذب مباحًا، وإن كان واجبًا كان الكذب واجـبًا. فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وأخفى ماله، وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائـه. وكذا الوديعة. . . إلى أن قـال: والأحوط في هذا كله أن يورِّي. ومـعنى التـورية: أن يقصـد بعبـارته مقـصوداً صـحيحًـا ليس هـو كاذبًا بـالنسبة إليـه، وإن كان كـاذبًا في ظاهر اللفظ،

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٢٤٢).

(٢) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٥٩٢).

وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا المجال»[١].

وأما حكم الكذب فقد ذكر الإمامان ابن حجر والذهبي الكذب (الذي لا رخصة فيه) من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان كذبًا على الله عزَّ وجلَّ أو رسوله ﷺ، وقد صرح العلماء بعد هذين النوعين (الكذب على الله والكذب على الرسول)، من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أن الكذب على الرسول ﷺ كفر، قال ابن حجر: «ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك»[٢].

وأما الأدلة الواردة في الكذب من كلام الله عزَّ وجلَّ فكثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (سورة المطففين: ١٠-١٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (سورة النساء: ٤٩-٥٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النحل: ١١٦).

---

(١) «رياض الصالحين» (٤٥٩).
(٢) «الزواجر» (١٢٤، ١٢٥).



## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الصدق طمأنينة للمؤمنين، وجعل الكذب ريبة للمنافقين، وجعل الصادقين على العهد قائمين، والكاذبين للعهود ناكثين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين .. أما بعد:

عباد الله ... وأما ما ورد من الأحاديث في ذم الكذب فكثيرة، ومنها ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[2].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثانية، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثالثة، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه فقال: فعلت. فقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً»، فسقاه فبرأ**[4].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن كذبًا عليَّ ليس ككذبٍ على أحد؛ من كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[5].

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١» (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) رواه البخاري: «الفتح١» (٣٤)، واللفظ له، ومسلم (٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، قال الألباني (٣/ ٩١١) حسن وهو في «الصحيحة» رقم (٢٧٣).

(٤) رواه البخاري، «الفتح١٠» (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

(٥) رواه البخاري، «الفتح٣» (١٢٩١)، واللفظ له، ومسلم «المقدمة/ ٤».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل: رجل أتى قومًا فقال: ياقوم إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق»**[1] .

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ـ أو قال: حتى يتفرقا ـ، فإن صدقا وبينا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بُيعهما»**[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل مائه، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»**[3] .

وعن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما: **ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»**[4] .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»**[5] .

---

(١) رواه البخاري، «الفتح١٣» (٧٢٨٣).
(٢) رواه البخاري، «الفتح٤» (٢٠٧٩)، واللفظ له، ومسلم (١٥٣٢).
(٣) رواه البخاري، «الفتح٥» (٢٣٦٩)، واللفظ له، ومسلم (١٠٨).
(٤) رواه الترمذي (٢٥١٨)، وحسَّنه وقال محقق «جامع مع الأصول»: وإسناده صحيح.
(٥) رواه البخاري، «الفتح١٠» (٦٠٩٤)، ومسلم (١٤٩٣)، واللفظ له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[1].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من كذَّبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[2].

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فَينمِّي خيراً أو يقول خيراً»[3].

ومن آثار السلف في ذم الكذب: قال البخاري وغيره مرفوعًا: «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح، ويترك المراء، وإن كان صادقًا»[4].

وقال أبو عبد الله ـ الإمام أحمد ـ: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل[5].

وقال صالح بن عبد القدوس:

واختر صديقك واصطفيه تفاخرًا ✿ إن القرين إلى المقارن يُنْسبُ

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبًا ✿ إن الكذوب لبئس خِلاً يُصْحبُ[6]

---

(١) رواه مسلم: «المقدمة/ ٥».

(٢) رواه البخاري، «الفتح١٣» (٧٤٦٠).

(٣) رواه البخاري، «الفتح٥» (٢٦٩٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٠٥).

(٤) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٨).

(٥) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٩).

(٦) «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٢ - ٥٣).

# من هنا نبدأ وفي الجنة نلتقي - إن شاء الله -

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حديثنا اليوم - بإذن الله تعالى - بعنوان: «من هنا نبدأ وفي الجنة نلتقي - إن شاء الله -»، نسأل الله ذلك إنه جواد كريم.

**أنت الذي ولدتك أمك يابن آدم باكيًا ✻ والناس حولك يضحكون سرورًا**

**فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا ✻ في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا**

**قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[1].**

---

(١) رواه الترمذي، «صحيح الجامع» (١/ ٣٨٦) رقم (١٩٠٣)، «المشكاة» (٢٣٤٣).

قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (سورة الفرقان: ٧٠).

يا معشر العاصين جودٌ واسعٌ ✿ عند الإله لمن يتوب ويندما
يا أيها العبد المسيءُ إلى متى ✿ تُفْني زمانك في عسى ولربما
بادرْ إلى مولاك يامن عمره ✿ قد ضاع في عصيانه وتصرَّما
وأسأله توفيقًا وعفوًا ثم قل ✿ يارب بصِّرني وزل عني العما

قال ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك»[(١)].

فاسلك طريقَ المتقين ✿ وظُنَّ خيراً بالكريم
واذكر وقوفك خائفًا ✿ والناسُ في أمْرٍ عظيم
إما إلى دار الشقاوة ✿ أو إلى العزِّ المقيم
فاغنم حياتَكَ واجتهد ✿ وتُبْ إلى الرب الرحيم

ولك أن تتصور نفسك ـ يا عبد الله ـ إن كنت من المطيعين لرب العالمين وأنت في الجنة دار المتقين الأبرار بعد أن رحمك الله تعالى الغفار. تلك الدار التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة السجدة: ١٧). تصور نفسك يقال لك وأنت من أهلها: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (سورة الزخرف: ٧٠-٧٣).

---

(١) رواه الحاكم (٧٨٤٦) وقال: صحيح على شرطهما، وانظر: «الجامع الصحيح»، برقم (١٠٧٧).

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ❊ ولحوم طير ناعم وسمان

وفواكه شتى بحسب مناهم ❊ يا شبعةً كملتْ لذي الإيمان

لحمٌ وخمرٌ والنِّسا وفواكه ❊ والطير مع رَوح ومع رَيحان

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (سورة محمد: ١٥).

وجنات عدنٍ زخرفتْ ثم أزْلِفتْ ❊ لقوم على التقوى دواما تَبَتَّلُوا

بها كل ما تهوى النفوس وتشتهي ❊ وقرةُ عينٍ ليس عَنْهَا تَحَوُّلُ

عبد الله . . . كن مع من قال الله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩).

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، والسابقون السابقون أولئك المقربون!!

ويا من ظلم نفسه بتسويف التوبة عليك أن تتصور نفسك - يا عبد الله - إن متّ على غير توبة، تخيل نفسك وأنت في أودية جهنم تهيم ومن طعامها تأكل صباحًا ومساءً، تصور نفسك إن متّ على المعاصي والذنوب. . تصور نفسك هل يتحمل جسمك هذا العذاب.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٤-١٢٧). تصور ذلك الأعمى وهو يُسحب على وجهه في نارٍ حَرُّها شديد وقَعْرُها بعيد.



## الخطبة الثانية:

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، الحمد لله القائل: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة النحل: ١١١). أما بعد:

عبد الله ... إن سألت عن طعام أهل النار وشرابهم فطعامهم فيها الزقوم وشرابهم الصديد: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ١٧). يسحب على وجهه في نارٍ وقودها الناس والحجارة، النار وما أدراك ما النار؟

سوداءُ مظلمةٌ شعثاءُ موحِشةٌ ❊ دهماءُ محرقةٌ لواحةُ البشرِ
فيها العقاربُ والحيَّاتُ قد جَعَلَتْ ❊ جلودَهم كالبغال الدُّهْمِ والحمرِ
لها إذا ما غلتْ فَورٌ يُقلِّبُهُمْ ❊ ما بين مرتفعٍ منها ومُنحدرِ
يا ويلهم تحرقُ النيران أعظُمَهُمْ ❊ بالموت شَهْوتهم من شدة الضجرِ
وكل يومٍ لهم في طول مدتهم ❊ نزعٌ شديدٌ من التعذيب والسُّعُرِ
فيها غلاظٌ شدادٌ من ملائكةٍ ❊ قلوبهم شدة أقسَى من الحجرِ
فيها السلاسل والأغلال تجمعهم ❊ مع الشياطين قسرًا جَمْعَ مُنْقَهِرِ

أهل النار، ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (سورة الكهف: ٢٩).

إخواني ... ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٧١-٧٢).

إذا مُدَّ الصِّراط على جَحيمٍ ❊ تصول على العصاةِ وتستطيلُ
فقومٌ في الجحيمِ لهم ثُبُورٌ ❊ وقومٌ في الجنانِ لهم مقيلُ
وبانَ الحقُّ وانكشف الغطاءُ ❊ وطال الويلُ واتصلَ العويلُ

يا من غرتك دنيا دنيئة لا تساوي عند الله جناح بعوضة فاشتريتها وبعت جنة عرضها كعرض السموات والأرض مثل نفسك قبل ذلك واقفًا يوم الحساب والجزاء:

**مَثِّلْ وقوفَكَ يوم الحشر عريانًا ❖ مستعطفًا قَلِقَ الأحشاءِ حيرانًا**

**النارُ تَزْفُرُ من غيظٍ ومن حنقٍ ❖ على العُصاة وتلقى الربَّ غضْبانًا**

**اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ❖ وانظر إليه ترى هل كان ما كانا**

**لما قرأت كتابًا لا يغادرُ لي ❖ ما كان سرًا وما قَدْ كَانَ إعْلانًا**

**قال الجليلُ خذوه يا ملائكتي ❖ مُرُّوا بعبدي على النِّيران عَطْشضانًا**

عبد الله . . .

**تذكَّر يوم تأتي الله فردًا ❖ وقد نُصِبَتْ موازينُ القضاءِ**

**وَهُتِّكَتِ الستور عن المعاصي ❖ وجاء الذنب منكَشِفَ الغطَاءِ**

أخي ثبتك الله على طاعته.. تفكر في تلك القبور التي ستخرج منها يوم البعث والنشور، تنبه قبل الرحيل إلى تلك الحفر والدور.

**تنبه قبل الموت إن كنت تعقلُ ❖ فعما قريب للمقابر تحملُ**

**وتمسي رهينًا في القبور وتنثني ❖ لدى جدث تحت الثرى تتجندلُ**

**فريدًا وحيدًا في التراب وإنما ❖ قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ**

روى ابن ماجه والترمذي من حديث هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيتهُ فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن القبر أول منازل الآخرة؛ فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد»**[1].

---

(١) حسن: «المشكاة» (١/ ٤٨) رقم (١٣٢)، وفي «الصحيح المسند»، للشيخ مقبل (٢/ ٦٣)، «مسند عثمان بن عفان».

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ✩ إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه ✩ وإن بناها بشر خاب بانيها

فلا تضيعوا أعماركم في غير طاعة ربكم، أوصيكم ونفسي بذلك، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨١).

فـ ونك فاصنع ما تحب فإنما ✩ غداً تحصد الزرع الذي أنت زارعُ

تأدب بآداب الشريعة واستقم ✩ وقل يا إله العرش إني راجعُ

ويا واهب الخيرات هل لي هدايةٌ ✩ فما غير فقدان الهداية قاطعُ

اقل عثرتي عفوًا ولطفًا ورحمةً ✩ فما لجميل الصنع غيرك صانعُ

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٧).

# منكرات الأفراح (١)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن منكرات الأفراح، أجارنا الله وإياكم من ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة لقمان: ٦-٧).

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنه الغناء، إلى أن قال: قال الحاكم أبو عبد الله في التفسير من كتاب (المستدرك): ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل

عند الشيخين حديث مسند. وقال في موضع آخر من كتابه: هو عندنا في حكم المرفوع؛ وهذا وإن كان فيه نظر فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم، فهم أعلم الأمة بمراد الله عزَّ وجلَّ في كتابه، فعليهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد شاهدوا التفسير من رسول الله ﷺ علمًا وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيلاً"[1].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٢).

**قال محمد بن الحنفية:** «الزور ههنا الغناء»، وقاله ليث عن مجاهد، وقال الكلبي: لا يحضرون مجالس الباطل. واللغو في اللغة: كل ما يلغى ويطرح، والمعنى: لا يحضرون مجالس الباطل وإذا مروا بكل ما يلغى من قول وعمل، أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه، أو يميلوا إليه، ويدخل في هذا أعياد المشركين كما فسرها به السلف، والغناء، وأنواع الباطل كلها.

**قال الزجاج:** لا يجالسون أهل المعاصي، ولا يمالئونهم عليها، ومرُّوا مرَّ الكرام الذي لا يرضون باللغو، لأنهم يكرمون أنفسهم عن الدخول فيه والاختلاط بأهله.

وقد أثنى الله سبحانه على من أعرض عن اللغو إذا سمعه بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة القصص: ٥٥).

وتأمل كيف قال سبحانه: ﴿لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ولم يقل بالزور لأن يشهدون: بمعنى يحضرون فمدحهم على ترك حضور مجالس الزور، فكيف بالتكلم به وفعله؟ والغناء من أعظم الزور، والزور يقال على الكلام الباطل، وعلى العمل الباطل.

---

(١) «إغاثة اللهفان».

وأما ما ثبت في السنة من أحاديث النبي ﷺ فمنها حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة**»[١].

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**»، **فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: «إذا ظهرت القينات والمعازف، وشُرِبَتِ الخُمُور»**[٢].

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ إذا ظهرت المعازف والقينات واستُحِلَّتِ الخمر**»[٣].

**وأما تسمية الغناء**: منبت النفاق: فقال علي بن الجعد: حدثنا طلحة عن سعيد بن كعب المروزي عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**الغناء ينبت النفاق في القلب**»[٤].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده: «ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بها، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء»[٥].

---

(١) حسن: «البزار والضياء»، «الصحيحة» (٢٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٢١٢)، «صحيح الجامع» (٣٦٦٥).

(٣) صحيح: «الروض النضير» (١٠٠٤).

(٤) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي (١٠/ ٢٢٣)، في سننه الكبرى (١٥)، م/ «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزيه ص(٢١٩).

(٥) م/ (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) لابن قيم الجوزي، ص(٢٢٢)، أخرجه ابن أبي الدنيا، وانظر (الرد) للطبري ص٤٩.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، المستجيبين لله رب العالمين، ولسيد المرسلين وإمام الموحدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد:

**أما حكم آلات اللهو:** فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (١١-٥٧٦): «مذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام. ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في أمته من يستحل الحر والحرير، والخمر والمعازف، وذكر أنهم يمسخون قردة وخنازير [1]، والمعازف هي الملاهي كما ذكر أهل اللغة جمع معزفة وهي الآلة التي يعزف بها أي: يُصوِّت بها، ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعًا..».

عباد الله . . . وأما أخذ الأجرة على الغناء فقال فيه أبو عمر ابن عبد البر في الكافي: من المكاسب المجمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء، وعلى الزمر واللعب الباطل كله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (٣٠-٢١٥) في أثناء كلام له على ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر براع معه زمارة فسد أذنيه.

قال: الوجه السادس ـ أنه قد ذكر ابن المنذر اتفاق العلماء على المنع من إجارة الغناء والنوح، فقال: أجمع كل من أهل يحفظ عنه أهل العلم على إبطال النائحة والمغنية ـ كره ذلك الشعبي والنخعي ومالك، وقال أبو ثور والنعمان ويعقوب ومحمد: لا تجوز الإجارة على شيء من الغناء والنوح وبه نقول.

---

(١) رواه البخاري، في باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

عِبَادَ اللَّهِ . . . سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ السؤال الآتي: ما حكم الأغاني هل هي حرام أم لا، رغم أنني أسمعها بقصد التسلية فقط؟ وما حكم العزف على الربابة والأغاني القديمة؟. وهل القرع على الطبل في الزواج حرام، على الرغم من أنني سمعت أنها حلال ولا أدري؟ وأثابكم الله وسدد خطاكم؟.

**الجواب:** إن الاستماع إلى الأغاني حرام ومنكر، ومن أسباب مرض القلوب وقسوتها وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة. وقد فسر أهل العلم قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ (سورة لقمان: ٦).

وإذا كان مع الغناء آلة لهو كالربابة والعود والكمان والطبل صار التحريم أشد. وذكر بعض العلماء أن الغناء بآلة لهو محرم إجماعًا. والواجب الحذر من ذلك وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف»**، والحِرَ هو: الفرج الحرام ـ يعني الزنا ـ والمعازف هي الأغاني وآلات الطرب، وأوصيك وغيرك بسماع إذاعة القرآن الكريم وبرنامج «نور على الدرب» ففيهما فوائد عظيمة، وشغل شاغل عن سماع الأغاني وآلات الطرب.

أما الزواج فيشرع فيه ضرب الدف مع الغناء المعتاد الذي ليس فيه دعوة إلى محرم في وقت من الليل للنساء خاصة لإعلان النكاح والفرق بينه وبين السفاح، كما صحت السنة بذلك عن النبي ﷺ.

أما الطبل فلا يجوز ضربه في العرس، بل يكتفى بالدف خاصة ـ ولا يجوز استعمال مكبرات الصوت في إعلان النكاح وما يقال فيه من الأغاني المعتادة لما في ذلك من الفتنة العظيمة والعواقب الوخيمة وإيذاء المسلمين، ولا يجوز أيضًا إطالة الوقت في ذلك بل يكتفى بالوقت القليل الذي يحصل به إعلان النكاح لأن إطالة الوقت تفضي إلى إضاعة صلاة الفجر والنوم عن أدائها في وقتها، وذلك من أكبر المحرمات ومن أعمال المنافقين.

# منكرات الأفراح (٢)

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ فيما تبقى من الحديث عن منكرات الأفراح.

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من الأخطاء في الأفراح الحجر على المرأة من قبل أقربائها حيث أن بعض الناس إذا تقدم الخُطَّاب إلى ابنته أصم أذنيه وأغلق عينيه إلا عن قريب له كائنًا من كان صالحًا تقيًا أو طالحًا شقيًا!، وهذا والله من الظلم، وإذا اعترض معترض قابلوه بمقولة: هذه عادات آبائنا وأجدادنا، فإن رفضت المرأة بشدة، فأحسن أحوال وليها أن يقول لها: إذن أمامك الانتظار حتى تمشين على العكاز!

**ومن الأخطاء في الأفراح رد الكفء:** يقول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٢).

ويقول ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**[١]، إذاً فالمعتبر في هذا كله الخلق والدين.

**ومن الأخطاء في الأفراح دبلة الخطوبة:** فلبس دبلة الخطوبة عمل لا أصل له في الشرع للوجوه التالية:

**أولاً:** لما في لبسها من مخالفة هدي الإسلام.

**ثانيًا:** إنها من سنن النصارى وفيها تشبه بالكفار، **«ومن تشبه بقوم فهو منهم»**[٢]، وإذا كان من ذهب فهو أشد حرمة.

**ثالثًا:** اعتقاد بعض الجهال أن لها سببًا للارتباط بين الزوجين، وهذا اعتقاد فاسد.

**رابعًا:** اعتقاد بعض الجهال أنها إذا فسخت هذه الدبلة ينفسخ معها عقد الزوجية، وهذا اعتقاد فاسد لأنه لا أثر لنزعها في النكاح.

**ومن اخطاء الأفراح:** ما ينشر في بطاقات الدعوة للوليمة من صورة رجل وامرأة، وكذلك كتابة أبيات الغزل، وهذا فيه إساءة للدين والأخلاق وهو مما يغضب الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله العافية.

**ومن منكرات الأفراح:** التصوير الذي عمت به البلوى، وقد سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ السؤال التالي: ما حكم التصوير الفوتوغرافي لغير ضرورة كالاحتفاظ به للذكرى ونحو ذلك بارك الله فيكم؟.

---

(١) رواه الترمذي (١٠٠٥)، وابن ماجه (١٩٥٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠).
(٢) رواه أبو داود

**فاجاب:** بسم الله والحمد لله، أدلة المنع عامة، تَعُمُّ التصوير الفوتوغرافي وغيره، سواء من الكاميرا أو باليد، لأن الرسول ﷺ عمم فقال: «**كل مصور في النار**»، و«**اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»[1]، ولم يستثن، وقوله «**إلا رقماً في ثوب**»[2]، هذا معناه إلا النقوش التي ليست صوراً كما فسرها العلماء، لا تمنع دخول الملائكة البيت، أو بالصورة التي في البساط ونحوه مما يمتهن، فهذه لا تمنع دخول الملائكة لكن لا يجوز التصوير لا في بساط ولا في غيره، كتصوير ذوات الأرواح من بني آدم أو الحيوانات كالإبل والبقر والغنم أو الطيور وغير ذلك.

فيجب الكف عن ذلك، ولكن نسأل الله العافية، فالكثير من الناس لا يبالي بذلك، وانتشر البلاء[3].

**ومن منكرات الأفراح:** إطلاق العيارات النارية في الهواء في الأعراس والمناسبات، والحاصل أنه قد نجم عنها إزهاق كثير من أرواح الناس وجرحهم، وإهلاك كثير من المواشي والأموال بعد عودتها من الهواء، وقد أجاب على ذلك الشيخ مقبل ـ رحمه الله ـ فقال: هذا يعتبر من إضاعة المال.

وقد جاء في صحيح البخاري، من حديث خولة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»[4]، وأيضًا في الصحيح من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ نهى عن القيل والقال وإضاعة المال[5]، وهو أمر من التفاخر والتباهي، ولو وضعوا لهم نصبًا ورموا ليتدربوا على الرماية كان أحسن، ولكن من العبث ومن تلاعب الشيطان»[6].

---

(١) رواه مسلم (٣٩٤٥).

(٢) رواه البخاري (٥٤٩٤)، ومسلم (٣٩٤٩).

(٣) (س٤ص٨١٤ جزء ٢)، «فتاوى العقيدة»، إعداد وتقديم عبد الله الطيار.

(٤) رواه البخاري (٢٨٨٦).

(٥) رواه البخاري (٥٥١٨)، ومسلم (٣٢٣٧).

(٦) م/ «غارة الأشرطة».



## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين السائرين على نهج سيد المرسلين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. . أما بعد:

**ومن منكرات الأفراح التمثيل:** وقد سُئل عنه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان السؤال التالي:

ما حكم التمثيل الذي يقوم به بعض الشباب الملتزمين، مثل التمثيل الديني؟

**الجواب:** التمثيل لا أراه سائغًا لأن فيه: **أولاً:** إلهاء الحاضرين لأنهم ينظرون إلى حركات الممثل ويضحكون، فالمقصود بالتمثيل هو التسلية فقط وإلهاء الحاضرين هذا من ناحية.

**الناحية الثانية:** أن الأشخاص الذين يمثَّلون قد يكونون من الصحابة أو من الأئمة يمثلهم طفل أو إنسان على غير المظهر اللائق. هذا أمر لا يجوز ولو جاء واحد يمثلك أنت في مشيك ويتكلم بكلامك فلن ترضى بهذا، فكيف ترضاه لغيرك من أئمة المسلمين وقادتهم!

**ثالثًا وهو اخطر:** أن بعضهم يتقمص شخصية كافرة كأبي جهل وفرعون ويتكلم بكلام الكفر بزعمه أنه يريد الرد عليهم وهذا تشبه بالكافر، والرسول ﷺ نهى عن التشبه بالكافرين، وهذا تشبه بهم.

**رابعًا:** والتمثيل ليس من هدي سلفنا الصالح ولا من منهجهم وإنما هو مستورد من الخارج، فالمسرحيات والتمثيليات عرفت من الخارج وتسربت إلينا، واعتبارها من وسائل الدعوة غير صحيح، فوسائل الدعوة إلى الله ولله الحمد غنية عن هذه الطريقة وما عرف المسلمون هذه الطريقة وكانت الدعوة ناجحة في مختلف العصور، ولما جاءت هذه الطريقة ما زادت الدعوة في شيء مما يدل على أنها سلبية[1].

---

(١) م/ محاضرات في العقيدة والدعوة جزء ٢، (٢س/ ٢١٧).

ومن أفتى بتحريم التمثيليات الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ في رسالة خاصة له في هذا الموضوع، وكذلك أفتى الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله ـ بتحريم التمثيل في كتابه المخرج من الفتنة، مستدلاً بما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة: رجل قَتَلَه نبيٌّ أو قَتَلَ نبيًا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين»**[1]، والممثل يطلق على المصور وعلى الذي يحكي فعل غيره كما في كتب اللغة ومنه حديث: **«من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة فإن الشيطان لا يتمثل بي»**[2].

عباد الله . . . المؤمن يكفيه دليل واحد من كتاب الله أو صحيح سنة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

عباد الله . . . ومن منكرات الأفراح تتابع السيارات بعضها وراء بعض والدوران بها في الشوارع والطرقات وضربهم الأبواق، وفي هذا إزعاج للآخرين ومظهر من مظاهر البطر وغير ذلك، مما يسبب غضب الله وهو ممنوع شرعًا ونظامًا، وغالبًا ما يحدث ذلك في وقت متأخر من الليل وإن كان في أول الليل، أو في النهار، ففي ذلك ضرر والنبي ﷺ يقول: **«لا ضرر ولا ضرار»**[3]، وأكثر ما يتضرر بذلك النائمون وخاصة العجزة من كبار السن والمرضى والمسافرون وغيرهم، فهل من مدرك لذلك وهل من متعظ فيعود إلى صوابه ولا يتأثم بفعل شيء كهذا؟.

---

(١) رواه أحمد (٣٦٧٤)، «صحيح الجامع» (١٠٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٠٧)، ومسلم (٤٢٠٦).

ـ م/ «المخرج من الفتنة»، ص٩٦، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

(٣) رواه أحمد (٢١٧١٤)، وابن ماجه (٢٣٣١)، «صحيح الجامع» (٧٥١٧).

ومن منكرات الأفراح الإسراف والتبذير في الأطعمة، وقد يصل الأمر بصاحب الزواج أو أقاربه أن يرموا الأطعمة لكثرتها، والصحيح في ذلك طبخ الطعام الذي يسد حاجة الحاضرين أو إن وجدت زيادة توزع في الأماكن المجاورة للزواج للاستفادة منها وعدم رميها، وكذلك من التبذير والإسراف المحرم شراء القات لبعض الحضور وهذا أصبح في بلادنا أمرًا مألوفًا، هو من المحاذير الشرعية.

عباد الله . . . أما المشروع من اللهو في الزواج فقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى (١١-٥٦٥): «ولكن رخص النبي ﷺ في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، أما الرجال على عهدهم فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف، بل ثبت عنه في الصحيح أنه قال ﷺ: «**التصفيق للنساء والتسبيح للرجال**»، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء».

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وقتله إياه.

والحديث يدور على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافًا إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ قال رسول الله ﷺ: «وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته «الأعور» الدجال، «إني لأنذركموه»، وإنه يخرج من «أرض» قبل المشرق، «يقال لها: خراسان»، «في يهودية أصبهان»، «كأن وجوههم المُجَانُّ المطرقة»، والمراد تشبيه وجوه الترك بالترسة المطرقة، من خلة بين الشام

والعراق، فعاث يمينًا «وعاث» شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا. «ثلاثاً» وإنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، «ممسوح» أي: غير بارزة، «العين اليسرى»، «وعليها ظفرة غليظة»، «خضراء كأنها كوكب دري» يعني أنها: شديدة الاتقاد، «عينه اليمنى كأنها عنبة طافية» أي: بارزة، «ليست بناتئة، أي: مرتفعة، «ولا حجراء أى: غائرة»، «جفال الشعر» أي: شعث الشعر، «ألا ما خفي عليكم من شأنه، فلا يخفين عليكم»، إن ربكم ليس بأعور، «ألا ما خفي عليكم من شأنه، فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور» «ثلاثًا»، «وأشار بيده إلى عينيه»، «وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» «إنه شاب قطط: أي شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن»، «قصير، أفحج: أي هو الذي إذا مشى باعد بين رجليه»، جعد: أي هو من الشعر خلاف السبط أو القصير منه»، «هجان» وإنه آدم ، جعد»: أي خلاف السبط، «جفال الشعر: أي شعث الشعر»، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه «من كره عمله، أو يقرؤه» كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، «معه نهران يجريان، أحدهما ـ رأي العين ـ ماء أبيض، والآخر ـ رأي العين ـ نار تأجج»، «فمن أدرك ذلك منكم، فأراد الماء، فليشرب من الذي يراه أنه نار»، وليغمض «عينيه»، ثم ليطأطئ رأسه»، فإنه يجده ماءً «باردًا عذبًا»، «طيبًا» «فلا تهلكوا». وفي أخرى: فمن دخل نهره حُطَّ أجره، ووجب وزره، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله، وليقرأ «عليه»، فواتح سورة الكهف، «فإنها جواركم من فتنته».

▪ وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك!.

▪ وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، وينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين.

▪ وإن من فتنته أن يمر بالحي «فيدعوهم»، فيكذبونه، «فينصرف عنهم»، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت.

▪ وإن من فتنته أن يمر بالحي «فيدعوهم»، فيصدقونه، «ويستجيبون له»، فيأمر السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر، وأدره ضروعًا.

▪ «ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»، «يخرج في (زمان اختلاف من الناس، وفرقة) (و) بغض من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش».

▪ وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا «أربع مساجد»: مسجد مكة، ومسجد المدينة، والطور، والمسجد الأقصى.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والخسران والذلة والصغار للعصاة المخالفين، وصلى الله على خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين.

أما بعد: وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من قصة المسيح الدجال ما يلي: «وإن أيامه اربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر ايامه كأيامكم». قالوا: فذلك اليوم الذي كسنة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم؟، قال: «لا، اقدروا له قدره»، قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح».

«ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام»، «ثم يأتي جبل إيليا، فيحاصر عصابة من المسلمين»، «فيلقى المؤمنون شدة شديدة»، «ويفر الناس من الدجال في الجبال»، فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل.

وإمامهم رجل صالح، وقال ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، من أولاد فاطمة، يصلحه الله في ليلة»[١]، «يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»، «أجلى الجبهة»، أي: واسع الجبهة، «أقنى الأنف»، أي: لم يكن أفطس، «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ كما ملئت جوراً وظلماً»، «يملك سبع سنين».

وقل ﷺ: «عصابتان من امتي احرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم ﷺ»، «فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم «من السماء» عيسى بن مريم الصبح»، «عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس، ثم بزعفران»، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جُمان كاللؤلؤ ـ أي: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللولؤ الكبار والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ ـ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه»، «وقال ﷺ: «ليس بيني وبينه نبي (يعني: عيسى)، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين ـ الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة ـ كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»، وقال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم (في رواية: وأمكم) منكم»؟ قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أمكم منكم»؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ».

---

(١) أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك، قاله الحافظ ابن كثير في «النهاية» (١/ ٤٣)، ولعل المقصود بذلك أنه يصلحه، أي: يعده لتولي قيادة المسلمين، لا أنه كان فاسقًا فأصلحه الله وتاب عليه.

«ثم يأتي الدجال جبل (إيلياء)، فيحاصر عصابة من المسلمين»، «فيقول لهم الذين عليهم، ما تنتظرون بهذا الطاغية «إلا» أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم. فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا» «فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة» «صلاة الصبح»، «فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم»، فيؤم الناس، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله المسيح الدجال، وظهر المسلمون» فإذا انصرف قال: افتحوا الباب، فيفتح، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، «فيطلب عيسى عليه الصلاة والسلام»، «فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال»، فإذا نظر إليه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء، «فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريه دمه في حربته»، فيدركه عند باب االلد الشرقي فيقتله، «فيهلكه الله عزَّ وجلَّ عند عقبة أفيق»[1].

---

(١) عقبة أفيق: قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق. وهي في الأردن.

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عِبَادَ اللَّهِ** . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن واجب الشباب المسلم، وواجبات الشباب المسلم كثيرة فمنها: **أولاً** ـ يجب على الشباب المسلم أن يعتنوا بتعلم العلم النافع، ولو بالقدر الذي يستقيم به دينهم، وتصح به عبادتهم، فيجب عليهم أن يهتموا بمعرفة العقيدة الصحيحة وما يخالفها من المفسدات والمنقصات، ويجب عليهم أن يعرفوا أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج، وأركان الإيمان الستة، ومعرفة نواقض الإسلام، وذلك حتى يقيموا دينهم على أساس صحيح، فهذا القدر من العلم واجب على كل مسلم وجوبًا عينيًا، ولا يعذر أحد بجهالته، فعلى الشباب أن يركزوا

على هذا الجانب من العلم الضروري، ثم بعـد ذلك من أراد التزود بالعلم فإن طلب العلم من أفضل العـبادات، بل هو أفضل من نوافل الجهـاد، ونوافل الصلاة والحج، فطلب العلم أفضل من سائر النوافل؛ لأن بالعلم يستقيم الدين وتقوم الملة.

فعلى الشـباب أن يهتـموا بالعلم الشرعي أولاً وقـبل كل شيء ضروريه الذي لا يعذر أحد بجهـالته، وما زاد عن ذلك من التفقه في علوم الشـريعة من أجل أن يقوم الشبـاب بواجب الأمة فيكون منهم القضـاة والدعاة، ويكون منهم من يتولى أعـمال الأمة حتى يحـسنوا فيها ويقـيموها على الوجه المطلوب. والعلم الـشرعي يؤخذ من العلماء أي علماء الشريعة المعروفـون في الأمة وخاصة الأكابر منهم وقد بين الله جل وعلا أهمية العلم والعلماء والفرق بين الذيـن يعلمون والذين لا يعلمون فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الزمر: ٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر: ٢٨). فالمراد بالعلماء في هذه الآية هم علماء الشريعة لأنهم هم الذين يعرفون الله حق معرفته، ويعرفون عظمته وكبـريائه وجلاله سبحانه وتعالى ويقدرونـه حق قدره. ويجب على الشباب أن يتعلم الصناعات والمهن الأخرى وما يخص العسكرية والزراعة والطب وغير ذلك مما تحتاجه الأمـة، ويكون ذلك بعد أخذه القسط الضروري من العلم الشـرعي فهذا شيء لابد منه للأمـة. لأن المواهب تختلف والله سـبحـانه وتعالى بحـكمته جـعل المواهب متـفاوتة من أجل أن تتكامل مصـالح الأمة، فيكون هنـاك من يقوم بالعلم الشرعي، وهناك من يوم بالعمل العسكري وكذا الزراعي، والصناعات التي تحتاجها الأمة حـتى تتكامل مصالحهـا، ولا يقوم بهذه الأمـور إلا شباب الأمة، فـعليهم أن يعتنوا بالعلم النافع، وفي المقـدمة العلوم الشرعيـة ثم العلوم الدنيوية التي تحتـاجها أمتهم، لأنهم لا يستطيـعون القيام بمسؤوليتهم في المسـتقبل إلا إذا تسلحوا بالعلم، فلا يجـوز لهم أن يفرطوا فيـه وأن يبقوا فـي جهلهم وسذاجـتهم، لأنهم مهـيأون لتحمل أمر عظيم.

**قـد هيـأوك لأمـر لو فطنت له ❖ فـارباً بنفـسك أن ترعى مع الهـمل**




**ومن واجبات الشباب المسلم:** أن يرتبطوا بعلمائهم ويسألوهم عن كل ما أشكل عليهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنبياء:٧). وقد بين الله فضل العلماء وأنهم أهل القسط فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران:١٨).

وعلى الشباب أيضًا أن يرتبطوا بكبارهم وأصحاب العقول الناضجة من آبائهم ومواطنيهم، وأن يتعلموا من أصحاب التفكير السليم والرأي السديد ويتلقون منهم التجارب النافعة والحكم السديدة، ولا ينفصل الشباب عن الكبار أبدًا، لأنه إذا حصل الانفصال حصلت الفجوة بين أفراد الأمة، وحينئذ يحصل الخلل والضعف، وتسنح الفرصة لأعداء المسلمين أن يتلاعبوا بهم، فعلى الشباب أن يرتبطوا بأهل العلم، ليأخذوا عنهم العلم النافع والتوجيهات السديدة.

أما إذا انفصل الشباب عن العلماء وأصحاب العقول النيرة السليمة فإن الأمر يصير خطيرًا، لأنهم سوف ينفتحون على الخارج ويتلقون التيارات المنحرفة من خلال الجرائد والمجلات، أو الوسائل الوافدة من الخارج.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والخسران والضلال للمخالفين المعاندين.

عباد الله . . . مما يجب على الشباب أن يدركوه: خطورة التفريط في مراجعة العلماء والاستفادة منهم، والانصراف إلى تلقي التوجيهات من خارج بلادهم ومن أعدائهم ومن أصحاب الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة ومن مجهولي الهوية في العلم والعقيدة فإن الأمر خطير؛ لأن البلاد ستتغير وتتحول، فعلى شباب الإسلام أن لا يفتحوا الباب أمام الأفكار الوافدة حتى لو كانت تسمى باسم الإسلام، باسم الدعوة،

فيجب أن لا يقبلوا شيئًا إلا بعد تمحيصه، وعرضه على العلماء، وعلى أصحاب الرأي السديد، حتى يأخذوا ما يصلحهم، ويرفضوا ما لا يصلح، أما إذا قبلنا هذه الأفكار واعتبرناها في الرقي واليقظة والصحوة كما يسمونها فهذا غلط كبير، نحن نقبل الحق، لكن لا يعرف الحق إلا بالعلماء من أهل البصيرة والعلم والتجارب الصحيحة، فنحن نتمسك بمنهجنا وجماعتنا وعقيدتنا، وإذا وفد إلينا شيء من الأفكار أو من الأشياء الأخرى فيجب أن نعرض هذه الأمور على أهل البصيرة منا، فما كان فيه خير نقبله، وما كان فيه من شر فإننا ندفعه ونسلم من شره. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (سورة النساء: ٨٣).

والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته، وأولوا الأمر: هم العلماء والأمراء وأصحاب الرأي السديد في الأمة، وهذا لا يتم إلا بالتعاون بين العلماء والمتعلمين، وبين الشباب والكبار حتى لا ينخدع البعض بما يقرأ أو يسمع، يقول الشاعر:

**ولا تحكم بأول ما تراه ❊ فأول طالع فجر كذوب**

فلابد من التثبت وعدم التسرع في الأمور؛ لأن الناس في هذا الزمان لهم أغراض وأهداف، خاصة بعدما اشتدت غربة الإسلام، وكثرت الفتن، وماج العالم بعضه في بعض والتبس الحق بالباطل، وهذا يستدعي اليقظة والتبصر، وعدم التسرع في الأمور.

ومما نوصي به شبابنا ـ أصلحهم الله ـ عدم التشدد في الأمور، لأن بعض الشباب يتشددون في بعض الأمور والتشدد أخطر من التساهل، والله سبحانه وتعالى حذر من الغلو. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة: ٧٧). والغلوُّ: هو الزيادة في الدين والتنطع، والنبي ﷺ يقول: «**إياكم والغلو في الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم**

بالغلو في الدين»[١]، ويقول ﷺ: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»، قالها ثلاثًا[٢]. وقال ﷺ: «إن الدين يسر ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[٣]. ولذلك لا يمكن لأحد أن يستوفي كل الدين لأنه كثير وطاقة الإنسان محدودة، ولكن عليه عمل ما يستطيع، والنبي ﷺ يقول: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٤]، فلن تستطيع أن تحصي الدين كله، لكن عليك بالاستقامة والتسديد والمقاربة، أي: إذا لم تستطع التسديد فعليك بالمقاربة من التسديد والإصابة.

فالغلو طريقة خاطئة، كما أن التساهل كذلك، وطريقة النجاة و الاعتدال بين التساهل والغلو، لأن الغلو طرف والتساهل طرف، أما الاعتدال بين التساهل وبين الغلو، فهو الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (سورة البقرة:١٤٣). أي خيارًا عدولاً، لتكونوا شهداء على الناس، فالوسط هو خير الأمور بين التساهل والغلو. ودين الله تعالى بين الغالي والجافي، بين الغالي الذي يتشدد، وبين الجافي الذي يعرض ويبتعد عن الخير، فخير الأمور أوسطها. فعلى الشباب أن يعتدلوا وعلى الشباب ـ وفقهم الله ـ أن يعتدلوا في السلوك والعمل أيضًا، يعتدلوا في القول حينما يتكلمون في شيء أو في مذهب، فعليهم بالاعتدال من غير تجازف أو تساهل، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (سورة الأنعام:١٥٢).

فعليهم بالاعتدال في القول والعمل، لأن هذا طريق النجاة، لا تحملهم العاطفة أو الحماس على تجريح الناس والكلام فيهم بغير علم، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور:١٥). فيجب حفظ اللسان ووزن الكلام. وكذلك عليهم الاعتدال في العبادة من غير غلو فيها ولا تساهل، وهذا هو الطريق الصحيح.

---

(١) رواه أحمد، وابن حبان، وابن خزيمة، وانظر: «الصحيحة» (١٢٨٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) رواه البخاري (٣٩).

(٤) رواه أحمد (٢١٧٨٣)، وانظر: «صحيح الجامع» (٩٥٢).

أما الغلو والزيادة فهو كما قال النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**»[1].

أما المعتدل فهو الذي يسير على الطريق الصحيح، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (سورة التغابن: ١٦).

وعلى الشباب ـ وفقهم الله ـ أن يجتنبوا قرناء السوء لأنهم يحملون أفكاراً منحرفة وإن تظاهروا بالصلاح والإصلاح والدعوة إلى الله، فعلى شبابنا أن يحذروا قرناء السوء وأصحاب البدع والأفكار المنحرفة إلا إذا كان الغرض من مجالستهم هو دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا إنما يكون لمن كانت عنده مقدرة علمية واستطاعة لمجادلتهم بالتي هي أحسن. أما الذي لا يحسن هذه المجادلة، أو الذي ليس عنده علم فيجب عليه أن يحذر منهم ومن مجالستهم، لأنهم يؤثرون على جلسائهم، وجليس السوء إما أن يؤثر على عقيدتك وعلى تفكيرك وسلوكك، أو على الأقل أن تأثم إذا جلست إليه، وسمعت كلامه السيء وفكره المنحرف.

والشاعر يقول:

**إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ۞ ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي**

ويقول آخر:

**عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ۞ فكل قرين بالمقارن يقتدي**

فعلى شبابنا ـ أصلحهم الله ـ أن يجالسوا أهل العلم والفقه والعقيدة السليمة والأفكار الطيبة، وأن يحذروا من المشبوهين وحملة الأفكار المنحرفة لأنهم سوف يضلونهم عن سبيل الله عزَّ وجلَّ. وعلى الشباب أن يعتنوا بأنفسهم، وأن يعتنوا بثقافتهم ومناهجهم ودروسهم التي يدرسونها حتى يكونوا رجالاً صالحين للمستقبل بإذن الله.

---

(١) رواه البخاري، والنسائي، عن أبي هريرة ﷺ.

# ولذكر الله أكبر

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

**اما بعد** . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**عباد الله** . . . حديثنا اليوم بإذن الله عن ذكر الله جل وعلا جعلنا الله وإياكم من الذاكرين، إنه جواد كريم.

**أيها الناس** . . . إن قلوب البشر طُرٌّ كغيرها من الكائنات الحية، التي لا غنى لها عن أي مادة من المواد التي بها قوام الحياة والنماء، .ويتفق العقلاء جميعًا أن القلوب قد تصدأ كما يصدأ الحديد، وأنها تظمأ كما يظمأ الزرع، وتجف كما يجف الضرع، ولهذا هى تحتاج إلى تجلية وري، يزيلان عنها الأصداء والظمأ، والمرء في هذه الحياة محاط بالأعداء من كل جانب، نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد الهلكة، وكذا هواه

وشيطانه، فهو بحاجة ماسة إلى ما يحرزه ويؤمنه، ويسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه، وإن من أكثر ما يزيل تلك الأدواء ويحرز من الأعداء ذكر الله والإكثار منه لخالقها ومعبودها، فهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون السمك إذا فارق الماء؟

عِبَادَ اللهِ . . . العلاقة بين العبد وربه ليست محصورة في ساعة مناجاة في الصباح أو في المساء فحسب ثم ينطلق المرء بعدها في أرجاء الدنيا غافلاً لاهيًا، يفعل ما يريد دون قيد ولا محكم، كلا هذا تدين مغشوش، العلاقة الحقة أن يذكر المرء ربه حيثما كان، وأن يكون هذا الذكر مقيدًا مسالكه بالأوامر والنواهي ومشعرًا الإنسان بضعفه البشري، ومعينا له على اللجوء إلى خالقه في كل ما يعتريه.

لقد حث الدين الحنيف على أن يتصل المسلم بربه، ليحيا ضميره، وتزكو نفسه، ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق، ولأجل هذا جاء في محكم التنزيل والسنة النبوية المطهرة، ما يدعو إلى الإكثار من ذكر الله عزَّ وجلَّ على كل حال؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (سورة الأحزاب: ٤١-٤٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأنفال: ٤٥).

وقال جلَّ شأنه: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

**وقال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (٢٦٩٤).

**وقل ﷺ : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله؟، قال: «ذكر الله عزَّ وجلَّ»**[1] .

**وقل ﷺ : «من قال: سبحان الله وبحمده غُرِسَتْ له نخلة في الجنة»**[2] .

عباد الله . . . ذكر الله تعالى، منزلة من منازل هذه الدار، يتزود منها الأتقياء، ويتجرون فيها، وإليها دائمًا يترددون، الذكر قوتُ القلوب الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت دورًا بورًا، وهو السلاح الذي يقاتل به قطاعُ الطريق، والماء الذي يطفأ به لهب الحريق.

بالذكر أيها المسلمون، تستدفع الآفات، وتستكشف الكربات، وتهون به على المصاب الملمات، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناضرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، الذاكر لله لا تدنية مشاعر الرغبة والرهبة من غير الله، ولا تقلقه أعداد القلة والكثرة، وتستوي عنده الخلوة والجلوة، ولا تستخفه مآرب الحياة ودروبها.

ذكر الله عزَّ وجلَّ، باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

إن الذنوب كبائرها وصغائرها لا يمكن أن يرتكبها بنو آدم، إلا في حال الغفلة والنسيان لذكر الله عزَّ وجلَّ، لأن ذكر الله تعالى سبب للحياة الكاملة التي يتعذر معها

---

(١) «صحيح» رواه أحمد، «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣١٦)، «صحيح الترمذي» (٣/ ١٣٩).

(٢) رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه. الحديث في «صحيح للجامع» ١/ ١٠٩٧)، رقم (٦٤٢٩)، «الصحيحة» (٦٤).

أن يرمي صاحبها بنفسه في أتون الجحيم، أو غضب وسخط الرب العظيم، وعلى الضد من ذلك التارك للذكر، الناسي له، فهو ميت، لا يبالي الشيطان أن يلقيه في أي مزبلة شاء.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (سورة الزخرف: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (سورة طه: ١٢٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **«الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس»**.

وكان رجل رديف النبي ﷺ على دابة، فعثرت الدابة بهما، فقال الرجل: تعس الشيطان، فقال له النبي ﷺ: **«لا تقل: تعس الشيطان، فإنه عند ذلك يتعاظم حتى يكون مثل البيت، ولكن قل: بسم الله، فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب»**[1].

وحكى ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن بعض السلف، أنهم قالوا: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنى منه الشيطان صرعه الإنسي، كما يُصرعُ الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسُي.

عباد الله . . . الإكثار من ذكر الله، براءة من النفاق، وفكاك من أسر الهوى، وجسر يصل به العبد إلى مرضاة ربه، وما أعده له من النعيم المقيم، بل هو سلاح مقدمُ، من أسلحة الحروب الحسية التي لا تثلمُ، فقد ثبت عن النبي ﷺ في فتح القسطنطينية: **«فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها الآخر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا..»**[2].

(١) رواه أحمد، وأبو داود، «صحيح الجامع» (١٢٣٤)، رقم (٢-٧٤).
(٢) رواه مسلم (٢٩٢٠).

أيها الناس . . . ذكر الله تعالى أشرف ما يخطر بالبال، وأطهر ما يمر بالفم، وتنطق به الشفتان، وأسمى ما يتألف به العقلُ المسلم الواعي، والناس بعامة قد يقلقون في حياتهم أو يشعرون بالعجز أمام ضوائق أحاطت بهم من كل جانب، وهم أضعف من أن يرفعوها إذا نزلت، أو يدفعوها إذا أوشكت، ومع ذلك فإن ذكر الله عزَّ وجلَّ يحيي في نفوسهم استشعار عظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأن شيئًا لن يفلت من قهره وقوته، وأنه يكشف ما بالْمُعَنَّى إذا ألم به العناء، حينها يشعر الذاكر بالسعادة وبالطمأنينة يغمران قلبه وجوارحه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد: ٢٨).

أيها المسلم الكريم لا تخشى غمًا، ولا تشك همًا، ولا يصبك قلق، ما دام قرينك هو ذكر الله.

يقول جلَّ وعلا في الحديث القدسي: «انا عند ظن عبدي بي، وانا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[(١)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة المنافقون: ٩).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه. صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه . . أما بعد:

فاتقوا الله ـ معشر المسلمين ـ واعلموا أن الله جل وعلا قد جعل ذكر الله سببًا من أسباب العون في العاجل والآجل فقد اشتكى علي وفاطمة ﷺ إلى رسول الله

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

عليه السلام ، ما تواجهه من الطحن والعمل المجهد، فسألته خادمًا، فقال رسول الله ﷺ : «ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم، إذا أويتما إلى فراشكما، فسبِّحا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمداه ثلاثًا وثلاثين، وكبراه أربعًا وثلاثين»[1] ، فقال علي رضي الله عنه : «ما تركتها بعد ما سمعتها من النبي ﷺ»، فقال رجل: ولا ليلة صِفِّين؟ قال: «ولا ليلة صِفِّين»[2] . وليلة صفين: ليلة حرب ضروس دارت بينه وبين خصومه رضي الله عنهم أجمعين.

عِبَادَ اللَّهِ . . . لو كلف كل واحد منا نفسه في أن يحرك جفنيه ليرى يمنة ويسرة مشاهد متكررة، من صرعى الغفلة وقلة الذكر، أفلا ينظر إلى ظلمة البيوتات الخاوية من ذكر الله تعالى، أو لا ينظر إلى المرضى والمنكسرين، أوكلهم الله إلى أنفسهم لما نسوهُ، فلم يجبروا عظمًا كسره الله، وازدادوا مرضًا إلى مرضهم، أولا ينظرون إلى المسحورين والمسحورات، وقد تسللت إليهم أيدي السحرة والمشعوذين، والدجَاجِلَةِ الأفاكين، فانتشلوا منهم الهناء والصفاء، واقتلعوا أطناب الحياة الهادئة، فخر عليهم سقف السعادة من فوقهم؟!.

أولا يتفكر الواحد منكم في أولئك المبتلين بمس الجان ومردة الشياطين يتوجعون،ويتقلبون تقلب الأسير على الرمضاء، تتخبطهم الشياطين من المس فلا يقرُّ لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال، أرأيتم عباد الله، لو كلف كل واحد منكم نفسه بهذا، أفلا يسائل نفسه بهذا، أفلا يسائل نفسه أين هؤلاء البؤساء من ذكر الله عزَّ وجلَّ؟! أين هم جميعًا من تلك الحصون المنيعة، والحروز الأمينة، التي تعتقهم من عبودية الغفلة والأمراض الفتاكة؟!! أما علم هؤلاء جميعًا أن لدخول المنزل ذكرًا وللخروج منه؟!.

أما علموا أن للنوم ذكرًا وللاستيقاظ ذكرًا؟! أما علموا أن للصباح من كل يومٍ ذكرًا وللمساء منه؟! بل حتى في مواقعة الزوج أهله، بل وفي دخول الخلاء ـ أعزكم

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ٤٠١)، رقم (٦٣١٨).

(٢) رواه أحمد.

الله ـ والخروج منه؟! بل وفي كل شيء ذكر لنا منه الرسول ﷺ أمرًا، علمه من علمه وجهله من جهله.

والواقع ـ أيها الناسُ ـ أنه إنما خُذل من خُذل من أمثال هؤلاء الغافلين، لأنهم على عجزهم وضعفهم، ظنوا أنفسهم شيئًا مستقلاً، لا سباق لهم في ميدان ذكر الله، بينما نجد آخرين عمالقة في قوتهم، وهم مع ذلك يرون أنفسهم صفرًا من دون ذكر الله تعالى، فكانت النتيجة أن طرح الله البركة واليمن على من ذكروه، فنجوا وأفلحوا، ورفع رضوانه وتأييده عمن اعتز بنفسه فتركه مكشوف السوأة عريان العورة.

وفي حضارتنا المعاصرة كثر المثقفون، وشاعت المعارف الذكية، ومع ذلك كله، فإن اضطراب الأعصاب وانتشار الكآبة داء عام. ما الأمر وما السبب في ذلك؟ إنه خواءُ القلوب من ذكر الله، إنها لا تذكر الله كي تتعلق به وتركن إليه بل كيف تذكرُ من تتجاهله؟!! إن الحضارة الحديثة، والحياة المادية الجافة، مقطوعة الصلة بالله إلا من رحم الله، والإنسان مهما قوي فهو ضعيف، ومهما علم فعلمه قاصر وحاجته إلى ربه أشدُ من حاجته إلى الماء والهواء.

وذكر الله في النوازل عزاء ورجاء: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد:٢٨).

ولو تنبه المسلمون لهذا والتزموا الأوراد والأذكار لما تجرأ بعد ذلك ساحر ولا احتار مسحور، ولا قلت بركة، ولا تكدر صفو، ولا تنغص هناء.

عِبَادَ اللَّهِ . . . هناك من الناس من يذكرون الله، ولكنهم لا يفقهون معنى الذكر فتصبح قلوبهم بعيدة عن استشعار جلال الله وقدره حق قدره، وذكر الله عزَّ وجلَّ، كلام تقشعر منه جلودُ الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر الله، غير أن الناس مما ألفوا منه وما جهلوا من معناه، لا يرددونه إلا كما يرددون كلامًا تقليديًا، وإلا فهل فكر أحد في كلمة «الله أكبر» التي هي رأس التكبير وعماده، وهي أول ما كُلِّف به الرسول ﷺ حين أُمِر بالإنذار: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (سورة المدثر:١-٢).

إنها كلمة عظيمة، تحيي موات الأرض الهامدة، لصوتها هدير كهدير البحر المتلاطم أو هي أشد وقعًا. إنها كلمة ينبغي أن يدوي في أذن كل سارق وناهب، لترتجف يده، ويهتز كيانه، وكذا تدوي في أذن كل من يهم بإثم أو معصية، ليقشعر ويرتدع، وينبغي أن تدوي في أذن كل ظالم معتد متكبر، ليتذكر - إن كان من أهل الذكرى - أن هناك إلها أقوى منه، وأكبر من حيلته واستخفاقه ومكره، أخذه أقوى من أخذ البشر ومكرهم وخديعتهم، فالله أكبر، الله أكبر كبيرًا.

عِبادَ اللهِ . . . اعلموا - وفقكم الله - أن لسائل أن يسأل: ما بال ذكر الله سبحانه، مع خفته على اللسان وقلة التعب منه، صار أنفع وأفضل، من جملة العبادات مع المشقات المتكررة فيها؟.

**فالجواب:** هو أن الله سبحانه جعل لسائر العبادات مقدارًا، وجعل لها أوقاتًا محدودةً، ولم يجعل لذكر الله مقدارًا ولا وقتًا، وأمر بالإكثار منه بغير مقدار، ولأن رؤوس الذكر هي الباقيات الصالحات، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومنجيات، وهن الباقيات الصالحات»**[1].

ثم ليعلم كل مسلم صادق، أن المؤثر النافع هو الذكر باللسان على الدوام، مع حضور القلب، لأن اللسان تُرجُمانُ القلب، والقلبُ خزانة مستحفظة الخواطر والأسرار، ومن شأن الصدر أن ينشرح بما فيه من ذكر، ويلذ إلقاءه على اللسان، ولا يكتفي بمخاطبة نفسه في خلواته حتى يفضي به لسانه، متأولا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٥).

---

(١) رواه الحاكم وصححه، انظر: «صحيح الجامع» (١/ ٦١٢) رقم (٣٢١٤).



فأما الذكر باللسان فلابد أن يكون في كل وقت وحين، ولذا فإن رسول الله ﷺ حذر من أن تنفض المجالس دون أن يذكر الله عزَّ وجلَّ فيها بقوله: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة يوم القيامة»**[1].

فهذا رسول الله ﷺ يمقت مجالس الغافلين، وينهى عن كل تجمع خلا من ذكر الله، وأن المجالس التي ينسى فيها ذكر الله، وتنفض عن لغط طويل، حول مطالب العيش وشهوات الخلق في تهويش وتشويش، وهمز ولمز، هي مجالس فتنة، لا شيء فيها يستحق الخلود، إنما يخلد ما اتصل بالآخر سبحانه وتعالى، ولذا فقد قال ﷺ: **«من جلس في مجلس فكثر لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، وأشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كَفَرَ الله له ما كان في مجلسه ذلك»**[2].

---

(١) رواه أبو داود، والحاكم، «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٠٢)، رقم (٥٧٥٠)، و«الصحيحة» رقم (٧٧).
(٢) رواه الترمذي. وابن ماجه، «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٦٥) رقم (٦١٩٢)، «المشكاة» رقم (٢٤٣٣).

# هم اليهود فاحذروهم

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب:٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن شيء من مطامع اليهود والنصارى وقد صرحوا بذلك عبر كتبهم، ومن ذلك ما ورد في كتاب التلمود أن اليهود يعتقدون أن إسرائيل لابد أن تسحق العالم، وهنا سؤال لماذا سموا دولتهم وهي الدولة اليهودية بإسرائيل مع العلم أن اليهود بنوا إسرائيل وليسو إسرائيل، إنما إسرائيل لقب ليعقوب عليه السلام ـ هناك قصة في كتاب التلمود، هذه القصة مفادها أن الله تبارز مع يعقوب عليه السلام ـ ثم يعقوب غلب الله، فصارت عقيدة عند اليهود أنه إذا كان يعقوب قد غلب الله فمن باب أولى أن تغلب دولة إسرائيل الله والعالم بأسره؟!

هذه عقيدتهم الآن، وهم يمنون أنفسهم بأنهم عما قريب يستطيعون أن يقضوا على ثلاثة أرباع العالم ويبقى ربع واحد من العالم تحت حكمهم وتحت سيطرتهم، ولعل بعضكم قد سمع بمعركة (هلمجدون)، هذه المعركة يذكرها اليهود في كتبهم ويذكرون قرب وقوعها ويسمونها الحرب العالمية الثالثة، ويرون أن هذه المعركة التي قد قرب وقتها أو حان وقتها يرون أنهم عن طريقها سيصيدون العالم وسيتمكنون من حكم العالم.

كذلك أيضًا من جملة ما عند اليهود وما يرددونه وما يعتقدونه ـ كما ذكر ذلك في كتبهم ـ أنهم يقولون: لا قيمة لإسرائيل إلا ببيت المقدس، ولهذا يقولون: إن بيت المقدس وإن فلسطين هي أرض الميعاد، أن أنبيائهم ـ على حسب زعمهم وافترائهم ـ وعدوهم بأن فلسطين أرض لهم، ولابد من ذلك في نظرهم، وسيأتي بعد قليل البيان كيف نصر الله أولياءه قديمًا وحديثًا، أي قبل الإسلام وبعد الإسلام على أعدائه سبحانه وتعالى، فلهذا ـ أيها الناس ـ المطامع الواسعة التي عند اليهود ليس اليهود مقتنعين بأخذ بيت المقدس وكفي، من ظن أن اليهود يريدون أن يقفوا عن أخذ المسجد الأقصى فقد جهل حقيقة اليهود وحقيقة مخططاتهم، وحقيقة ما يهدفون وما يسعون إليه، لهذا ـ أيها الناس ـ حصل مؤتمر يهودي ذكر ذلك صاحب كتاب (احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام) وهو سعد الدين وهو رجل من علماء مصر، ذكر أنه حصل اجتماع لزعماء اليهود، فكان مما قالوا: لقد عملنا حمايات كبرى لإسرائيل، فإننا نريد أن نقيم دولة صليبية في الأردن.

ولهذا إلى الآن قد صار لهم أكثر من عشرين ألفًا من الجنود جيش نصراني يمدونه ويجهزونه ويهيئونه في دولة الأردن من أجل أن يقيموا لهم دولة هناك، قالوا: وقد استطعنا أن نقيم دولة نصرانية مارونية في لبنان وهي الآن القائمة بحكم لبنان، قالوا: وسنقيم دولة قبطية في مصر أي نصرانية من نصارى مصر القبط، كذلك أيضًا قالوا: وقد أقمنا دولة علوية في سوريا، وهي دولة حافظ الأسد ومن إليه. فتلك



الدولة إنما تدافع عن اليـهود، وتحمي اليـهود، وكذلك تدافع عن النصـارى، وتسهل لهم رقـاب المسلمين، قـالوا: وسنقيم دولـة صليبـية فـي العراق، انظروا إلى مـدى التخطيط الذي يخفيه عنا اليهود!

ولهذا قـرأت في الكتاب الذي ذكـرته قبل قليل وهو كـتاب (احـذروا الأساليب الحديثـة) أن النصارى في مـصر صـاروا يشتـرون شوارع كـما هي وصاروا يـخزنون الأسلحة، فيمـا يسمونه بالكنائس وما هي للعبادة، إنما يشحـنونها ويملؤنها بالأسلحة المتطورة، وصاروا يـتسلقون إلى الوظائـف الكبرى في الحكومة وصـاروا يدخلون في الوظائف الخطيـرة، كـالدفـاع والجيش، والـقيـادة، ومـا إلى ذلك ينتظرون اليـوم، وينتظرون الفرصة والساعة التي يستطيعون من خلالها أن يقضوا على المسلمين.

كذلك أيضًا ذكر صاحب كتاب (مخطط لتدمير الإسلام) أن أحد زعماء النصارى قال: إن النصـرانية لن تقف حـتى يرتفع الصليب في سمـاء مكة، وحتى يُنقل قـبر محمد من المـدينة إلى متحف اللوفر، انظروا إلى مدى ما عندهم مـن أطماع واسعة، كذلك أيضًا قام مناحم بيجن ـ وهو أحد وزراء إسرائيل السابقين ـ بتأسيس حزب في داخل اليهـود هذا الحزب مهـمته أن يقـوم بالبحث عن الوسـائل لإقامة دولة اليـهود الكبرى من النيل إلى الفرات، فهم الآن ما إن يتمكنوا من أخذ فلسطين كلها والمسجد الأقصى، فإذا تمكنوا من ذلك حـاولوا أن يقوموا بعولمة دولتهم الكبـرى كما يريدون، وكما يحكمون، وكـما يخططون، وكما يعدون العدة، انظر إلى أمـريكا وضعت لها قواعد كبرى في تركيا، وكذلك أيضًا قاعدة في لبنان، وكذلك أيضًا القاعدة الموجودة الآن في قلب الجزيرة العـربية، هذه كلها تدلك على نوايا خـبيثة فاسـدة عندها أبعاد واسعة في القضاء على المسلمين، كذلك أيضًا دولة اليهود من المعلوم أنه كما يقال إنه ممنوع دوليًا تصنيع الأسلحة الخطيرة النووية، ولكن مع هذا كله إن إسرائيل تمد وتعان على صناعة الأسلحة النووية، فعندها الشيء الكثير من هذه الأسلحة.

هذا كله يدل على أمور مبيتة خطيرة جدًا جدًا، وأنها تستهدف الإبادة للمسلمين، فليس للمسلمين إلا الله ليس لهم من يحميهم، ومن يدفع عنهم، ومن يسيطر، ومن يفرج هذه الأزمة وهذا الأمر الجلل إلا الله رب العـالمين، ولو جئنا نفتش ونبحث في بطون الكتب لوجدنا أكثر مما سمعتم، ولكن الحليم تكفيه الإشارة.

**فيا أيها الناس** . . . القضية وما فـيها قضية إنقاذ المسلمين قضية إنقـاذ لنا جميعًا، فلا تظنوا أن القضـية قضية المسلمين في فلسطين وكفى، فـفلسطين قد أخذت في يوم أسود، ولكن أيضًا سمـعت أن القضية قضية تعم المسلمين عمـومًا، فهل للمسلمين، وهل عند المسلمين اقتناع بأخـذ الحلول التي جاءت بها الشريعة، فقـد عجزت الحلول التي يصطنعها الزنادقة ومن إليهم، وفشلت جميع الحلول التي تخالف وتناقض القرآن والسنة، تريدون حلولاً، تريدون نجاة، تريدون نصرًا، تريدون تمكينًا، ليس للأمر هذا والله إلا الله.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين . . أما بعد:

ولقد قـام اليهود والنـصارى بالإطاحة بالدولة المسلمـة العثـمانية، ومـزقوا تلك الدولة إلى أن صارت سبـعين دولة ودويلة، ولقد كُوِّنت الأحزاب الشـيوعية والبعـثية والعلمانية عن طريق اليهود التي أفـسدت في داخل البلاد، وكذلك الحروب، الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، عن طريـق اليهود ومن إليهم، فاليهود تاريخهم كله أسود، والنصارى خـيانتهم معروفـة للمسلمين، فما بال النصـارى يتواجدون في بلادنا ليفسدوا بالمنظمـات النصرانية إنما هي تمحص أكتافنا لاستـعمارنا، وهكذا أيضًا من جاءنا بـالنصارى. لم يأتنا بخـير، نريد أن نغسـل أيدينا من اليهـود، وأن نغسل أيدينا من النصارى، فإذا أردنا أمة تعـيش، ونصر ينزل من عند الله، فلابد أن نرفض

كل مـا يأتي من اليـهود مما يخـالف شـرع الله، وأن نطهر هـذه الحيـاة، هذا إن كنا صادقين، وأما النصر آتي ولا محالة، ولكن متى ولمن؟ فالجواب ما يعلم ذلك إلا الله. وأما لمن؟ فالنصـر جعله الله حليف أنبيائه ورسله، وحليف أتباع أنبـيائه ورسله، فإن كنا كذلك فأبشروا.

أيها الأخوة . . . لنسمع إلى نصر الله خصوصًا لفلسطين، ما نريد أن يدب اليأس في قلوبنا فبأيدينا مقومات تجعلنا نـستحق اليهود والنصارى بنصر الله، ولكن لم نأخذ ما يقومنا وما ينفعنا، إلا من رحمة الله رب العالمين بَيَّنَ الله في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥).

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة إبراهيم: ١٣).

الله سيهلكهم، وليس أنت! الله يقضي، ولست أنت!، أنت عليك تفعل السبب والله يفعل ما يشاء فله جنود السموات والأرض، سبحانه قال: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (سورة إبراهيم: ١٤). هذا شرطه الذي يخاف مقام الله ويخاف وعـيد الله، ويراقب الله، لا يرضى أن يعصي الله، لا يرضى أن يتـعدى الحدود، ما لنا ملأنا الدنيـا معاصي، حياتنا كلها معاصي، كلهـا انحرافات من قبلنا، ائتوني - يا أيها السـامعون - بمعصية عند الكفار من يهـود ونصارى لا توجد في بلاد المسلمين، بل لا أقول في بلاد المسلمين، في بـلادنا في اليمن، ائتوني بمعصـية توجد في أمريكا في بلاد الإلحاد والكفر، ولا توجد في أوساطنا من قبل بعض أبناء جلدتنا وتشاركنا في الذنوب وفي الانحراف! فغريمنا ذنوبنا ليس غريمنا اليهود والنصارى، الله يكفينا شرهم، إن كنا عبادًا له سبحانه وتعالى.

وهذه الأمة موعودة بالنصر الذي لا يتوقعـه اليهود ولا يتوقعه أحد من الناس إلا من أخذ بما جاء به النبي وبما دعا إليه الـنبي ﷺ فقد جاء من حديث أبي هريرة وابن

عمر رضي الله عنه في الصحيحة أن الرسول ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فتسلطوا عليهم فتقتلوهم**»، انظروا على وعد أننا نسلط عليهم، أن المسلمين يسلطون على اليهود وأنهم يقتلون اليهود، ومن كمال النصر أن الرسول ﷺ قال: «**حتى يقول الشجر والحجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله**»[(١)].

إن النصر ليس عن طريق الآلاف ليس عن طريق ما يملك الناس من كثرة الأسلحة الكيماوية والنووية، وما إلى ذلك، وإن كنا مطالبين الآن أن نعد العدة بالسلاح المادي الموجود الآن المتطور من دبابات وصواريخ إلى آخر ذلك، نحن مطالبون أن نعد العدة من هذا، ولكن الله له نصر ينصر كيف شاء وبما يشاء، فعلينا فقط أن نسلك السبيل الذي دلنا عليه رسولنا ﷺ . وهنالك ـ بإذن الله ـ سينتصر المسلمون.

فيا أيها المسلمون . . لابد أن نتوب إلى الله، وأن نطهر الحياة من أنواع الذنوب والمعاصي، وليحذر المسلم أن يكون عاطفيًا فقط، يريد الجهاد وما عنده الإعداد ولا استعداد فهذا إذا أخذنا بالأسباب، فإذا لم نأخذ بالأسباب فلا نصر أسأل الله بعزه وكرمه وفضله وإحسانه أن يثبتنا وإياكم على الحق، اللهم عليك باليهود اللهم عليك باليهود، اللهم عليك باليهود، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم زلزل أقدامهم، اللهم زلزل أقدامهم، اللهم اجعلهم غنيمة للمسلمين، اللهم هيء لنا أسباب النصر يا أرحم الراحمين، اللهم خذ بأيدينا إلى طاعتك، وإلى مرضاتك، وإلى طاعة رسولك، اللهم اجمع كلمتنا على الحق، اللهم أيدنا بنصرك، اللهم أصلح حالنا ومآلنا، اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين، وانصر عبادك المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٩)، ومسلم (٥٢٠٣).

# اليهود في القرآن الكريم

## الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد ... فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله ... حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن اليهود في القرآن الكريم؛ إذ هو خير مصدر يعرفنا بشخصيتهم وتركيبهم النفسي، وفيما يلي وقفات موجزة مع سمات شخصيتهم في كتاب الله جلَّ وعلا.

قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (سورة المائدة: ٨٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٠).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة المائدة: ٥١).

وقال تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (سورة المائدة: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٧٨).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (سورة المائدة: ٦٤).

وقال تعالى: ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٠٠).

أما النصوص من السنة المطهرة عن اليهود، فمنها ما ورد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إن المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى»**[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قيل لبني إسرائيل (ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم، وقالوا حبة في شعرة، فبدلوا القول والفعل معًا، فأنزل الله عليهم رجزًا من السماء»**[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٨٨٩١)، والترمذي (٢٩٥٤)، «صحيح الجامع» (٢٠٨٢).
(٢) رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢).
(٣) رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٥٣٣٠).

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد تكررت ألفاظ «يهود، وهادوا، وبني إسرائيل» أكثر من ثلاث وستين مرة في القرآن الكريم، وما ذلك إلا لأن بني إسرائيل كانوا الأمة المستخلفة في الأرض، ولكن الله نزع منهم الخلافة بسبب فسادهم وإفسادهم، وقتلهم الأنبياء وجعل الخلافة من بعدهم في أمة محمد ﷺ، حتى قيام الساعة، وفيما يلي وقفات موجزة مع سمات شخصية اليهود في كتاب الله تعالى:

**ومنها الجدل والتحايل:** وتظهر صورة من جدلهم المقيت في قصة البقرة ومراوغتهم في مسألة ذبحها، وكيف أنهم راجعوا نبيهم موسى عليه السلام أكثر من مرة قبل ذبحها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٦٧-٧١).

وتتجلى صورة من تحايلهم في قصة صيدهم للحيتان يوم السبت ـ المحرم عليهم العمل فيه ـ حيث احتالوا على ذلك بأن نصبوا الشباك لها قبل يوم السبت ليجمعوها بعده.

قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٦٣).

ومن سماتهم الشخصية كراهيتهم الشديدة للمسلمين يقول الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (سورة المائدة: ٨٢).

وعن حرصهم على غواية المؤمنين يقول تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٠).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأصلي وأسلم على نبي الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته اجمعين . . أما بعد:

وحول حرص اليهود على الحياة ـ أي حياة مهما كانت دنيئة ـ، يقول الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ (سورة البقرة:٩٦). وأما ماديتهم المفرطة باعتمادهم كثرة المال مقياسًا للرفعة والمكانة فيبديها موقفهم من طالوت إذ طلبوا من أحد أنبيائهم أن يبعث الله فيهم ملكًا كي يقاتلوا أعدائهم معه، فلما اختار الله تعالى طالوت اعترضوا ولكن لماذا؟. : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ (سورة البقرة:٢٤٧).

**ومن سمات اليهود الشخصية: الأنانية واحتقار الآخرين والنزعة العنصرية لشخصيتهم:** فهم يعتقدون بأنهم شعب الله المختار: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (سورة المائدة:١٨). وغيرهم من الناس (الجوييم) مسخرين لخدمتهم ولا يرون بأسًا في إيذاء غيرهم وخداعهم بل وقتلهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (سورة آل عمران: ٧٥).

**ومن سمات اليهود الشخصية: نقض العهود والمواثيق:** وهم من أكثر الأمم اشتهارًا بهذه الصفة الوضيعة، فكم من عهد وميثاق نقضوه مع أنبيائهم ومع الرسول محمد ﷺ. وفي ذلك يقول ـ جلَّ ذكره ـ: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٠٠). ويقول ـ تبارك اسمه ـ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ (سورة المائدة: ١٣).

**ومن سمات اليهود الشخصية: الجبن والخوف:** فنفوسهم مسكونة بالخوف والهلع، ولا يجرؤون إلا على قتال الضعفاء، ولا يقاتلون إلا من خلف أشياء تقيهم بأس الآخرين، وعلى وجه الخصوص المسلمين، وفي ذلك يقول ـ تبارك اسمه ـ: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ (سورة الحشر: ١٤).

**ومن سمات الشخصية اليهودية: الكذب والإرجاف والتزييف والتحريف:** وهم أهل للأباطيل وللكذب وسماعون له، وسادة في تزييف الحقائق وتحريفها، وحتى وحي الله لم يسلم من تزييفهم وتحريفهم، والتوارة التي بين أيديهم شاهد على ذلك، وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (سورة المائدة: ٤١).

ويقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (سورة المائدة: ١٣).

**ومن سمات الشخصية اليهودية: التطاول على ذات الله تعالى:** فلم يسلم أحد من إيذائهم حتى ذات الله تعالى حيث يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (سورة المائدة: ٦٤). وقولهم عن الله تعالى بأنه فقير: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (سورة آل عمران: ١٨١).

**ومن سمات الشخصية اليهودية: الإفساد في الأرض:** وفي هذا الشأن يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة المائدة: ٦٤).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٤).

**واما عنصرية اليهود:** ففي ذلك يقول تلمودهم: «يجب أن نحمد الرب.. لأنه لم يجعلنا مثل أمم الأرض»، ولهذا فكل البشر خدم لهم، وغير اليهودي ليس إنسانًا ودمه رخيص ومستباح عندهم. وتقول كتبهم الدينية: «اهدم كل قائم»، «الوث كل طاهر»، «احرق كل أخضر»، «لكي ينتفع يهودي بفلس اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف»، «اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود»، «العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم»، «محرم إعطاء هبات إلى الجوييم «غير اليهود»، إن حياة الجوييم (غير اليهودي) وجميع قواه الجسدية هي ملك لليهود».

اللَّهم زلزل أقدامهم، اللَّهم زلزل أقدامهم، اللَّهم اجعلهم غنيمة للمسلمين، اللهم هيء لنا أسباب النصر يا أرحم الراحمين، اللهم خذ بأيدينا إلى طاعتك، وإلى مرضاتك، وإلى طاعة رسولك، اللهم اجمع كلمتنا على الحق، اللهم أيدنا بنصرك، اللهم أصلح حالنا ومآلنا، اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين، وانصر عبادك المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها.



# مراجع الكتاب


١ ـ «القرآن الكريم».

٢ ـ «تيسير الكريم الرحمن»: عبد الرحمن ناصر السعدي.

٣ ـ «صحيح البخاري»: الإمام البخاري.

٤ ـ «صحيح مسلم»: الإمام مسلم.

٥ ـ «السلسلة الصحيحة»: محمد ناصر الدين الألباني.

٦ ـ «صحيح الجامع الصغير»: محمد ناصر الدين الألباني.

٧ ـ «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين»: مقبل بن هادي الوادعي.

٨ ـ «مختصر شعب الإيمان للبيهقي»: أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن بن عمر القزويني.

٩ ـ «رياض الصالحين»: الإمام النووي.

١٠ ـ «شرح رياض الصالحين»: محمد بن صالح العثيمين.

١١ ـ «محبة الرسول بين الاتباع والابتداع»: عبد الرؤوف محمد العثمان.

١٢ ـ «كتاب التوحيد»: محمد بن عبد الوهاب النجدي.

١٣ ـ «كشف الوجه والزينة والاختلاط»: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

١٤ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»: ابن القيم.

١٥ ـ «آداب طالب العلم»: لأبي عبد الله عبد الله بن سعيد أرسلان.

١٦ ـ «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية»: صالح بن فوزان آل فوزان.

١٧ ـ «هذا الحبيب محمد ﷺ»: أبو بكر الجزائري.

١٨ ـ «خلاصة الكلام في أحكام الصيام»: عبد الله بن جار الله الجار الله:

١٩ ـ «الأخوة الإسلامية»: عبد الله بن جار الله الجار الله.

٢٠ - «يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تنخدعي»: صالح بن إبراهيم البليهي.

٢١ - «زاد الدعـاة»: عبد المهيمن الطحان.

٢٢ - «وميض من الحرم»: سعود الشريم.

٢٣ - «ثمانون حديثًا في الظلم والظلمة والمظلومين»: إعداد عبد المنعم الكومي، مراجعة وتقديم حسين عاشور.

٢٤ - «صـوت المنبـر»: صالح بن محمد الونيان.

٢٥ - «توجيهات وذكرى»: صالح بن عبد الله بن حميد.

٢٦ - «التـوبـة»: صالح بن غانم السدلان.

٢٧ - رسالة: «من هنا نبدأ وفي الجنة نلتقي»: عبد المحسن بن عبد الرحمن بن عبد المحسن.

٢٨ - «نبذة مفيدة عن حقوق ولاة الأمر»: عبد العزيز بن إبراهيم العسكر.

٢٩ - رسالة «افــراح»: أحمد بن عبد العزيز الحمدان.

٣٠ - «حسن الخاتمة وعلاماتها والتحذير من سوء الخاتمة»: عبد الله بن محمد المطلق.

٣١ - «المختار للحديث في شهر رمضان»: مجموعة من طلبة العلم في القصيم.

٣٢ - «محاضرات في العقيدة والدعوة»: صالح الفوزان.

٣٣ - «نضـرة النعـيم في مكارم أخـلاق الرسـول الكريم ﷺ»: إعـداد مـجمـوعـة من المختصـين: بإشراف صالح بن عبـد الله بن حميد إمـام وخطيب الحرم المكي - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح.

٣٤ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة»: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

# الفهرس

الخطبة — صفحة

تم بحمد الله الجزء الثالث

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات